



مجلة

المجمع العالمي العراقي

المجلد الخامس

(١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)

الجمهورية العراقية المظفرة

ما كان طبع المجلة ينتهي عنى انتهى عهد الحكم الملكي الفاسد في العراق ،
وبدا حكم جمهوري جديد صالح ، كان عزيز النال ولو في الحقب الطوال ، وصارت
الدولة العراقية جمهورية ، أقامها الجيش العراقي الأبي الحر ، بعد أنه ضرب عظام
العراق في العهد البائد الفاسد ضربة قاضية ، وقطع رابرهم ، وقد أيد الشعب
العراقي هذه الثورة العظيمة من أقصاه إلى أقصاه ، وأصبحت القلوب على مباركة
هذه الجمهورية الصالحة ، واستبشرت بمستقبل زاهر باهر لها ، وأصبح الشعب
العراقي يدا واحدة لمساعدتها وعامل على تأييدها وتثبيتها ، وفوق الله تعالى
القائمين بها ، والمجاهدين في أرساء قواعدها ، والذائمين عنها ، والداعين
إليها ، إنه نعم المولى ونعم النصير

الجمع العلمي العراقي

تسريع الخط العربي

لقد كثر البحث في هذا الموضوع ، وتكرر في الجامعات العلمية العربية ومؤتمراتها الثقافية ، وكتب فيه جماعة من فضلاء الأدباء والخطاطين الراسخين في فن الخط ، من مسهب في بحثه أو موجز .

ولم تستقر تلك الأبحاث المختلفة الوجوه على أسلوب معين ، ولم يختمر رأي في اختيار ما يعد أسلح الأساليب للعمل به والسير عليه ، حتى الآن . وكنت قد شاركت في هذا الأمر المهم في حياة الخط العربي ، فكتبت فيه مقالات في جريدة العالم العربي المراقبة بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ على ما أتخطر .

وقد دفعني إلى استئناف بحث الموضوع ما دار من الكلام فيه مجدداً في مؤتمر الجامعات العلمية الذي انعقد في السنة الماضية في دمشق الحريصة على حفظ التراث العربي الثمين .

لا أريد أن أبحث في هذا المقال عن صيغة عبارة (الخط العربي) أو (الإملاء العربي) أو (رسم الخط العربي) . وأي هذه التعابير هو الأرجح ؟ فإن مناقشة ذلك قليلة الجدوى ، ولا نهني في هذا المقام . وإنما أوجه بحثي إلى الطريقة التي يسهل بها (الخط العربي) أو (الإملاء العربي) أو (رسم الخط العربي) .

وأهم ما تلخص عندي في الموضوع من مجموع ما سمعته وقرأته وكتبته خمسة آراء :

١ - أن يستبعد الرسم المعمول به في الأقطار العربية غائراً وحاضراً ، وتطوى الحروف التي تتألف منها الكلمات العربية برسمها المؤلف على السجل للكتب ، وتطمر في غياهب الجب ،

تسهيل الخط العربي

ويعتاض عنها بالحروف اللاتينية ، لأسباب تافهة كل التفاهة ، وعلى هي علل وأمراض في الواقع والحقيقة انتابت قلوب الداهيين الى هذا الرأي ، أهمها :

(أ) أن بعض الأمم الناهضة حديثاً قد استبدلت الحروف اللاتينية بالحروف التي كانت تخط بها كلماتها إثباتاً للتجديد في حياتها الناهضة .

وفات هؤلاء أن أولئك القوم لا يملكون حروفاً هجائية برسم خاص بهم ، لأن حروفهم الهجائية التي استبدلوا غيرها بها كانت مستعارة من قوم آخرين . فلم يفعلوا أكثر من تغيير العارضة . ثم ما لنا وهؤلاء وتقليدكم ، ونحن نملك حروفاً هجائية أصيلة نحبها ونحبنا ، ذات رسم جميل خاص بنا ، أنتجت كلمات عربية لا تنفد عدداً ، ملأت بطون ملايين الكتب في مختلف العلوم والآداب ، فلم تنسُ بها ، ولم تستعقلها ، بل حفظت راثاً ثميناً ، نفخر به مدى العصور . وهل إن استبدال حرف بحرف دليل على النهوض والتجديد ؟ وهل تبديل عارضة بمارية دليل على التقدم والنهوض ؟ أو ليس استبدال العارضة بالملك استبدال الأدنى بالذي هو خير ، وتضييع الملك الراشح العالي ، ونكران الجميلة الذي يمجز القلم عن أبنائه شكره ؟ وأقف عند هذا الحد من الأندفاع في الرد احترازاً عن الإطالة والخروج عن الموضوع .

(ب) أن رسم الهمزة والألف اللينة في آخر الكلمة ، يوقدان الخطأ في الحيرة والارتباك ، لاختلاف رسم الهمزة باختلاف موقعها في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، وتبعاً لمتنفس حركتها أو حركة ما قبلها ، واختلاف رسم الألف اللينة باختلاف أصلها من كونه واو أو ياءاً ، أو باختلاف عددها في آخر الكلمة . ولا أطيل مناقشة هذه المسألة ، فإنها تبطل نفسها بنفسها ، لأن مجرد التبديل في رسم حرف أو حرفين من مجموع الحروف العربية لا يستوجب طرح الحروف جميعها وإبدال حروف أعجمية بها ، إذ ما ذنب الباقي ؟ وهل وقف العجز بنا عن اماطة أذى التبديل عن طريق هذين الحرفين الى حد أن نبدل الحروف كلها بهذا الثبوت ، بعد أن أسدت معروفها للغة العربية زمناً يقرب من أربعة عشر قرناً أو يزيد ؟

تسهيل الخط العربي

كما أنه أقرب الى رسمها على ما سيجيء في الرأي الثالث ، بل ربما أتقل متعلمو هذا الرسم المقطع الحروف بعد مدة قليلة الى رسم الكلمات على الوجه الثالث — المختار عندي — لشدة التقارب بين الوجهين .

ومما يلاحظ هنا أننا زدنا رسماً خاصاً للهمزة بشكل (و) ووضعناه بالترتيب بعد الواو وقبل الهاء ؛ لأن كلاً من الهمزة والهاء من حروف الخلق ، فهي أنسب بالوضع في جوارها ، وأخترنا (و) لرسم الهمزة ، ولم نختار (أ) أو (ي) لأن الرسم المختار أكثر ملاءمة للاتصال والانفصال في الرسم كما يظهر عند التجربة والتأمل . ولم تقتصر لها على هذا الرسم (هـ) لأن هذه الإشارة يصعب ظهورها في وسط الكلمة بأطرافها ، كما أنها قد تختلط بالنقطة (•) عند الاستعمال في الكتابة ، بل قد تضيق عند المراجعة .

٣ — المحافظة على الحروف العربية برسمها المؤلف مع إحداث إصلاحات طفيفة فيها تفي بالحاجة ، ونسب الموز ، وتدفع الشكوى التي علاصيحيجها ، وطال أمدها ، مع المحافظة على جمال الرسم وحسن الخط وقصره . وحاصل ذلك :

أ — أن رسم الألف اللينة بهذا الشكل (ا) مطلقاً أي سواء وقعت في الوسط أو في الآخر — ولا يتصور وقوعها في الأول — وسواء كان أصلها واواً أو ياءاً أو كانت ثالثة في آخر الثلاثي أو رابعة أو خامسة أو سادسة في آخر الرباعي أو الخامس أو السادس ، عربية كانت الكلمة أم أعجمية ، فتكتب الكلمات :

(علي . دعا . رمى . عصا . منى . موسى . مصطفى . أعطى . استغنى)

ونحوها على الوجه الآتي :

(عور . دعا . رما . عصا . منا . موسى . مصطفى . اعطا . استقصا)

وهكذا .

ب — أن ترسم الهمزة بهذا الشكل (ؤ) مطلقاً ، أي سواء وقعت في الأول أو في الوسط أو في الآخر مهما كانت حركتها و حركة ما قبلها ، فترسم السكّلات :

(أئى . سأل . سئل . سأل . قرأ . قرئ . هرو . هرو . برؤ) على الوجه الآتي :

(ؤئى . سؤل . سؤل . ساؤل . قرؤ . قرؤ . هرو . برؤ) فهي تكتب بشكل واحد في جميع المواقع كسائر الحروف الهجائية الأخرى ، وبهذا يزول التلبس في رسم الهمزة كما زال في رسم الألف اللينة على ما بيناه آنفاً .

ج — أن نشكل ما يُشكّل في السكّلات من الحروف ، أي أن نضع الشكّلة وهي (الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة) على الحرف عندما يتصور الكاتب أن القارىء قد يشكّل عليه صحة النطق به . وهذا الأمر جارٍ في جميع الحروف . وهو قاعدة معروفة في الخط (اشكل ما يُشكل) . ولا أرى موجباً لشذوذ الهمزة عن هذه القاعدة وانفرادها عن سائر الحروف برسوم متعددة مختلفة . فلو كان هذا سوابغاً وفائدة مهمة ، للزم أتباعه في سائر حروف الهجاء أيضاً ، وحينئذ قد تصل حروفنا رسماً الى رقم عال يمتد الأمور . فما هو متبع في رسم غير الهمزة يجب أن يتبع في الهمزة أيضاً .

د — أن ترسم الحروف كلها بشكل واحد سواء أكانت أولية أو وسطية أو نهائية ، فترسم العين مثلاً هكذا : (عمو . عمد . باء) ، والنين مثلاً هكذا : (نمن . نمرار . صاء) . ويختار لهذا الرسم للوحدة الشكل الآتي :

(ا ب ت ث ج ح د ذ ر ز س ش ص ض ط
ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه ي م) .

وبلاحظ أن موضع الهمزة في هذا الترتيب جاء بعد الواو وبشكل الواو زيادة هذه العلامة

تسهيل الخط العربي

(ء) فوقها ، وهو موقع مناسب لها بعد الواو وقبل الهاء ، لأنها من حروف الخلق فتربط مع الهاء ، فترسم بشكل الواو مع العلامة الفارقة ، وتلازم صورتها في كل مكان ، كما هو جار في رسم الدال والذال والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وغيرها . وقد أشرنا الى هذا سابقاً .

ولنحرب هذا الأسلوب بكتابة العبارات الآتية :

(الرجل الكريم يحب الناس وإن نساه اللئيم بكرهه العالم) بالحروف المقترحة ، فنكتبها بالشكل الآتي :

(وُرجل وُلكريم يحب وُناس وُإن نساها اللئيم يكرهه العالم) .

٥ — الاحتفاظ بالرسم المألوف بحالته الراهنة مع ثلاثة تعديلات لاغير ، وهي :

(أ) رسم الألف اللينة بهذا الشكل (ا) مطلقاً .

(ب) رسم الهمزة بهذا الشكل (ؤ) مطلقاً .

(ج) أن تكتب الكلمة بالحروف التي تلفظ عند النطق بها منفردة بلا زيادة ولا نقص .

واني أرجح هذا الأسلوب الخامس — إذا لم يحصل الرأي الثالث قبول ذوي الشأن ،

للاسباب الآتية :

١ — المحافظة على الأسلوب المألوف .

٢ — المحافظة على جهال الخط الذي أستقر بعد مران طويل .

٣ — المحافظة على الصلة بين الماضي والحاضر ، لئلا يقع الإشكال في قراءة الكتب السالفة

بعد مرور هذا الجيل ، إذا ما عدلنا عن المحافظة على الأسلوب المألوف .

قد أسرفنا كثيراً في نشر المقالات والبحوث في النوادي الأدبية والمؤتمرات في أمر تيسير

الخط العربي على طريقة نلائم الماضي من جهة وتربط به المستقبل من جهة أخرى بحيث لا تضيق

صاحبة سلفت لنا ، ولا تضيق علينا صاحبة نستقبلها . واسكن حتى الآن لم تتحرك الجهات ذات

الشأن لجمع الكلمة على رأي ، ولم تمتد يد العمل الى تأسيس ما يتوسل به إلى الانشاء والتجديد في هذا السبيل مع حفظ الصواعق للماضية . وقد مرت عشرات السنين ونحن نقارى في الأقوال وبعت الآراء من غير جمع لا قليل ، ولا تصنيف لما بحث ، ولا عمل لتحقيق النتيجة ، شأننا في هذا شأننا في كثير من الأمور الحيوية التي نشعر بضرورة اصلاحها أو تسهيلها ، فنخوض في بحثها ونكتب فيها ما شاء الله أن نكتب ، ثم لا نلبث أن تنقاصر خطانا في التقدم الى العمل ، فيبقى الكلام حبراً على ورق ، وتبقى الآراء في طي الكتمان ، وتلك خلة أعيد طباعتها أن تستمر عليها . لذلك أهيب بالعنيين في الأمر الى تحقيق ما يؤدي الى التحول من ساحة الآراء الفسبحة الأرجاء الى ميدان العمل ، وتقدير نتيجة حاسمة فيه ، ومن الله التوفيق .

الخواجه نصير الدين الطوسي

وعلم الفلك (*)

الفلك في هذه الأيام نال مكانة كبيرة ، وأتصل بالعلوم قديماً وحديثاً ومنها العلوم الرياضية وغيرها ، فسهل السير في البحر والجو وكذا النقل ، وكان ذلك نتيجة جهود كبيرة . اشتغلت فيه الأقطار والأقوام مثل بابل وأنور ومصر ويونان والأمة الإسلامية ، وصار إلى الغرب فمقوت مكانته ، وأشتق منه عندنا (علم البحار) ، وتكامل في الغرب ، وكذا الطيران ، وما زال في تزايد كبير وتكامل عظيم . وأصله من الفلسفة ، ومن أهمها العلوم الرياضية .

وفي عهد المغول برز فيه جماعة من العلماء ، أشهرهم : (الخواجه الطوسي) ، ذاع صيته في الأقطار بما حمل من علوم ، وكان يدعى (أستاذ البشر) ، وهو موضوع بحثنا في هذه النبذة أو الصفحة من حياته .

ولد يوم السبت ١١ جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠١ م ، وعاش غالب أيامه في إيران ، وأكثرها في قهستان و أَلَمُوت من بلاد الإسماعيلية (١) ، وكتب مؤلفات عديدة لهم في اللغة العربية والفارسية ، وكان يكتب باللغة التركية أيضاً .

وفي ذي الحجة سنة ٦٥٠ هـ - ١٢٥٢ م سار هولاكو إلى إيران بأمل اكتساحها ، فكانت مشيته بطيئة . وفي شبان سنة ٦٥٣ هـ - ١٢٥٥ م قصد ربوع الإسماعيلية ، وتم له الاستيلاء على أَلَمُوت ، وأثر ذلك اتصل الخواجه بهولاكو في همدان فضعه إلى حاشيته ورعاه . وفي ١٤ شوال سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م أعلن أنه شيعي اثنا عشري ، وأمنظر ركن الدين

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ عباس الغزاوي بدار المجمع العلمي العراقي .

(١) هؤلاء من الإسماعيلية الغزافية ، ووزير ابن الخليفة المستنصر الفاطمي . وأنتم في هذه الأيام الأغاثانية .

خورشاه إمام الإسماعيلية وأميرها إلى الخضوع ، ولم ير وسيلة للنجاة سوى التسليم . وفي أواخر ذي القعدة من هذه السنة افتتحت بلاده ، ثم قتل سنة ٦٥٥ هـ . وبمدها سار هولاء كور متوجهاً نحو العراق . وفي يوم الخميس ٤ المحرم سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م استطاع هولاء كور رأي (حسام الدين النجم) في أمر الهجوم على بغداد وما يقوله علم التنجيم بذلك ، فبين له الأخطار التي تنجم من الإقدام على هذا العمل ، وأبدى أنه أوجس خيفة من إشارة الطالع إلى قتل ملك ووقوع كوارث عظيمة من قحط ووباء ، فغذره من التصدي للفتح بأمل صده . وكانت هذا النجم أرسله القآن منكوخان (مونككا) مع هولاء كور ، وأمره أن لا يخالف رأي هذا النجم فيما يقوله الطالع . ولكن هولاء كور لم يقف عنده ، وإنما رجع إلى رأي الخواجه الطوسي ، فأفتاه عن الطالع بأن لا ضرر على السلطان ، وإنما يقتل الخليفة ، ويدمر جيشه ، ويكون النصر لحليف السلطان ، فلا وبال عليه . وفي هذه الحالة لا يفكر تأثير (البخشية) ، أي رجال الدين أو السحرة عند القول ، ومن ورائهم أمراء الجيش ، فقد ألحوا كثيراً في لزوم الهجوم على بغداد ، وكان الجيش طبق الأرجاء ، وبناءً على هذه الفتوى زحف من كل صوب . وفي ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م دخل هولاء كور بغداد ، فأكتسب الخواجه الطوسي مكاناً لا تقا لتجراح الهجوم طبق الفتوى .

وكان الطوسي مشتغلاً بعلوم الأوائل حتى صار رأساً فيها ، ومكانته عند الإسماعيلية معروفة ، فدخل في خدمة هولاء كور بسبب علم الاختيارات ^(١) ، واختفى أسم حسام الدين النجم . ثم إن هولاء كور وافق الخواجه على بناء رصد ، لإتقان الطالع والنازل ، فبناء في مراغة ، وجمع لهذا الرصد مكتبة عظيمة ، وظهرت له مؤلفات ، كما أنه أستمع بملاء المسلمين من عرب وإيرانيين في بناء هذا الرصد بحيث تكون منهم ما يقال له اليوم (المجمع الفلكي) ، وعمل الزيج الإبلخاني ، كما ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك والاختيارات إن كان في صحبته من

(١) ويسمى علم التنجيم وعلم الأحكام ، إلا أن التنجيم أعم من الاختيارات ، إذ كانت الاختيارات تدل على اختيار الوقت المناسب ، وهو جزء من التنجيم .

الخواجه نصير الدين الطوسي وعلم الفلك

العلماء ، وتكونت ثقافة فلسفية مهمة جداً ، واشتهر أمره في الأقطار وذاع صيته في الآفاق .
مال الناس الى هذا النوع من المعرفة المنتظمة والعملية ، فصارت صلته بـكـبيرة علماء كثيرين
معاصرين ، ولم تنقطع صلته بالمصور التالية له بصورة متوالية حتى يومنا هذا .

ففي يوم السبت ٥ من شهر خرداد سنة ١٣٣٥ هـ - ش أجري الاحتفال بمرور سبع مئة
سنة على وفاة الخواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي في جامعة طهران ، ودام الى
يوم السبت ١٢ من الشهر المذكور ، وافتتح الاحتفال بقراءة أمر الشاه ، وخطب في اليوم الأول
من افتتاحه رئيس الوزراء ، ثم وزير المعارف ، ثم رئيس الجامعة ، وفي خلال المهرجان خطب
بعض المدعوين من الأعضاء : يبنوا حياة الطوسي وعظمته في خدماته للثقافة الفلسفية وغيرها ،
كما ظهرت مؤلفات عديدة في حياة الرجل ، ونشرت آثاره ، ونقل بعضها من العربية الى
الفارسية .

وحياته الأولى بعد أن أتم تحصيله كانت بين الإسماعيلية ، وظهر فيها من المؤلفات : روضة
القلوب ، ورسالة في التولي والتبري ، وتحرير المجسطي ، وتحرير أقليدس ، وتحرير
أكرمانالاوس ، وأخلاق ناصري ، وروضة التسليم ، ومطلوب المؤمنين ، وشرح الإشارات ،
وكتب في التنجيم وأخرى في الفلك ، وباقي مؤلفاته ظهرت بعد أن فتح هولاء كو بغداد . وتوفي
في ١٨ ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٤ م في بغداد ، ودفن في السكاظية ، وكان قد تم
الرصد في السنة التي توفي فيها الخواجه .

صارت الفلك بعلم الاختبارات

كانت ثقافة الخواجه متنوعة وفي علوم كثيرة ، ولكنها ترجع في الحقيقة الى الفلسفة
الإشراقية مع علم بالفلسفة اليونانية . ولكن موضوع بحثنا الآن علم الفلك وما يتعلق به من
علوم ، مثل الاختبارات أو التنجيم (علم الأحكام) ، وبهذا العلم تقدم الخواجه لدى هولاء كو
خان ، وهو من العلوم المعتبرة عند الإسماعيلية ، ولم يكن مقصوراً عليهم ، بل دخل الملكية

عباس المزأوي

الإسلامية بدخول علوم الأوثل ، وإن حادث بناء بغداد يستند إليه باستطلاع آراء المنجمين في ذلك العهد ، كما أن الخلفاء كانوا يسرون بمقتضاه . وفي أيام الخليفة المعتصم قال الشاعر أبو تمام قصيدته البائية الشهيرة :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حيدّه الحسدُ بين الجدِّ واللعب
بيض الصفايح لا سود الصحائف في متونها جلاء الشك والريب
ومنها :

أين الرواية ؟ بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ؟
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ليست ببيع إذا عُدت ولا غرب
وخوفوا الناس من دهباء مظلمة إذا بسدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وهذه في ذم علم التنجيم . وكذا ذم علماء وشعراء كثيرون ، مثل قول بعضهم :

أحسب النجوم ، حملتمونا على شيء أرق من الهباء !
علوم الأرض قد خفيت عليكم فمن أنبأكم علم السماء ؟
وقول الآخر

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحسب في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

وفي أيام الخلافة العباسية لم ينقطع الاشتغال في علم الاختيارات ، ومن هذه المؤلفات (الاختيارات الزمانية للأعمال السكّنية) كتب للأمير إقبال الشراي ، ومنه نسخة نفيسة دخلت حديثاً خزانة المتحف العراقي في بغداد . وفي كتاب ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد مجموعة كبيرة في أحكام النجوم ص ٩٣ ، وفي كتاب أحوال وآثار خواجه الطوسي جملة منها ، وأن المغول يعتقدون بصحته ، وأن وصية منكوقآن سبقت الإشارة إليها ، وأن اتصال الخواجه بهولاكو وإقناعه من مؤيدات ذلك . وكتب الاختيارات في المملكة الإسلامية كثيرة

الخواجه نصير الدين الطوسي وعلم الفلك

لاستهواء بعض مشاهير الرجال في الممالك ، وفي كشف الظنون جملة كبيرة منها ^(١) ، وكذا للخواجه ، وبأني السكلام على مؤلفاته .

رصد مراغة

إن ملازمة الخواجه الطوسي لهولا كو بسبب تعلقه بعلم الاختيارات ، كان من نتائجها أن شوقه للخواجه فأمر ببناء الرصد في مراغة فشرع في البناء في جمادى الأولى سنة ٦٥٧ هـ — ١٢٥٩ م ، فحلب له العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية ، انتخب علماء أكابر في الفلك مشهوراً لهم بالقدرة العلمية ، وكانت المصاريف باهظة جداً .

اعترض هولا كو خان على قيمة الرصد العلمية وأهميته من جراء أن القدرات إذا كان يجري حكمها ولا مفر منه ، فما معنى وجود الرصد ؟ فضرب له الخواجه الطوسي مثلاً في نفس الرصد ، فأمر بطست رفع إلى أعلى الرصد ، وأن يطرح من جانب ليس فيه أحد ، ومن ثم ظهر له صوت ، فأضطرب الحضار الذين في جهة الرصد الأخرى دون أن يعلموا بما فعل ، فالتفت الخواجه إلى هولا كو ، وبين له الفرق بين من يفاجأ وبين من يعلم بما يقع ^(٢) .

علماء الرصد

من العلماء الذين قاموا بالمهمة :

(١) الخواجه الطوسي نفسه .

(٢) السكاتبى القزويني : من إيران ، ويعرف بـ (كبريان) . وهو أبو الحسن علي ابن محمد السكاتبى القزويني المتوفى سنة ٦٧٥ هـ ، وله مؤلفات كثيرة . وبعد من كبار علماء السكلام من الشافعية . وتوجهته في فوات الوفيات ١٥١/٢ . وله : الشمسية في المنطق ، وحكمة العين ، ومؤلفات كثيرة .

(١) كشف الظنون . مادة (الاختبارات) . وبينها كتب فريضة ٣٤/١ الطبعة الجديدة باستنبول

١٩٤٩ — ١٣٦٠ هـ .

(٢) فوات الوفيات في ترجمة الخواجه الطوسي .

(٣) ركن الدين الاسترابادي : من الوصل ، وهو السيد ركن الدين الحسن بن محمد ابن شرفشاه^(١) . توفي سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م . وفي تاريخ ابن الوردي : توفي في السنة التالية ، ومنهم من يقول بعدها .

(٤) الفخر الخلاطي : من بتليس (بدليس) .

(٥) المؤيد المرضي : من دمشق ، وله كتاب مهم في الحياة .

(٦) الفخر الراعي : من الوصل .

(٧) محيي الدين المغربي^(٢) ، وتوفي سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٧٤ م ، وفي كشف الظنون

جاء تاريخ وفاته غير صحيح ، ولعله مصحف .

(٨) قطب الدين الشيرازي : توفي سنة ٧١٠ هـ - ١٣١٠ م . وترجمته في كتاب

(الفلاكة والفلوكون) ص ٧٣ ، وفي منتخب المختار في علماء بغداد ، وله كتاب اختيارات مظفري في الفارسية .

(٩) شمس الدين الشيرازي .

(١٠) الشيخ كمال الدين الايجي .

(١١) حسام الدين الشامي .

(١٢) نجم الدين الأسطرابي .

(١٣) صدر الدين علي ابن الخواجه الطوسي .

(١٤) نجم الدين الكاتب البغدادي .

(١٥) قومنجي (تومنجي) الصيني الملقب (سينك سينك) أي العارف .

(١٦) ابن القوطي : هو كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ، وتوفي ٣٠ المحرم

(١) ترجمته في كتاب الفلاكة والفلوكون ص ١١٤ ، والسلوك ١٥٨/٢ قسم ١ منه ، وكتاب دول

الاسلام للذهبي ١٢١/٢ ، والدرر الكامنة ١٧/٢ وعقد الجمان ج ٢٢ مخطوطة أيا صوفيا في استنبول .

(٢) ترجمته في تاريخ مختصر الدول لابن المعري ص ٤٨٩ ، وذكرته ، وفاته في تاريخ علم الفلك

في العراق .

سنة ٥٧٢٣ هـ - ١٣٢٣ م . وترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين ، وفي التعريف بالمؤرخين ١٥٨/١ ، وفي مقدمة حوادث المئة السابعة .

(١٧) أصيل الدين حسن ابن الخواجه الطوسي .

وعلماء كثيرون من تلامذة هؤلاء عملوا في الرصد ، ولا شك أنهم جمهرة كبيرة قل أن تملك هذا العدد منهم أمة في تلك العصور . وهؤلاء ليسوا كل ما تملك ، وللاحتكاك العلمي بهذه الجمهرة أو المجموعة قيمته العظيمة . فهذه تكون مجماً فلسفياً عظيماً للاشتراك في الباحث الراقية في مستوى عال ، وفيها تعارف بين العلماء وأرباط بالثقافة ، ومثلها أعمال الخليفة المأمون في جمع العلماء للفلك وفي مجالس علمية أخرى ، ومثله خلفاء آخرون ، وإن الاتصال العلمي الذي كان يجريه مظفر الدين كركي للتعرف بعلماء الأقطار بمناسبة المولد الشريف ، فيبذل للواردين ما يليق بهم من احترام مما ولد أن يظهر تاريخ المستوفي في ذكر الواردين إلى إربيل بهذه المناسبة ، أو بمناسبة أخرى . وقبل ذلك كان الإمام أبو حنيفة يجمع أصحابه ، ويستطلع آراءهم بما يرد من استفتاء ، وكان المبرز فيهم عافية الفقيه السروف ، فكان لا يقطع أمراً حتى يستطلع رأيه .

إن الأستاذ الطوسي جمع بين معارف أهل الأقطار ، وهو عمل جليل ، لم يستطع أن يسهله بمفرده . وهذا ما يمين درجة العناية بالرصد وبهؤلاء العلماء ، وعلى هذا قال النقي محمد ابن زين الدين معروف الراسد المتوفى سنة ٩٩٣ هـ - ١٥٨٥ م في كتابه (سدره التنقي) : إن الخواجه الطوسي لم يكن (مرصده) براعة جيداً ، لاشتغاله بالوزارة ، وتسليمه دار الرصد إلى من لا يساويه أو يقاربه في الفضيلة ^(١) . وأعتقد أن الإتيان والجودة قد بلغا الغاية ، إلا أن الفروق لا تظهر إلا بعد حين ، فينال التحقيق محله ، وأن التجارب وحرور الزمان قد أظهرها التصحيح ، وهذا ما عرف أيام أولوغ بك برصده . ومثله ما فعله الفلكي الشهير (كاسيني) ،

(١) كشف الظنون ٩٠٧/١ .

ثم أتى بعده (لاند) فصحيح ما قام به الفلكيون قبله ، وفي هذه الأيام بلغ غاية النهاية من الإيقان ، فالتصير من الطوسي لم يظهر إلا بعد التجارب لزم من طويل ، كما أنه أصلح ما كان قبله من أزياج .

علماء فلك آخرون

وعرف بعلم الفلك آخرون لم يشاركو في الرصد ، منهم :

(١) أثير الدين الفضل الأبهري .

(٢) الشريف : وله كتاب تاج المداخل في الفلك ، نقله الفياثي صاحب التاريخ إلى

اللغة العربية ، وشرح التذكرة لأخواجه الطوسي (تاريخ علم الفلك في العراق) ص ٢٦ .

(٣) أبين طاووس : وله كتاب فرج المموم في أحكام النجوم ، طبع في النجف .

(٤) ابن ميثم .

(٥) شمس الدين محمد السمرقندي : في مارددين ، وله شرح تحرير المجسطي ، وأشكال

التأسيس . اختاره من كتاب اقليدس في ٣٥ شكلاً . عندي مخطوطة منه بخط الشيخ سلطان

ابن ناصر الجبوري .

(٦) العلامة الحلي (ابن المطهر) .

(٧) أبين الخوام .

وبين هؤلاء من عاصر الطوسي ، ومنهم من جاء بعده في أيام الممولى ، وتلامذ آخرون .

وبهمنا أن نقول إن مجموعة هؤلاء العلماء في الفلك تدل على علاقة أكيدة بالعلوم الرياضية . ولو

تحرينا ما في كل قطار من الفلكيين ، ل زاد العدد ، وكل هؤلاء من علمائنا ، ومن نتائج

المدارس ، فهي ترمي الثقافة ومنها الثقافة الفلكية ، والشام لا تقل عن بغداد ، والمؤيد المرضي

كان من أكابر علماء الفلك ولا يزال أثره في الرصد وآلاته وأسباب عمله مشهودة ، ومنه نسخة

في خزانة مدرسة السمسالاد ، ذكرت في فهرس (دانشكده معقول و منقول) . وكانت ممن

كتب في الأرصاد ابن الميثم في كتاب الأرصاد ، وللخازني الآلات المعجبة . وهذا

الخواجه نصير الدين الطوسي وعلم الفلك

الكتاب يشتمل على عمل الرصد ، كما أن كتاب أبي الهيثم يشتمل على النظر في فن الرصد^(١) . وكان نشأ علم الفلك في العراق في أوائل الدولة العباسية ، وبنيت أرصاد ، وعني بها عناية كبيرة . ومن بغداد انتشر في الأقطار ، فتكوتت معاهد علمية ضارعت ما في الدولة العباسية ، وزاد نشاطها في إيران وفي مصر والشام في عهد العبديين (الفاطميين) .

وفي أيام الغول أزهى علم الفلك على يد الخواجه الطوسي ، وكان النشاط فيه عظيماً بعد أن أصابته جفوة أو نكسة ، فبني الرصد ، وظهر في العراق جماعة من علماء الفلك كانوا أقرب إلى الاتصال بما جرى في إيران ، بل كان بين العراق وإيران وبلاد الروم (في الأناضول) وما وراء النهر اتصال مكين وحكومتها واحدة والمطالب العلمية مشتركة لا سيما بغداد ، وكانت عاصمة الدولة الغولية في الشتاء كما كانت تبريز ثم السلطانية عاصمتهم صيفاً ، ويعول علماء العراق على مخلفات أسلافه ، ولم يغفل التطور الجديد بفضل المدارس وما فيها من أساتذة ، والفضل في ذلك كله للخواجه الطوسي في بناء الرصد وجمع العلماء .

خزانة مراغة

هذه كانت عظمى لما جمعت من كتب نفيسة ومهمة جلبت إليها من بغداد والعراق والجزيرة ورجوع الشام . ذهب الخواجه مرتين إلى بغداد في سنة ٦٩٢ هـ - ٦٩٣ م لجمع الكتب ، فتكوتت منها خزانة مراغة^(٢) ، وبلغت نحو أربع مئة ألف كتاب ، فذاع صيتها في الأقطار ، وصارت تشد الرحال إليها ، فكانت خير غذاء ، ولم تكن مقصورة على كتب الفلك ، وإنما حوت علوماً جمة . وأبن الفوطي استمد منها ، وأستعان بها في ثقافته وما أظهر من مؤلفات جليلة ، وكذا آخرون لا يحصون لا سيما في الفلك وفروعه .

غنائم كتب الإسماعيلية

كان الغول حينما اكتسحوا بلاد الإسماعيلية طلب عطا ملك الجويني من هؤلاء أن يدخل

(١) ارشاد القاصد ص ١١٩ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ٢٤٢/١ .

عباس المزاي

مكتبتهم ، ويخرج منها الكتب النافعة ، وكانت فيها مؤلفات مهمة في الفلك والآلات الفلكية مثل الكراسي والحلق والأسطرلابات وغيرها من كتب تعجيم ، وبين هذه الكتب (مرگدشت بابا سيدنا) ، استولى عليها ، فكانت غنائمه رابحة ، وبينها نسخ من القرآن الكريم مذهبية ومحلاة وخطوطها نفيسة ، كل هذه زادت في خزانة مراغة وخدمت الرصد خدمة عظيمة .

بلدة مراغة

وكانت مراغة مدينة كبيرة من مدن أذربيجان ، وفي القديم أصلها قرية في جبل سهند على صفة نهر يدعى (افراه رود) . وهذه القرية كانت تسمى بأسم هذا النهر ، وفي ولاية مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم (سنة ١١٤ هـ - ١٢٦ هـ) سميت بمراغة في حرب مغان لوقوع مذبحة دعيت بالمراغة ، وأطلقت على هذه القرية ^(١) . وان هولاء في جهادى الأولى سنة ٦٥٧ هـ كما في حوادث المئة السابعة أمر ببناء الرصد هناك ، ولا يزال أثرها باقياً ، فرصد الخواجه وجماعته السكواكب ، وعينوا طولها ودرجات عرضها ، وهناك صنف الخواجه الزيج الابلخاني ، وان المؤيد العرضي (مؤيد الدين برمك بن مبارك العرضي) كتب كتاباً في آلات هذا الرصد وأسباب عمله ، ففصل ذلك تفصيلاً زائداً ، ودونه في كتابه المذكور ، وكان حكماً فريداً ورياضياً عظيماً ، توفي في ٧ رجب سنة ٦٦٤ هـ - ١٢٦٦ م ، ومما قاله : « ولندكر الآن الآلات التي عملناها بالرصد المحروس بمدينة مراغة على التل الذي بالجانب الغربي منها بالقرب من المدينة في سنين منها ما هو قبل الستين والست مئة الهجرية » ^(٢) .

وجاء في تلخيص الآثار :

« مراغة مدينة كبيرة مشهورة بأذربيجان ، كثيرة الأهل ، غزيرة الماء ، وافرة الثمرات ، بها آثار عديدة للمجوس ومدارس وخاناتها ، وبها بستان تسمى (قيامت آباد) بمساحة

(١) دانشمندان أذربيجان ص ٣٧٧ وفي أحوال مرافقة التاريخية .

(٢) حوادث المئة السابعة ص ٣٤١ ، وجامع التواريخ ٢/٢٧٧ .

الخواجه نصير الدين الطوسي وعلم الفلك

فرسخ في فرسخ ، وبقر بها جمعة (كذا) يفور الماء الحار منها يأتيها أهل العاهات للاستحمام ، ومن مفاخرها القاضي صدر الدين المشهور بالجود والكرم ، ومن خيراته سور مدينة قزوین « اه . وفي (روز نامه علمیه دولت علیه ایران) جاد كلام مختصر في رصد مراغة ومحلّه يقال له (رصد داغي) أي (تل الرصد) أو (جبل الرصد) ، وهناك رسمت خارطة بذلك الرصد ، وذلك في العدد السابع منها المنشور بتاريخ غرة صفر سنة ١٢٨١ هـ . (١)

ونعود الى الرصد فنقول كان مسبقاً بأرصاد عديدة معتبرة ، أشهرها :

(١) رصد أبرخس .

(٢) رصد بطليموس .

(٣) رصد الأمون ، بني سنة ٢١٤ هـ .

(٤) رصد البتاني في حدود الشام .

(٥) الرصد الحاكمي بمصر .

(٦) رصد بني الأعمى ببغداد .

هذا ، وللمراق نصيب في المشاركة برصد مراغة في المال وفي السكتب .

مؤلفات الخواجه الطوسي

إن الخواجه له مؤلفات عديدة ، ولا تزال الأيام تكشف عن بعضها ، ولا يسم القسم ذكرها جميعها ، وهذه أشهرها :

(١) الزيج الإيلخاني :

إن بناء الرصد حقق مطالب فلسفية عديدة ، من أهمها : الزيج الإيلخاني ، شاركه في عمله جماعة من العلماء ، كتبه بالفارسية ، وذكر فيه جنكيز خان وأولاده وكيفية أستيلانهم على الممالك وظهورهم ، ثم قال : إن هؤلاء كانوا قهرهمذان ، وأستولى على بغداد ، وأزال الخليفة ، حتى

(١) فاكستدان أذربايجان ص ٣٧٨ .

عباس المزايي

وصل الى حدود مصر ، ودمر البغاة . وأما أرباب الفنون المتنوعة ، فقد أحترقهم ، وأعزهم ، ووضعهم في الموضع اللائق ، وأنا العبد النصير من طوس ، فصرت الى همدان ، فأخرجني من هناك ، وأختارني لعمل الرصد ، وطلب العارفين بالرصد ، ودعاهم لعمله ، وأمر أن تجمع له الكتب من بغداد والشام والموصل للاستعانة بها والاستفادة منها ، حتى تم الرصد .

وجعل هذا الزيج مرتباً على أربع مقالات :

(١) في التواريخ . (٢) في سير السكواكب ومواضعها طولاً وعرضاً . (٣) في أوقات المظالم . (٤) باقي أعمال النجوم .

ومن هذا الزيج نسخة في جامعة كبرج ، وأخرى في الخزانة الوطنية بباريس ، وعندى عدة نسخ منه بينها ما هو ناقص الورقة الأولى .

وكانت الأزياج قبله كثيرة ، إلا أنها برور الأيام ظهر نقصها ، فأصلحها الزيج الإيلخاني ، وكتب بعده آخرون أزياجاً موضحة للزيج الإيلخاني أو مختصرة له وكلها ذات علاقة به ، ودام العمل به الى أن ظهر زيج أولوغ بك ، فقد حققه ، وأصلح فيه اصلاحاً مهماً .

ويلاحظ أن السنة الإيلخانية مشئت على هذا الزيج ، وعمل بها ، وأعتبرت سنتها سنة خراجية أي هجرية شمسية ، وذلك اعتباراً من ١٢ شهر رجب لسنة ٧٠١ هـ .

وفي أيام السلطان أبي سعيد ضربت النقود على التاريخ الإيلخاني سنة ثلاث وثلاثين وسنة أربع وثلاثين إيلخانية ، ولم تظهر بعدها نقود على السنين الإيلخانية ، إلا أن العمل بالسنة الإيلخانية دام مدة في جباية الضرائب ، وتسكمت على السنة الخراجية أو المالية في تاريخ العراق بين احتلالين ٤٦/٧ .

(٢) بيست باب :

هو في الأسطرلاب على عشرين باباً (بيست باب) منه نسخة في خزانة آياصوفيا وفي خزائن كتب عديدة . أوله : الحمد لله حمد الشاكرين ، وهذه المقدمة لبست منه ، ويظن أن آلة الأسطرلاب الموجود في (ليننجراد) المقدم الى المجمع العلمي فيها صكان مما يستعمله الخواجه

الخواجه نصير الدين الطوسي وعلم الفلك

الطوسي ، قال ذلك المسيو دورن . والظاهر أنه من أسطرلابات الإسماعيلية ، وكان من الغنائم التي أخذت منهم ، فأستولى عليها عطاء ملك الجويني ، وبمقتضى الاحتفال طبع في جامعة طهران . وعندني نسخة منه باللغة العربية تحتوي على عشرين باباً ، كتبت سنة ١٢٣٥ هـ ، وهذه نقلت عن الفارسية ، ولم يمتن أسم ناقلها .

وعلى هذا الكتاب شروح كثيرة ، منها :

(١) شرح الشيخ عبد العلي بن محمد بن حسين البيرجندي (البيرجندي) ألفه سنة ٨٩٣ هـ - ١٤٨٧ م ، وتوفي سنة ٩٣٤ هـ ١٥٢٧ م . أوله : « فاتحة خطاب در علم باب وخاتمة مراحا ... الخ » ١ هـ ^(١) وعندني مخطوطة منه برقم ٩٠٤ كتبت سنة ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧ م ، وأخرى أقدم منها ليس لها تاريخ ، وفيها أشكال هندسية متقنة ، ومنه نسخة في جامعة طهران قسم ٣ ص ٩٠٤ .

وللخواجه كتب أخرى في الأسطرلاب لم تشتهر اشتهار بيست باب .

والأسطرلاب لفظ يوناني ، ويرجح ذلك صاحب مفاتيح العلوم ، ومنهم من قال : اللفظة فارسية ، أصلها (ستاره باب) ، ومنهم من بالغ في قديمها ، ونسبها الى ابن ادريس (ع) ، وهو (لاب) ، فقيل (سطرلاب) مما يدل على قدم هذه الآلة .

وأول من عمل هذه الآلة من العرب المسلمين أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري كان من علماء الفلك أيام الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ٧٥٤ م ، ١٥٨ هـ - ٧٧٥ م) ، وهذا الأسطرلاب قد فقد .

ثم تلتها مؤلفات كثيرة ، وفي كشف الظنون جملة منها في مادة (أسطرلاب) ، وجملة في مادة رسالة في الأسطرلاب .

وفي فهرس مجلس الأمة الإيراني جملة كبيرة من المؤلفات في الأسطرلاب ، منها (كتاب استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الأسطرلاب) للبيروني ، وجاء في الفهرست :

(١) خزائن مجلس الأمة الإيراني ١٠٤/٢ .

وفي صناعة الأسطرلاب كتب كثيرة في اللغة العربية ، منها : (كتاب الكامل) لشهاب الدين أحمد بن محمد الفرغاني ، وله (صناعة الأسطرلاب بالهندسة) ، و (صناعة الأسطرلاب والبرهان عليه) لأحمد بن محمد بن كثير ، و (صناعة الأسطرلاب للطريق العناني) لمنصور بن علي بن عراق ، و (العمل بالأسطرلاب) لأمية بن أبي الصلت ، إلى آخر ما ذكر من مؤلفات .

وذكرنا في تاريخ علم الفلك ما تمكنا من ذكره من مؤلفات في الأسطرلاب . وذكر الأستاذ أحمد مختار صبري رسالة في دار الكتب المصرية سماها (تذكرة أولي الألباب في استيفاء العمل بالأسطرلاب) للشيخ أبي القاسم أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ... اعتمدها في بحثه ، كما اعتمد غيرها . والصواب في أسمه على ما جاء في ذيل كشف الظنون أبو القاسم أحمد بن علي بن إبراهيم . وألقى الأستاذ محاضرة في الأسطرلاب وتاريخه عند اليونانيين والإسكندرانيين ، ونشرها في رسالة .

وفي خزانة مشكاة أسطرلابات مع نساويها وبيان رسائل فيها . وتهمنا كثيراً . وفي الخزانة أسطرلابات كثيرة تحتاج إلى تدوين صحيح ومتن وإلى مقابلات لمعرفة مؤلفيها . ولا يزال البحث بكرة ، ولم يحقق فيه عن جميع الأسطرلابات الموجودة في خزائن الكتب العامة . وجاء في قاموس الرياضيات للأستاذ صالح زكي بحث موسع في الأسطرلاب لا يقل مكانة عن غيره ٣٠٣/١ — ٣١٠ ، وفيه بيان الأسطرلابات التي تنسب إلى مشاهير العلماء ، أو تعين لنا عصرها مما وصل إلينا ، ومنها ما هو منسوب ، ومنها ما هو بخط العلماء المشاهير الذين يرجع إليهم ويؤخذ بتحقيقهم وانتقائهم للتوصل إلى ما هو متمد وموثوق به توقيفاً من الغلط ، لا سيما في عصر لا نستطيع أن نأخذ العلم من أفواه الرجال ، فمن الأولى أن نأخذ المعتمد من المخلفات المنسوبة في الأسطرلاب وفي سائر العلوم ، وقد قيل قديماً :

وإنك إن ترى للعلم شيئاً يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه وخذ من الرجال بلا ملال

ولا تأخذه عن كتب فتلفى من التصحيف بالداء الضال

وهنا لا يسمن أن نذكر جميع كتب الأستارلاب لما بعد الطوسي ، وإنما نذكر تاريخ علم الفلك ، وفي هذه الحالة اقتصرنا على من له علاقة به ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى مقال للأستاذ كوركيس عواد في مجلة سورس لسنة ١٩٥٧ م ج ١٣ .

(٣) الزبدة في الهيئة :

فارسية ، وهي توضح أحوال الأفلاك والأجرام ، وهذه مطبوعة ، ومنها نسخة خطية في خزانة مجلس الأمة الإيراني .

وتسمى هذه الرسالة (زبدة الإدراك في هيئة الأفلاك) ، نقلها إلى العربية أفضل المتأخرين ملك الفقهاء والحكام ، والمتكلمين نصير الملة والحق والدين علي بن محمد الكاشي . كذا جاء في نعته . وأوله : « الحمد لله فاطر السموات ومدورها ، ومبدع الكواكب ومدورها ، الخ » . نقله إلى العربية مبدئياً أنه قصد أن تعم فائدته . منه نسخة بخط الشيخ محمد السماوي وصلت إلى الأستاذ صادق كونه الهامي ، ولهذا الناقل (كتاب النكات) يحوي خمسين مسألة في المغالطات والنكات في الكلام والفلسفة ، رأيتها في عين المجموعة .

(٤) الرسالة المعينية :

في الهيئة ، كتبها باللغة الفارسية ، وتحتوي على أربع مقالات ، وفي كل مقالة عدة أبواب . قدمها إلى معين الدولة أبي الشمس بن عبد الرحمن . وهذا الكتاب يسمى بـ (المفيد) أيضاً . ومنه نسخ في خزانة مجلس الأمة الإيراني ، ونسخة منه لدى الأستاذ صادق كونه الهامي ، وقد طبعت في إيران ، وكذا صوّرت نسخة منها في رسائل مهرجانات الحواجة الطوسي ، وطبعت في مطبعة الجامعة بتهران بمناسبة الاحتفال بالحواجة الطوسي .

(٥) رسالة حل ما لا يحل :

في توضيح مشكلات الرسالة المعينية ، ونسخها الخطية متعددة في مختلف خزائن الكتب ، وفي فهرس خزانة مشكاة في جامعة طهران (حل مشكلات معينة) ، وطابع في جامعة طهران

بمناسبة الاحتفال .

(٦) كتاب الثمرة في أحكام النجوم :

ترجمه من بطليموس إلى الفارسية بإشارة من المصاحب بهاء الدين محمد الجويني ، وشرحه الخواجه الطوسي بالفارسية ، وهو في التنجيم ، منه نسخة في دار الكتب المصرية ، وكذا شرح الأصل العربي للمهندس أحمد بن يوسف المصري كاتب آل طولوت ، منه نسخة في خزانة الشهيد الرضوي كتب بخط أبي علي الحسين بن عبد الرحمن الصوفي الرازي سنة ٣٧١ هـ . وورد في كشف الظنون شروح كثيرة له ، منها شرح الخواجه بالفارسية .

(٧) سي فصل في الحياة ومعرفة التقويم : وعندي مخطوطة منه برقم ٣٥٩ وعليه بمض التعليقات ، وعندي مختصره ضمن مجموعة وعليه بمض شروح كتبت سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٨ م ، وسماها وسيلة في التقويم للسيد المنجم .

وشرحه :

(١) بدر الطبري سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٣١ م .

(ب) ميرزا محمد رضا المستوفي بن محمد شفيع الماصر لثاء عباس الثاني ، وهذا الشرح بالفارسية أيضاً ألفه سنة ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م ، منه نسخة في خزانة مجلس الأمة الإيراني^(١) .
(ج) كتاب ربيع المنجمين ، فارسي ، منه نسخة في خزانة مجلس الأمة الإيراني وگاه شماری ص ٣٠٠ .

(٨) المختصر في علم التنجيم ومعرفة التقويم :

كتب باللغة العربية ، ولم يعرف شارحه ، منه نسخة في خزانة برلين (گاه شماری ص ١٦٨) ، وفي خزانتي نسخة مخطوطة منها ضمن مجموعة .

(٩) رسالة مختصرة في الأسطرلاب : أولها : « الحمد لله رب العالمين » ، وتحتوي خمسة

عشر فصلاً ، وفي خزانتي مخطوطة ضمن مجموعة .

(١) خزانة مجلس الأمة الإيراني ٩٤/٢ .

(١٠) رسائل الخواجه الطوسي :

وهي ١٦ رسالة ، طبعت في مجلدين في مطبعة المعارف العثمانية في حيدرآباد دكن سنة ١٣٥٩ م ، ومن هذه الرسائل ما هو من تأليف الخواجه ، ومنها ما حرره . ومن هذه الرسائل (الرسالة الشافية) ، نقد بها أقليدس في الشكل الثالث ، وأشار اليها الأستاذ شمس الدين محمد السمرقندي في كتابه أشكال التأسيس ، كما نقد شمس الدين السمرقندي ابن الهيثم والجوهري وجماعة منهم الخواجه في رسالته هذه ، ومنهم أمير الدين الأبهري وأبن واصل صاحب (مفرج الكروب) في التأريخ ، وفي هذه ما يوضح في التأريخ علاقة الهندسة بالتطور العلمي عند العرب .

وفي تحرير الأكر جري الأمر على هذا النوال ، مثل أكر مانالاوس من علماء الهندسة . عندي مخطوطته التي حررها الخواجه الطوسي في جمادى الأولى سنة ٦٥١ هـ وذكرها في رسائله ، وكذا مخطوطاته .

(١١) تحرير المجسطي :

من الكتب المنقولة الى العربية في أوائل العهد العباسي ، نقله جملة علماء ، وحرره الخواجه الطوسي ، أوله : « أحمدهم مبدءاً كل مبدءاً وغاية كل غاية » ألفه لحسام الدين حسن بن محمد السيواسي ، وكان تحريره في ٥ شوال سنة ٦٤٤ هـ ، ومنه نسخ في خزانة آياصوفيا ، وفي كتاب المخطوطات العربية في دور المكتب الأميري للأستاذ كوركيس عواد قال : بهذا الاسم مخطوطة لأبي عبد الله محمد كتبت سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤ م ، ومنه نسخة في خزانة جامعة (كولبيا) في نيويورك مؤرخة قبل سنة ٧٣٣ هـ - ١٣٣٢ م ، وهو في الحياة .

والمجسطي نال عناية كبيرة من العلماء ، وإن البيروني نقده في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) ، وأبدى في كتبه آراء معارضة له ، وكذا الصوفي وجبه نقده عليه وعلى البتاني في رسده (١) .

(١) مقالة للأستاذ حسن الملا عثمان في مؤتمر العلوم الأول في الاسكندرية .

عباس المزاوي

وشرحه :

(١) شمس الدين محمد السمرقندي ، وهو شرح مشتمل على مشكلاته في مجلد ، ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي في بغداد وفي خزانة مجلس الأمة الإيراني ^(١) .

(٢) شرحه بمض المتأخرين . أوله : « الحمد لله الأول بلا ابتداء ... الخ » ، وأوضح عنه صاحب كشف الظنون ولم يعين مؤلفه .

(٣) تفسير التحرير للنظام الأعرج النيسابوري ، وهو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج ، أوله : « السعد قرين من صدر كلامه بالحمد لوهاب السعادة الخ » اه . وقال في القطب الشيرازي إنه أشار متسماً الله بطول مدته أن الحواشي علم منصوب عند الطرّاق ... فيخلق أن يفرغ لتفسير التحرير . فرغ من تأليفه سنة ٨٧٠ هـ . ١٣٠٤ م . منه نسخة في خزانة مشكاة في جامعة طهران قسم ٢ ص ٨٦٤ .

(٤) حل الشكوك من تحرير المجسطي : منه نسخة في خزانة آيا صوفيا ، ولعله نفس كتاب شمس الدين السمرقندي .

(١٢) تحرير أفليدس في أصول الهندسة والحساب ، أوله : « الحمد لله الذي منه الابتداء واليه الانتهاء الخ » ، وجاء في مقدمته : وبعد فلما فرغت من تحرير المجسطي رأيت أن أحرر كتاب (أصول الهندسة والحساب) المنسوب إلى أفليدس الصوري بإيجاز غير مخل . حرره في ٢٢ شعبان سنة ١٢٤٦ هـ . « منه نسخة في خزانة آيا صوفيا وفي خزانة المتحف العراقي في بغداد ، وعندني نسخة مخطوطة منه برقم ٤٣٨ وأخرى برقم ٥٧٣ ، بل عندني نسخ عديدة منه . وكان قد نقل منه كثيرون ، وشرحوا هذا الكتاب ، فجاء تحرير الخواجه مهمّاً في الموضوع . وعليه (حاشية) للشريف الجرجاني ، وشرحه موسى بن محمد المعروف بـ (قاضي زاده الرومي) بلغ بها إلى آخر المقالة السابعة . كتبت سنة ١٠٨٠ هـ . وجاء في مجلة المخطوطات العربية ١٣/٣ في مقال للدكتور حسين علي محفوظ : منه نسخة في خزانة ميرزا محمد علي خان تريت في تبريز .

(١) خزانة مجلس الأمة الإيراني ٨٨/٢ .

وجاء في كشف الظنون ذكر حاشية أولها : « الحمد لله الذي رفع سطح السماء » .
ورأيت من كتاب أقليدس الأصلي نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق ، وفي آخرها
تكلمة لهذا الكتاب في الموسيقى ، مع أن باقي النسخ خالية من بحث الموسيقى ، ويصح
الاستدراك على الأستاذ فارسي بها على كتابه المصادر في الموسيقى العربية .
هذا وأشكال التأسيس لشمس الدين محمد السمرقندي مقتبس من تحرير أقليدس ، وعندني
نسخة منه بخط ناصر بن سلطان الجبوري وتحتوي على ٣٥ شكلاً .

(١٣) التذكرة في الهيئة :

كتاب مختصر جامع لمسائل الفن وبعض دلائله ، مشتمل على أربع مئة أبواب ، ويسمى
(التذكرة النصيرية في الهيئة) قال عناية من العلماء لما كان مؤلفه من الشهرة في علوم الفلك ،
ويعد من أجل الكتب المدرسية . ولم يهمل أو يقل الاشتغال به إلا بكتاب (الملخص في الهيئة)
للجفميني ، ومنه نسخة في الأحمديية بحلب وفي خزانة الجامع الأزهر ٣٢٥/٦ ، وفي آياصوفيا
رقم ٢٥٨٩ ، أولها : « الحمد لله مفيض الخير إلى آخره » وفي مواطن أخرى .

ومن شروحه :

(١) شرح التذكرة للشريفي ، ولم نثر على نسخة من هذا الشرح ، وكان أعتمده
الخفري في شرح التذكرة . وبعد شرح الشريفي من أقدم الشروح ، بل لم نعلم شرحاً قبله .
(٢) شرح قطب الدين الشيرازي العالم المعروف .

(٣) شرح النظام الأعرج المسمى بـ (توضيح التذكرة) ، وهو المحقق نظام الدين حسن
ابن محمد النيسابوري المتوفى بعد سنة ٧١١ هـ — ١٣١١ م ، ويحوي زبدة الفن . وهو شرح
بالقول وعلى صغر حجمه كثير المعنى ، منطوق على زبدة أنظار المحدثين والقديماء ، قال الشارح :
« وهو على وجازته يصعب على المبتدئين إدراكه » فأقرحت طائفة من أخلائه شرحه ، فشرحه ،
وأتبعه إلى المولى الأعظم أقصى فضاة العالم نظام الدين علي بن محمود الزيدي ، وألزم إيراد البق
بتمامه ، ورسم أشكاله بالحجرة وأشكال الشرح بالسواد ، وفرغ من تأليفه في غرة شهر ربيع الأول

سنة ٧١١ هـ - ١٣١١ م . وهذا في عهد المول ، ومنه نسخة في الأزهري ٣٢٧/٦ وفي خزانة مجلس الأئمة الإيراني ٩١/٢ وأخرى في خزانة البلدية في الاسكندرية إلا أنها لا تخلو من نقص وعندي نسخة منه بتاريخ ١١٣٨ هـ - ١٧٢٥ م ورقم ٣٠٥ .

(٤) شرح السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م ، ومنه نسخة في آياصوفيا ، ونسخة في خزانة المتحف العراقي في بغداد ، أولها : « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً » ، ونسخة أخرى في برلين ذكرها صاحب (گاه شماری) .

(٥) شرح البيرجندي (البرجندي) هو الشيخ عبد الملي بن محمد بن حسين البيرجندي ، منه نسخة في خزانة مجلس الأئمة الإيراني ، أولها : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وبسط على بساط السامرة » .

(٦) شرح الخفري ، وهو من تلامذة سعد الدين . وشرحه زوج ، أدرج فيه ألفاظ الشرح الشريف وغيره من الشروح ، وسماه بـ (التكملة في شرح التذكرة) . فرغ من تأليفه في المحرم سنة ٩٣٢ هـ - ١٥٢٥ م ، منه نسخة في خزانة المتحف العراقي ببغداد .

هذه أشهر مؤلفات الخواجه الطوسي التي وصلت إلينا في الفلك وما يتعلق به ، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى ما كتبه الأستاذ (مدرس رضوي) في كتابه (أحوال وآثار خواجه طوسي) . وكان اشتغال الرجل في علم الأوائل مهماً ، ويمد أضلاً في الثقافة الفلكية في عصره ، وكذا في العلم الرياضي وفي التنجيم فيعتبر من أكابر المشتغلين بها وبالفلسفة الاشراقية (الأفلاطونية الحديثة) . ولا شك أن أنصراف الباطنية إلى هذه العلوم كان كبيراً جداً ، أو بالتعبير الأولى اعتقدوا بصحة هذه العلوم أو اعتبروها عقيدة فمالوا إليها ميلاً واحدة ، والآن لم تبق لها إلا قيمتها التاريخية للثقافة وتطوراتها لمختلف العصور . والفرض معرفة العلم ، ولا يهم ما إذا اعتقد القوم بها أو لم يعتقدوا . وكان هؤلاء ممن اعتقد بصحتها ، وكان لا يتحرك إلا بأمرها لاسيما التنجيم . وعلى كل حال كان أثرها على الباطنية وفلاة التصوف كبيراً ، وموضوع بحثنا

الخواجه نصير الدين الطوسي وعلم الفلك

اشتغال الخواجه بهذا العلم وما يتعلق به ، ولعله السبب الأكبر في تقدمه لدى هؤلاء ، فتمكن من إقناعه في (بناء الرصد) .

وتظهر قيمة مؤلفات الخواجه الطوسي بما نالت من عناية من علماء كثيرين ، بالنقل إلى العربية ، وبالشرح والتعليق وما اكتسب من شهرة ومكانة علمية . والاشتغال العلمي بهذه العلوم لم يقطع من جراء أن المؤلف أدرك دقائق الفن ، وزادت الاشتغالات ، وتكاملت من آخرين عملوا معه في الرصد ، ولم تترك العلاقة آثاره ، ومنها يشكون مجموع عظيم . وإذا كانت قدمت اليوم هذه الآثار مكانتها العلمية ، فإنها لم تفقد قيمتها التاريخية ولا التطور في تاريخ الثقافة ، فكان لها الأثر في التكامل إلى أن بلغ مدى بعيداً في هذه الأيام سواء في إتقان الآلات أو إيجاد آلات جديدة أو إثارة بحوث في طبقات الجو ، وفي علاقة أرضنا بالمجموعة الشمسية أو المجموعات والنظومات الأخرى . فالعرب مهدوا البحوث ، وطبقوا علم البحار على الفلك ، وظهر سليمان المهري وأبن ماجد وأضرابهما . وهنا نقول إن الأستاذ الطوسي لم يستبد في العمل ، وإنما استخدم علماء الأقطار ، واستفاد من خبرتهم ومكانتهم ، فكان الاشتغال عظيماً ، واستخدم تلاميذ للتدريب ، وأستطلع آراءهم ، فتمعنوا على تقوية المعرفة ، وللمذاكرة والداولة محلها في الكشف والايضاح عن الأغراض العلمية . ومباحث الطوسي ومن معه تستند إلى بناء الفكرة على ما عند العرب من مخلفات علمية جمعتها خزانة مراغة .

ومن جهة أخرى لا تفكر علاقة الطوسي بالعراق من حين الفتح إلى تاريخ وفاته . وكانت قبل هذا حياته متصلة بالاسماعيلية . فبعد الشروع في بناء الرصد نال منصب صدر الوقوف مكان الأستاذ صفي الدين الأرموي^(١) ، وكان يمارض الخواجه قاضي القضاة بينداد ، فلم يفلح في مزاحته في هذا المنصب أو في التدخل في الوقوف . هذا ، ولا محل لتفصيل أحوال القائمين بالرصد مع الخواجه ، ولا علاقة المؤلفين بآثار الخواجه لمختلف المصور ، فهذا يطول ، كما أنه في مؤلفاته الأخرى من فلسفية وكلامية ذو علاقة وصلات مكينة ، ولها موطن آخر .

(٢) اللوسيني العراقية في عهد النجاشي والدكنان ص ٢٢ .

المراجع

الوافي بالوفيات ، والمبر للذهبي ، وفوات الوفيات ، وحوادث المئة السابعة ، وآثار الشيعة الإمامية ٥٤/٤ ، وابن كثير ٢٦٧/١٣ ، وأخبار الحسكة للشهرزوري جاءت فيها ترجمته تكملة الأصل ، وروضات الجنات ص ٦١٥ وفيه تفصيل مؤلفاته مع ذكر العلماء الذين اشتغلوا في الرصد ، وجامع التواريخ ٢٧٨/٢ ، ودانشمنداد ذوبيجان ص ٣٨٧ ، وعقد الجمان ، والشذرات ، وهدية المارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١٣١/٢ . وترجمه من المعاصرين : الأستاذ في جامعة طهران المدرس الرضوي ، أطرب في حياته بكتابة أحوال وآثار الخواجه الطوسي ، وكذا الأستاذ الفاضل محمد مدرسي الزنجاني من أساتذة جامعة طهران ، وآخرون من الأساتذة . وحضر الاحتفال به جماعة تعرض بعضهم لترجمة الخواجه الطوسي . وكل أصحاب هذه المؤلفات يشهدون بسمه علمه ، ولكنهم يتعمدون في الأكثر على علاقته بالإسماعيلية ، وعلى اتصاله بهولاكو ، وعلى فتواه في فتح بغداد .

عباس المزاي

دراسات في العقل والدماع

آراء الفلاسفة القدماء في العقل

أقدم الفلاسفة تحديداً للعقل الانساني سقراط الحكيم ، فقد وضع العقل مقابل الحواس ، و فرق بين عالم الحس الذي يحتوي على الجزئيات من الأشياء وعالم العقل الذي يتكون من الإدراكات الكلية Universals التي يقوم بها العقل دون الحواس . وهذه الإدراكات الكلية يصل اليها العقل بطريقة الاستقراء : فيستعرض الجزئيات ، ويجمع الصفات الجوهرية المشتركة بينها ، ويحدد الصفات المرضية التي يتصف بها بعض الجزئيات دون بعض . وهكذا يميز العقل بين الأنواع والأجناس ، ويضع لها (تعريفاً) . وأنتهى سقراط الى أن هذه المدركات العقلية الكلية للأشياء هي صور ذهنية ليس لها مدلول يطابقها في العالم الخارجي ، فالإنسان « حيوان ناطق » هو إدراك كلي لنوع الانسان ، غير أن هذا النوع ليس له وجود إلا في الذهن ، والذي يوجد هو أشخاص هذا النوع .

ولما جاء أفلاطون ، قرر أن هذه الإدراكات الكلية في العقل ليست من عمل العقل بالذات ، بل هي صور لإدراكات كلية موجودة في الخارج هي (المثل Ideas) ، ومعرفة الانسان إنما هي تذكر لتلك المثل .

أما أرسطو فقرر أن معرفة الإنسان تجيء عن طريق الحواس ، وأن المدركات الكلية إنما هي من أعمال العقل وليس لها وجود إلا في أذهاننا ، وهذا هو الصحيح ، إلا أن أرسطو حين عالج مشكلة العقل استخدم الأسس التي بنى عليها فلسفته في الوجود والخلق ، وهي المركزة حول الهولي (المادة) والصورة . فالهولي هي مادة الوجود التي يكون منها كل شيء ، أو هي بمبارة أخرى كل شيء بالقوة (Potentiality) . والصورة هي جميع الصفات التي تنصب

على المادة فتجعلها شيئاً بالفعل (Actuality) بعد أن كانت شيئاً بالقوة . ولذلك فقد ميز بين « العقل الذي تصير منه كل الأشياء »^(١) ، وهو العقل بالقوة ، وربما أراد به الاستعداد المتنوع الناشئ عن اتصال العقل بالبدن ، وبين « العقل الذي يفعله تحدث كل الأشياء » . أما الجزء الأول فهو العقل بالقوة أو العقل الهولاني ، وهو أشبه بمجال الاحساس والتخيل في الدماغ ، وهو المجال الذي لابد أن يعمل العقل (الفاعل) فيه بالتجريد حتى يستخلص منه (السكلي) ؛ وأما الجزء الثاني فهو علة فاعلة تحدث المقولات ، وهو بمثابة الصورة التي قصدها أرسطو ، ويعبر عنها أرسطو بالعقل الفاعل ، وهو الذي تصير به المقولات بالقوة (أي الاحساس والتخيل) بمقولات بالفعل (مدركات كلية) . وقد عبر فيلسوفنا الكندي عن هذا المعنى بالعقل الأول ، والعقل الثاني . فالعقل الأول علة جميع المقولات والمقول الثواني^(٢) .

وخلاصة هذه الفلسفة في العقل هي أن الدماغ به الاحساس والتخيل ؛ هو العقل الهولاني . وهذا الاحساس والتخيل يجعل منه العقل الأول (مدركات كلية) . وهذا العقل الأول ، اتفق الفلاسفة على أنه شيء نازل على الدماغ من الخارج ، فهو كما وصفه أرسطو : « شبيه بالنور ، مفارق (للجسم) غير مختزج (بشيء آخر) . وهو متى فارق (الانسان) عاد الى الحالة التي كان عليها قبل اتصاله بالانسان . وهذا وحده هو اللامات الأبدية »^(٣) . ولم ينكروا كون الدماغ عضو التفكير بالقوة ، لكنه بالفعل يحتاج الى عقل أول هو علة تحويل المقولات بالقوة الى مقولات بالفعل .

لكن أرسطو قال بالمثل الأربع التي أبدها فيها العلم الحديث . تلك المثل هي : العلة المادية ، والعلة الحركة ، والعلة الصورية ، والعلة الغائية . وقد ركز أرسطو هذه المثل في اثنين سماها الهول (المادة) والصورة كما ذكرنا ؛ لأن المثل الثلاث ، الصورية والحركة والغائية ، يمكن رجوعها

(١) ترجمة النعمان البوناني من كتاب النفس لأرسطو (رسائل الكندي الفلسفية) . للأستاذ عبد الحميد الهادي أبو ريبة ص ٣٣٤ .

(٢) رسائل الكندي الفلسفية (رسالة في العقل) ص ٣٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٣٧ .

إلى شيء واحد سماه أرسطو الصورة . والغرض من هذا بيان « أن المادة أو القوة في أثناء تحولها إلى صورة ، أو فعل ، ليست تسير من الخلف بحركة ميكانيكية بحتة ، إنما تسيرها (الغاية) ، وتجذبها إليها . وهذا أساس (الغائية Teleology) في فلسفة القرون الوسطى . وقد أصبحت الغائية مبدءاً علمياً مقبولاً ، لأنها تعالج نظاماً آلياً يمكن من التحرك إلى غاية . وقد استخدم العلم الحديث ما يمثل الفلسفة الغائية في الحركة المتجهة إلى غاية ، وهي الآلية التي تمكن الأجسام من التحرك إلى غاية ، وتسمى هذه الآلية بالفيديباك (Feed-back) ، وهي أساس اختراع الرادار والقذائف الموجهة . وقد ثبت أن الدماغ والجهاز العصبي كله قد ركبت أجزاؤه للاستغفال على هذا الأساس .

قول جالينوس وأطباء القداماء في تشريح الدماغ والقوى النفسانية

في الدماغ ثلاثة أبطان : المقدم ، والوسط ، والمؤخر ، والقوى النفسانية ثلاث : (١) الحس المشترك والتخيل وهما في البطنين القسديين . التخيل هو إدراك ما ليس بحاضر كأنه حاضر . (٢) الفكر ، وهو في البطن الأوسط . (٣) الذكر وهو في البطن المؤخر من بطون الدماغ . وهذه القوى النفسانية الثلاث ، التخيل والفكر والذكر ، يستمد كل منها قوته من (الروح الحيواني) النابع من القلب من بخار الدم الصافي (وهو غير الروح الانساني ، أي النفس الناطقة) . وتعمل القوى النفسانية واحدة بعد أخرى : فالقوة التي يتم بها التخيل تتصور الأشياء وتخيلها في البطن المقدم ، ثم تلقى إلى الفكر في البطن الأوسط ، أما القوة التي يتم بها الفكر فهي تنظر في الأشياء التي كان تصورهما بالتخيل ، فإن كانت من الأشياء التي تعمل ، عملت ؛ وإن كانت من الأشياء التي تحفظ ألقها إلى الحفظ ؛ والقوة التي يتم بها الحفظ تحفظ الأشياء التي عملت بالفكر أو الظن ، وتصورها وتطبعها في موضعها . وهذه القوة يسميها ابن سينا (القوة المتذكرة) أو (المذكرة) ، وهي المسترجعة لما غاب عن الحفظ من مخزونات الفكر . هذا موجز قول جالينوس وأطباء القداماء في تشريح الدماغ والقوى النفسانية

المصطلحات أو التعريفات

Mind : جاء في قاموس إلياس بمقابل هذه الكلمة : عقل ، بال ، ذهن ، فكر ، رأي .
وقد حصرت جماعة علم النفس المصرية ترجمة هذا اللفظ بالذهن ، وسوف نستعمل هذه
الكلمة . أما كلمة (عقل) فقد جاءت في ترجمة علم النفس لأرسطو مقابل Intellect أحياناً ،
و Nous في أحيان أخرى (*) .

Consciousness : يقابلها في قاموس إلياس سبع كلمات : وعي ، شعور ، وجدان ،
الشعور بالوجود ، يقظة ، صحو ، صواب ، عقل . وقد استعملت جماعة علم النفس المصرية
مقابل هذه الكلمة لفظ (شعور) ، وفي مقابل Incconsciousness لفظ (لاشعور) . أما
لفظ (وجدان) فقد استعمله فيلسوفنا الكندي فقال (تووجدنا) بمعنى تجملنا نشعر . وقد
شاع في زماننا استعمال كلمة (شعور) .

وهناك ألفاظ تتعلق بالشعور وتعتبر مراتب له أو حالات من حالاته ، كالوعي (Awareness)
وهو من معاني الشعور ، واليقظة (Wakefulness) والانتباه (Attention) .
والنفس ، كما جاء في الفلسفة القديمة ، أوسع شمولاً من العقل الذي يعتبر قوة من قواها .
وكذلك الذهن ، فإنه كالعقل قوة من قوى النفس . وربما اعتبرنا العقل والتعقل نتيجة لأعمال
الذهن الذي يقال له (Mind) .

وعلى هذا الأساس يكون الشعور (أي Consciousness) أي الوجدان ، كما قال
السينكدي ، ركناً من أركان الذهن ، والركن الآخر من أركان الذهن ما نسميه
بالمحافظة Memory ، ويلحق بهذين الركنين قوى أخرى مقومة للذهن لا بد منها للتفكير ،

(*) أما (النفس) فهي تقابل كلمة Psyche

دراسات في العقل والدماغ

مثل الإحساس Sensation والانفعال Emotion والانتباه Attention ؛ فإن الذهن مكون من تماسك هذه الأجزاء ، وأنصهارها في وحدة متماسكة .

مكونات الذهن Components of Mind

١ - الشعور Consciousness :

ومن معانيه الوعي (Awareness) : قال الأستاذ روسل برين ^(١) . . الشعور ليس شيئاً يمكن تعريفه بلغة أخرى ، وإنما نتمكن من الإشارة الى معناه بأن نذكر حالات يتجلى فيها الشعور . فانا إذا أسمع صوتاً ، أو أرى لوناً ، أو أتذكر شيئاً ، أو أنفعل من شيء ، أو أفكر في شيء ، فأنا أشعر ؛ فالشعور هو صفة مشتركة بين هذه الحالات التي نسميها بحالات الشعور . وليس هناك سبب لأن يكون وجوده مستغلاً عنها ، كما أن الألوان لا توجد مستقلة عن الأشياء الملونة بها . «

والشعور أي الوعي ، لا يقوم الذهن إلا به ، ولا يمكن أن نتصور أية ظاهرة للشعور في فقدان الشعور . ولذلك كانت عملية الوعي الركن الأول لأعمال الذهن ، وأقدم الظواهر العقلية نمواً في الدماغ .

اتجهت جهود العلماء الى البحث عن أعمال الدماغ على أسس حديثة منذ تبين أن تلك الأعمال إنما يحركها إخلاء قوة كهربائية تتولد في خلايا النسيج العصبي . وقد اتخذت البحوث اتجاهاً مثمراً حيناً أصبح في متناول الباحثين دراسة الفعالية الكهربائية للدماغ بواسطة الآلة الراسمة لها ، وهي (الالكتروانكيغالوغراف) وتمهد السبيل للباحثين بتقديم العمليات الجراحية على الدماغ ، وتطور الاختبارات على الحيوانات تطوراً سائراً التقدم الحديث في التشريح

(١) Brain. Vol LXXHI. 1950 P. 465

هاشم الوترني

والفسيولوجيا والفارماكولوجيا . وكان الاتجاه في السنين الأخيرة متركزاً حول منطقة تتولى إدارة الشعور ، وكانت الأدلة تشير الى أن مثل هذه المنطقة في الدماغ تدعو اليها ضرورة قيام الشعور الذي هو أساس التمثل ، وكذلك ضرورة توحيد الأجزاء التي يتكون منها الذهن . وقد برهنت العمليات الجراحية على المخ على أن الحالات التي اضطرت فيها الجراح الى حذف قشر المخ حذفاً كاملاً في شق منه ، لم يؤثر في الشعور ، وهو يدل على أن إدارة الشعور ليست من اختصاص قشر المخ . وإذا كانت هناك منطقة تسمى بالشعور ، فهي خارج قشر المخ . وقد تصدى للبحث عن هذه المنطقة جماعة من الباحثين ، كان في مقدمتهم الأستاذة (بانفيلد Penfield) و (ماغون Magoon) و (كاهورن Gellhorn Gilhorn) ، وكانت النتيجة التي أجمع عليها الرأي هي أن المنطقة المسيطرة على الشعور هي في القسم العلوي من ساق المخ المسمى بالجهاز الشبكي (Reticular System) ، وهذا الجهاز يرسل في حال اليقظة تيارات مواصلة تجعل قشر المخ مستعداً للعمليات العقلية ، وله وظائف مهمة أخرى سنأتي على ذكرها عند بياننا للأعمال الذهنية الأخرى ، وتختلف فيما درجة الوعي بالنسبة الى ما يكون عليه هذا الجهاز من الفعالية . ولهذا الجهاز اتصالات كثيرة ذات شأن كبير في العمليات العقلية تأتي على ذكرها كلما ذكرنا واحدة من تلك العمليات . فهو بالدرجة الأولى جهاز الانفعالات النفسية وجهاز الوعي ، وفيه تنصهر الإحساسات التي تأتي بها الحواس من العالم الخارجي لتكون منها معارفنا ومحفوزاتنا . وهو من أجل هذه الوظائف متصل بقشر المخ من جهة ، وبالأجهزة الحاسة من جهة أخرى ، وفي خدمته أعصاب الجهاز المستقل Autonomic الذي يضبط به حالاتنا النفسية .

٢ — الإدراك الحسي Perception :

هذا الإدراك من أهم وسائل معرفتنا للعالم الخارجي . وللإحساس نوع آخر من غير هذا . فإن ما نعرف به العالم الخارجي ذلك الذي يأتي من الحواس الخمس ، وخاصة العين والأذن . فإن ما يأتي به السمع والبصر يتم إدراكه في قشر المخ . وأما النوع الآخر من الإحساس ، فهو ما سماه فرويد بـ (Affect) ، وهو يعبر عن الشعور باللذة والكراهية

دراسات في العقل والدماغ

جواباً لمنه ، وكذلك هو مركب انفعالي يرافق حالة ذهنية . وهذا يتم إدراكه في ساق الخ ، (وهو يحقق للنفس ما تحققه القوة الشهوانية والقوة العنسية) . ليس هذا موضع البحث في كيفية انتقال المحسوسات السمعية والبصرية وسائر محسوسات الحواس الخمس ، من صور مادية ذات مكان وزمان الى صور مجردة معقولة ندرك معانيها في أذهاننا ، تلك معضلة دونها صعوبات كثيرة ، وغرضنا بيان الأسس التي لا يتم إدراك حسي من دونها .

أولاً - ينبغي لك لأن تدرك المحسوسات أن تكون واعياً ، كما ذكرنا ، ووعينا إنما يتم بعمل (الجهاز الشبكي) الذي يسكن الجزء الأعلى من ساق الخ كما ذكرنا . فقد تحقق الأستاذ ماغون^(١) بالتجارب التي أجراها على القطط والقروذ أن ساق الخ تأتيه طائفتان من المحسوسات : (١) التي تحمل المحسوسات من الحواس كالعين والأذن وغيرها وهذه تمر من جانب الساق وتنتهي في مراكزها المعلومة في قشر المخ ، ولا يؤدي انقطاعها الى فقدان الشعور بالذات ، لكن بآنقطاعها ينقطع مورد معرفتنا عن العالم الخارجي ، وهي جزء مهم جداً من محتويات الشعور . (٢) والتي تحمل المحسوسات من داخل الجسم (Proprioceptive) وهي تنتهي في وسط الساق بالجهاز الشبكي الذي يدير آلة الوعي وسائر الأعمال النفسية كما ذكرنا .

ثانياً - ينبغي أن يتم توحيد المحسوسات أو صهرها بحركة لا يزال يحيط بها الغموض ، ولكن رسمها الأستاذ بانفيلد بنظرية بناها على أسس تجريبية تجعلها قريبة من الحقيقة ، وهي النظرية التي أوضح فيها كيفية الإدراك لما يصادفه الأحياء من الخبرات اليومية في العالم الخارجي ، وحفظها في سجلات الذاكرة ، واسترجاعها ، والاستفادة منها في بناء الحكم على ماهية الخبرات العقلية الدارجة كما سنذكره عند ذكرنا للمحافظة .

أما نظرية الأستاذ بانفيلد في كيفية إدراك المحسوسات ، فهي بالاجمال : أن جميع ما تأتي به حواسنا من العالم الخارجي ، بعد أن يصل إلى مراكزه في قشر المخ ، ينبغي أن يتوحد وينصهر في ساق الخ حيث الجهاز الشبكي للأستاذ (ماغون) . وقد أطلق الأستاذ بانفيلد على

الجزء الذي يتم به إجمال المحسوسات وجهرها (وهي العملية الضرورية الإدراك) اسم الجهاز الحسي المركزي (Centrencephalic System) . إن هذا الجهاز يتوحد فيه ما جاءت به الحواس من العالم الخارجي بعد مروره من محطات الإحساس في قشر المخ . وهذا الإجمال والصهر للمحسوسات في الجهاز الحسي المركزي يلحق به في هذا المكان من العناصر النفسية ، تفهم معاني الخبرة والإحساس بالعاطفة التي حركتها الخبرة . ويتصل هذا الجهاز اتصالاً وظيفياً بمراكز النطق ، وبأغلب فصوص المخ ، كالقصر الجبهي ، والقصر الصدغي الذي فيه مستودعات الذاكرة ، وسائر أنحاء القشر الحسي التي يتم التمثل بتكاتفها .

هذا وقد جاءت بحوث الأستاذ (غلمهورن Gilhorn)^(١) بنتائج قيمة تساعد على فهم الآلية الفسيولوجية التي يبني عليها الحس والإدراك الحسي ، تلخصها فيما يلي :

يستنتج مما شاهدته الأستاذ (ماكرن) ، نتيجة لبحوثه ، أن قشر المخ يتسلم نوعين من الدوافع العصبية (Impulses) في الأقل : الأول ما تنمير به فعالية القشر الحسي كله تقريباً ، وهو ما يرسله الجهاز الشبكي من ساق المخ إلى القشر كله (نتوقف حالة اليقظة على هذه الدوافع العصبية) ، والثاني ما ينبئه مراكز الحواس في قشر المخ كمراكز السمع والبصر ومسائر الحواس الخمس .

وقد أيدت بحوث الأستاذ (غلمهورن) أولاً أن الجهاز الشبكي^(٢) يعتمد عليه الوعي والشعور ، ثانياً أن مراكز الحواس في قشر المخ لم يؤثر في حيوياتها ونشاطها فتور الجهاز الشبكي وعطبه ، أعني أن هذا الجهاز إذا اعتراه الخمول ، كما يقع في حال السبات العميق ، وأرسلنا في هذه الحال ما ينبئه قشر المخ من ناحية المراكز البصرية (بتوجيه النور إلى العين مثلاً) ، وجدنا تلك الناحية لا تزال مستجيبة للنور . ويدل هذا على استقلال الجهازين من حيث عمل كل منهما مستقلاً عن الآخر . ولكن الحقيقة هي أن عمل أيهما مستقلاً عن الآخر لا يؤدي إلى إدراك

(١) Brain 1954, P. 141

(٢) يدخل ضمن هذا الجهاز ما نسميه بالمرير البصري Thalamus

دراسات في العقل والدماع

المحسوس ، لأن ذلك لا يتم إلا بتأزر الجهازين . وبعبارة أخرى أننا إذا منعنا ما يتسلمه قشر المخ من المحسوسات عن طريق الحواس الخمس ، لم نعدم بذلك ظاهرة الوعي بالذات ، غير أننا بمنعنا هذا قد قطعنا معين المعرفة عن العالم الخارجي ، والمعرفة أهم ما يتضمنه الشعور . ومن جهة أخرى نحن إذا دمرنا الجهاز الشبكي نفسه ، وجدنا أن ذلك لا يؤثر في مراكز الحواس من حيث قابليتها لأخذ المحسوسات كما هي ، غير أن أنعدام الجهاز الشبكي يحرم قشر المخ الدوافع القوية التي لا يتم إدراك المحسوسات إلا بوجودها . إذن فأي إدراك حسي لا بد أن يتضافر فيه الجهازان . فكيف يتم هذا التضافر ؟ .

لقد عالج الأستاذ ككلهورن هذه القضية فاستقر لديه رأي بناء على التجربة وهو : أن البواثت العصبية التي يرسلها الجهاز الشبكي في حال التنبيه تتفاعل هي والبواثت العصبية التي تصل إلى قشر المخ عن طريق الحواس . وهذا التفاعل بين نوعي البواثت ضروري لإدراك ما جاءت به الحواس ، لأن البواثت العصبية الآتية من الجهاز الشبكي (وهي تحمل قوى الانفعال) تؤدي عند تفاعلها هي والبواثت العصبية الحاملة للمحسوسات إلى تغيير في الإحساس لا بد منه في عملية الإدراك . ويظهر أثر هذا التغيير في مراكز الحواس في قشر المخ حيث تقوى استجابة هذه المراكز على المحسوسات وتتسع رقعتها ، إذن ما يؤديه الجهاز الشبكي من الخدمة في عملية الإدراك هو تحويل الإحساس لمصلحة قضية الإدراك ، وآلته في هذا التحويل ما يحويه من عوامل الانفعال النفسي الذي هو معدنه ومصدره ومالك زمامه .

أما مسألة انتقال الأشياء المحسوسة من العالم الخارجي إلى الذهن عن طريق الحواس فهي مسألة عويصة جداً ، كيف تنتقل الأشياء والمشاهد في عالمنا الخارجي إلى أذهاننا فتدركها ونحن نراها ونسمعها من بعيد . إن صورها المرئية والسموعة تفرع أسماعنا وأبصارنا ، فتأخذ رؤوس الأعصاب تلك الصور بأشكالها وأصواتها ، فتؤديها الأعصاب في شكل موجات كهربائية إلى محطات لها في قشر المخ حيث تستحيل إلى نماذج تدركها الذات الشاعرة . تلك مسألة ليس غرضنا التعرض لها الآن ، وإنما نريد أن نبين تأثير ساق المخ في قضية الإدراك

الحسي وعدم إمكان الإدراك بمجرد وصول المحسوسات الى مراكزها في قشر المخ ، بل لا بد للتعقل من حدوث تغيير أساسي في طبيعة المحسوسات بتأثير الحركة الانفعالية التي يقومها ساق المخ ، ومعنى ذلك بالنتيجة أننا لو لم نفعل لم ندرك ما نسمع وما نرى ، وبمعنى آخر نحن نفهم ما نسمع وما نرى بحركتنا الانفعالية التي يسيطر عليها ساق المخ . ولا ينحصر تأثير الحركة الانفعالية بإدراكنا الحسي ، بل يتناول من مظاهرنا النفسية ما هو أكثر تعقيداً ، كتخصيلنا للمعرفة وحفظنا لما نكتسب . والحركة الانفعالية في الصبا أقوى منها في السكينة ، ولذلك صح ما قيل في المثل « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » ، إننا نحفظ ما حدث في صغرنا أكثر مما نحفظ في كهولتنا .

الانفعال Emotion

رأينا أن ساق المخ يدير أمر اليقظة والشعور ، والإدراك الحسي ، وهناك عمليات نفسية أخرى يديرها ساق المخ ، وهي : المعرفة ، والتذكر ، والانتباه . ونقصد بساق المخ القسم الأعلى منه ويتضمن السريبر البصري (Thalamus) وتحت السريبر (Hypothalamus) ، وفيه ما دعاه الأستاذ (ماكون) بالجهاز الشبكي ، وكذلك ما سماه الأستاذ (بانفيلد) بالجهاز المخي المركزي .

أما الانفعال فهو الظاهرة النفسية التي تتجلى في ساق المخ ، وهو جزء من جهاز للانفعال واسع النطاق ، وهو كما جاء في كتاب الأستاذ (روسيل برين^(١)) مؤلف من رقعة واسمة من قشر المخ تتناول التلغيف الزناري (Gyrus Cinguli) وتلغيف حصان البحر (Hippocampus) وقرن آمون (Cornu ammonis) . وتتكون ظاهرة الانفعال من دوافع كهربائية تدور بين قشر المخ وتحت السريبر ، وتلك الدوافع تصدر من القشر المخي تارة ، ومن تحت السريبر تارة أخرى ، فهي اذا بدأت من قشر المخ تنشأ من (قرن آمون) ثم تتحول الى (الجسم الحلي) (Mamillary Body) ومنه تنتقل الى الثواة السريبرية الأمامية

(١) ص ٩٣٣ .

دراسات في العقل والدماغ

(Anterior Thalamic Nucleus) ثم إلى قشر التلفيف الزناري . ويضيف الأستاذ (روسسل برين) أن هذه الدورة تجعل بالإمكان صدور الانفعال إما من قشر المخ (بالفكير) ، وإما من تحت السرير (بالحس) .

والمنطقة التي هي تحت السرير (إيبوتالاموس^(١)) تملك قياد العصب المستقل (الوتونوس) الذي يتمكن به ساق المخ أن يعرب عن الانفعال بتغير جسماني ظاهر للعيان في بدن المنفعل . فكل انفعال يسجله ساق المخ تتكون لظهوره في بدن المنفعل صورة خاصة من أعمال العصب المستقل ، وبعبارة أخرى فإن نماذج الانفعال المختلفة يصاحبها أنواع مختلفة من أعمال العصب المستقل . فتارة تكون أعمال هذا العصب مركزة في فرعه السمپاتوي فيظهر أثر الانفعال في الوجه (اصفرار أو احمرار) . وتارة يكون تركيزها في فرعه الباراسمپاتوي الحاكم على المعدة والأمعاء والثانة فيظهر أثر الانفعال بانطلاق البطن وسلس البول . وههنا التركيز في أعمال العصب المستقل يتبع الاستعداد النفسي ونوع الانفعال ، ولكل منا ميله الخلفي لظهور انفعاله بالسمپاتوي أو الباراسمپاتوي ونحن نسمي المظاهر النفسية الناشئة عن تهيج أحد هذين العصبين بالخلق (Mood) ، وهو مظهر الانفعال في الذات الشاعرة . فلكل حالة انفعالية أو (خلق) نوع من الأوامر من ساق المخ للمناطق التي يحكم فيها العصب المستقل من جهة ، ولقشر المخ من جهة أخرى . وأعمالنا سواء أكانت بأبداننا أم بأذهاننا ، تتبع ما نكون عليه من الحالة الانفعالية أو الخلق . ففي حالة ما تقيس انساالأعمال سواء أكانت بدنية أم ذهنية ، وفي حالة من حالاتنا النفسية تقف قابلياتنا الذهنية والبدنية وقوفاً تاماً ، وما ذلك إلا لأن ساق المخ يرسل في حالاتنا الخلقية الخاصة تيارات تطلق قابلياتنا من عقالها وتنبعث تلك القابليات في سبيلها حرة مطلقة .

(١) الإيبوتالاموس hypothalamus أو تحت السرير هو القسم العلوي من ساق المخ الذي يكون منه قاع البطن الثالث من بطون الدماغ وشيء من جداره ، ويتضمن تعاليب العصب البصري ، والجسم المحي ، والمعدة الرمادية ، والفم ، والنخاعية العصبية .

المحافظة The Memory

المحافظة هي القوة التي نحفظ ونذكر بها ما خبرناه وما طرأ علينا من حوادث الماضي . وهي تتكون من ثلاثة أعمال : التسجيل Registration ، والحفظ Retention ، والتذكر Recall .

وقد رسم الأستاذ بانفيلد^(١) الطريقة التي تتم بها هذه العمليات الثلاث كما يلي :

إن ما تأتي به حواسنا من صور ما نصادفه في عالمنا الخارجي ، بعد أن توصله الأعصاب إلى مراكزه في قشر المخ ، يتحول إلى الساق حيث يكون (الجهاز الدماغي المركزي Centrence phalic System) ، وفي هذا الجهاز (الذي يقابله ما سماه أطبائنا القدماء بالحس المشترك) يتمصر ما جاءت به حواسنا من المحسوسات ، وتتكون من الصورة العقلية لما خبرناه في عالمنا الخارجي ، وهي الصورة التي ينبغي أن يرسلها هذا الجهاز إلى القصين الصدغيين من قشر المخ للتسجيل والحفظ . والجهاز الدماغي المركزي في أثناء تكوينه للصورة العقلية للأشياء المحسوسة يضيف إليها من عنده قوة الفهم للصور وما تستحق منا من حركة انفعالية . وهذه القوة والحركة الانفعالية ، يستوحىها الجهاز من سائر المراكز الدماغية التي هو على اتصال بها . وهكذا فإن حوادثنا الماضية لا تسجل جامدة ، بل يكون تسجيلها بما صاحبها في نفوسنا من الفهم لمقارها ومن المواقف التي حركتها في نفوسنا ، وإدماج هذه العناصر النفسية المهمة بالصور المحسوسة يتم بهذا الجهاز الذي تلتقي فيه محسوساتنا والعناصر النفسية الضرورية لتعقل المقولات وعلى هذا الشكل تسير ذكريات ما صادفنا ، للتسجيل في (القصين الصدغيين) من دماغنا . وإن خبراتنا إذن سواء أكانت فكرية أم حسية لا تبلغ ممانيتها ذاتنا الشاعرة ، ولا تحرك فيها ما تستحق من العاطفة إلا في هذا الجهاز المتصل بأهم مناطق الدماغ لغرضي الفهم والانفعال والتعبير بالنطق ، كالقصين الجبهوي والجداري والباحات المكافئة بوظائف النطق والحس من المخ .

(١) جراح كندي اشتهر ببحوثه في الذاكرة والخصاصة بجراحة الدماغ .

دراسات في العقل والدماغ

هذا ما ذكره الأستاذ بانفيلد فيما يخص الأساس التشريحي للحفظ والذاكرة . وقد رسم الطريقة التي يتم بها تسجيل الخبرة في (الفصين الصدغيين) بمد أن تتكون الصورة العقلية لها في (الجهاز الدماغي المركزي) الذي هو في ساق المخ . وصور كيفية التذكر ومستودعات الذاكرة في الفصين الصدغيين من قشر المخ ، وشبه هذه المستودعات بخزانة ذات عدة مجلدات تتضمن الصور العقلية لسكل ما خبره الإنسان في حياته الماضية . ولكن المهم أن نفهم أن ما أرادَه الأستاذ بانفيلد بالتسجيل ليس تسجيلاً لصور الحادثة في لوحة خالية خاصة بكل حادثة ، بل التسجيل في قشر المخ هو تسجيل لعمل زرمة يتم به من الخلايا الحسية ، وأعني بذلك تسجيل إعادة تمثيل الحادثة حين التذكر لها . وعمل الخلايا في هذا الشأن يشبه ما يقوم به أفراد الجوقة الموسيقية ، فإن هؤلاء الأفراد لا يزيدون على عدد معين ، لكنهم يحفظون من الأغاني وأنواع الألحان ما لا يمكن حصره . وهكذا تكون الزرمة من الخلايا في استطاعتها أن تعيد تمثيل مشات وألوف الذكريات وإحيائها . فالخلية الواحدة تشارك في أدوار كثيرة من إحياء روايات الماضي . فالتسجيل هو تسجيل الخلايا لما تقدم به من الأدوار في إحياء ذكريات الحوادث ، فإذا أنت تذكرت حادثة وقعت لك في صباك فقد أثرت في عدد من خلايا تلك الحادثة دورات كهربائية تمثل لك تلك الحادثة تمثيلاً سينيمايياً في ذاتك الشاعرة . وتحفظ الخلايا الدورات الكهربائية لتلك الحادثة وتعيد لها كلما دعت الحاجة إليها .

مراحل الحافظة :

إن أبسط أنواع الحافظة هو ما نسميه بالحافظة الآلية ، وهي التي تساعد على إعادة ما يقال لنا من الأرقام والجلل المركبة من ألفاظ تركيباً غير مفيد لمعنى . وفي فئة أنواع الحافظة ما يمكننا من تذكر حدث جرى لنا في الماضي تذكراً صحيحاً بفصوله المتعاقبة وبما بعث في نفوسنا من خلجان . ويمتاز هذا النوع بخواص ، أهمها أن نשמع أن الحادث إنما وقع لك في الماضي ، وأنتك شاعر أن حوادثك الماضية إنما وقعت الواحدة تلو الأخرى ، وأنت على علم بأن تاريخ حياتك السابقة مكون من هذه الحوادث .

هاشم الوري

أما الشرط الأول ، فقد يتمدد في نشوش الحافظة ؛ فإن صفة القدم قد تلتصق بالحوادث الحاضرة . إن شيئاً من هذا قد يمرض لنا بحال الصحة فنرى الشئ الجديد ، وكأننا رأيناه سابقاً . ولكن الحالة المرضية هي أن يمرضنا شيء من الذهول (وخاصة في حالات العسر) فنرى كل ما يجري حولنا كأننا رأيناه سابقاً . ففي هذه الحالة تلتصق صفة القدم بالحوادث الجديدة . وأما الشرط الثالث ، وهو شعورنا بملكية ماضيتنا مع المحافظة على التسلسل الزمني لحوادث ماضيتنا ، فهو أساس شعورنا بالوجود وتنبني عليه إنشيتنا (١) .

ومن مراتب الحافظة التي هي بين أبسطها وأعلاها ما نسميه بالخيلة . وهي التي تمكننا من تخيل الصورة التي رسمت في الذهن بالرؤية المتكررة ، كمسورة دار أو صديق ألفنا رؤيتها . فإننا نستطيع أن نتخيل دارنا القديمة أو صورة أبننا أو جازنا . وكذلك بالخيلة نستطيع أن نهتدي إلى المكان الذي ذهبنا إليه سابقاً ، وبالخيلة نستطيع أن نتخيل شوارع المدينة التي رأيناها ، أو نتخيل تصميماً هندسياً ، وهلم جرا . فإذا عدم الخيال ، تمذر علينا إيجاد الصورة الذهنية لما رأينا من الوجوه والتصاميم والطرق والمناظر مع سلامة أبصارنا ، ومع إدراكنا لما نرى . وبالحافظة أيضاً نستطيع أن نشخص الصورة التي رأيناها سابقاً إذا عرضت علينا مرة أخرى ؛ ذلك لأننا إذا رأينا شيئاً ، رأيناه سابقاً ، نعود إلى صورة ذلك الشئ المحفوظة في أذهاننا ، فنقارن الشئ الجديد بتلك الصورة وحينئذ تبين لنا وجوه الشبه والمغايرة بين ما نراه الآن وما رأيناه فنحكم بماهية الشئ . فالحافظة إذن تعيننا على الحكم على ماهية الأشياء أو الحوادث التي نراها ، وتممنا من الخطأ في تفسيرها ؛ فإن حكمتنا على ماهية الأشياء وتفسيرها لا يصح بعدم الحافظة ، والحافظة أول ما يمد من القوى العقلية في المدمنين والشيوخ أصحاب التصاب السرياني .

الدكتور هاشم الوري

(١) هذا من مصطلحات فيلسوفنا السكندي ، والإنية أو الأنية تقابل كلمة Identity .

الفتوة وأطوارها (*)

وأمرها في توحيد العرب والمسلمين

الفتوة في اللغة صفة الفتى ، وهي على حسب نظري في الاشتقاق مأخوذة من الفتى كما أن الرجولة مشتقة من الرجل ، وقاعدة علماء الصرف أن الاشتقاق يكون دائماً من أسماء الماني لا أطراد لها في رأي فـ كثير من المشتقات تؤخذ من أسماء الذات .

والفتوة في الاصطلاح الاسلامي هي : مجموع الصفات التي يتحلى بها الفتى من الشجاعة والسخاء ، والابثار والمعصية الدينية والصدق والوفاء والحياء ، واتباع الحق ونصر صاحب الحق ، والمطالبة به وإخلاص العبادة وإغاثة المضطر ورعاية النساء واليتامى .

وقد وصف الامام علي بن أبي طالب بالفتى يوم وقعة أحد قال المولى علي القاري نقلاً من كتاب فردوس المجاهدين : « أول ما قيل : لافتي إلا علي . يوم أحد . وذلك أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أعطى الراية لملي فقاتل هو ورجال من الصحب الكرام . وروي أنه لما أشتم القتال يوم أحد جلس رسول الله — ص — تحت راية الأنصار وأرسل الى علي أن قدم الراية . فتقدم ونادى بين الصفوف « أنا أبو القاسم » وبارز وقاتل حتى قيل في حقه : لافتي إلا علي .^(١) وقال علاء الدين السكتواري : « وزيد بعسده ذلك ، لما انتقل إلى علي وصاية ووراثته الصيف المشهور المسمى بذي الفقار ، قول [بعض] الأخيار العلويين : لاسيف إلا ذو الفقار . وهو اسم سيف النبي — ص — »^(٢) .

وقال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني الشافعي في سيرة علي بن أبي طالب : « وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتسكّر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه

(*) خلاصة محاضرتين ألقينا في المجمع العلمي العراقي في آخر موسم المحاضرات من سنة ١٩٥٧ م .

(١) كتابه الأوائل والأواخر ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٢٩ الورقة ٣٧ .

(٢) محاضرة الأوائل ومسامحة الأواخر ، ص ٦٩ .

حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها : أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك .
 فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتباً وجملوا لذلك إسناداً أنهموه إليه وقصروه
 عليه وسعوه (سيد الفتيان) وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور أنه سمع من السماء يوم أحد :
 لا سيف إلا ذو الفقار - ر ولا فتى إلا علي^(١) .

والتمريف الذي ذكره ابن أبي الحديد الدائني للفتوة هو تعريف صوفي ، وقد كثرت تعاريف
 الفتوة على حسب اختلاف المربين ، فالصوفية نظروا إليها بمنظار الزهد والإيثار والسلوك
 الروحاني ، كما جاء في التعريف القديم ذكره ، وآخرون نظروا إليها بمنظار الحياة الاجتماعية . قال
 معاوية بن أبي سفيان : « الفتوة أن توسع على أخيك من مال نفسك ولا تطمع في ماله ،
 وتنصفه ولا تطالب بالانصاف ، وتكون تبعاً له ، ولا تغالب أن يكون تبعاً لك وتحمل منه الجفوة
 ولا تجفوه ، وتستكثر قليل برئه ، وتستقل ما يصل منك إليه^(٢) » . وفي هذا التعريف إشار
 وزيادة عليه من مكارم الأخلاق .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم المعروف بابن المهار الحنبلي البغدادي في كتابه
 « الفتوة » : « اعلم أن الفتوة اسم موضوع يقال على أسماء : أحدها في اصطلاح العرف عبارة
 عن صفات محمودة إسم بها شخص على وجه مخصوص وامتناز بها على أبناء جنسه فأوجبت له اسم
 فتى ويشهد لذلك قوله تعالى : إناهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم^(٣) . وأما
 السُّنَّة فقد ورد في الفتوة أخبار المختار منها ما رواه جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال : قال
 قال رسول الله - ص - : لفتيان أممي عشر علامات . قيل يا رسول الله : وهل لأمتك فتيان
 قال : نعم وأبين الفتوة الأولى من فتوة أممي ؟! قيل : وما تلك العلامات يا رسول الله ؟ قال :
 صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الأمانة وترك الكذب والرحمة لليتيم وإعطاء السائل وبذل

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٩ طبعة الباني الأولى .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن القوطي ج ٤ ص ٣٦٨ من نسخة المخطبة المنقولة ، مصححة عن نسخة
 المخطب العراقي المصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق .

(٣) سورة الكهف الآية ١٣ ، ١٤ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

النائل وإكثار الصنائع وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء ^(١) .
ولا نستطيع أن نبسط القول في ذكر جميع ما قيل في الفتوة فذلك يسود جزءاً مستقلاً ،
وإنما نريد أن نذكر أن الفتوة من حيث هي مذهب إسلامي ديني اجتماعي قد تطورت كسائر
المذاهب الدينية الاجتماعية في الإسلام وغيره . وقد جرى تنازع في ادعائها فالتصوفون يعتقدون
أن فتوتهم في ربطهم وخانقاهاتهم وتسكياتهم هي الصحيحة ، والشجعان الأسخياء السادرون
يظنون أن فتوتهم هي الفتوة العملية الصحيحة ، إن التطور المادي المعلي أسرع من التطور
الروحاني النظري ، فلذلك تغيرت الفتوة إلى غناء وشراب عند الراغبين في الدنيا والاهو والتمتع
والحرية والتسلط ، وانقلبت الشجاعة الشرفة إلى شطارة وعيارة ، فصارت فتوة مزيفة وأصبح
الفتيان في الأمة طبقة متميزة كل التميز ، حتى في الملابس والكلام . والظاهر أن حكام الدول
الإسلامية وأمرائها كانت قد انحرفت سبهم عن السبيل السوي للإسلام ، فوجد الفتيان طريقاً
إلى ما ربههم وتبديل مشاربهم ، والناس على دين ملوكهم ^(٢) . وقد وصف الامام جمال الدين أبو
الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من أهل القرن السادس فتوة زمانه وفتيانها وإذا هم من الشجعان
الأشرار المعروفين بالعيارين قال : « الميارون يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزني ولا يكذب ،
ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة . ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، ويسمئون
طريقتهم الفتوة ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ، ويحملون إلياس السراويل
للدخول في مذهبهم كاللباس الصوفية للمريد المرقمة [يعني الحبة المرقمة] وربما سمع أحد هؤلاء عن
ابنته أو أخته كلمة زور لا تصح وربما كانت من معرض تقتلها ويدعون أن هذه فتوة ، وربما

(١) كتاب الفتوة لابن القيم : الورقة ٥ - ٦ من نسخة دار الكتب بتونسكن بألمانية ، في خزنة
الدكتور تقي الدين الحلالي .

(٢) ولندكر مثالا من ذلك قال الطبري في سيرة الوليد بن عبد الملك : « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ
الصنائع والضبايع وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعض بعضاً عن الباء والمصانم ، فولي الخلافة سليمان بن
عبد الملك وكان صاحب نساء وطعام فسكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن الترويح والجواري ، فلما ولي عمر بن
العزير كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة وكتم تحفظ من القرآن ومتى تحتم القرآن ومتى ختمته
وما تصوم من الشهر ؟ » .

افتخر أحدهم بالصبر على الضرب (١) .

وقد تطورت الفتوة تطوراً عجيباً على اختلاف المصادر . ولا أرى بأساً في الحديث عن أم أطوارها ، وأعظم أدوارها لاظهار الفروق فيها وبيان تاريخها وتأكيد أن التطور لا يسلم منه مذهب اجتماعي أبداً ، فقد جاء في أخبار أبي كعب حنين الحيري ، من كبار المفتين في أيام بني أمية ، وقد أخذ هشام بن عبد الملك معه مرة إلى الحجاز يفتيه ، أنه قال : خرجت إلى حصن التمس الكسب بها وأرتاد من استفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون ؟ فقيل لي : عليك بالحمامات فأنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجئت إلى أحد الحمامات فدخلته فإذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أنني غريب ، ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلما قدمنا أتيينا بالطعام فأكلنا وأتيينا بالشراب فشربنا فقلت لهم : هل لكم في معن يفتيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، ها أنتم عوداً . فأثيت به ، فانبسطت بأراجيز مبيد ، فكأنما غنيت للحيطان لا فكها لافئاني ولا سرؤا به ... » إلى أن يقول : « فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجهاً إلى الحيرة (٢) . وذكروا أنه كان في أول أمره يحمل الرياحين إلى بيوت الفتيان والمومنين من أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين بالحيرة (٣) .

وبهذا الخبر نعلم أن سماع الغناء كان من عادات الفتيان في أوائل القرن الثاني للهجرة ثم إن خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك حرّم الغناء بالعراق ، وكان متناقض السيرة فدخل عليه حنين الحيري ومعه عود تحت ثيابه فقال لخالد : أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فخرّمتها الأمير فأمرّ ذلك بي بهم . فقال خالد : وما صناعتك ؟

(١) التاموس في تلبس إبليس ، ص ٢٩١ ، الطبعة الأولى .

(٢) الأغاني ، ٣ : ٣٤٦ ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) المرجع المذكور ، ص ٣٤٥ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

فكشف عن عوده وقال : هذا العود ، فقال له خالد : غني ، فترك أوتاره وغنى أبياتاً لعبدي
ابن زيد العبّادي :

أرواحُ مودّعٍ أمُ بكورُ لك فاعمد لأيّ حال نصيرُ
ويقول العُدّة أودى عديُّ وعديُّ بسخط رب أسيرُ
أبها للشامت المعبّرُ بالدهـ... سر أنت البرأ الموقورُ ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاعل مغرورُ
من رأيت القونَ خلدن أم من ذا عليه من أن ينام خفيرُ ؟

فبكي خالد القسري وقال له : قد أذنت لك في القناء وحشدك خاصة فلا تجالس سقيها
ولا مُعربداً . فكان حينئذ دعي إلى حفلة للثناء قال للحاضرين : أفبكم سقيه أو مريد . فاذا
قيل له : لا . دخل المجلس^(١) . وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد أن خليلان الأموي
كان يتفتى ويرى ذلك زائداً في الفتوة ، وكان خليلان الأموي شريفاً ذا سعة ونعمة^(٢) .

وعلمنا من خبر حنين الأول أيضاً أن من عادات فتیان ذلك الزمان الشرب أعني شرب
السكر ، قال الجاحظ : « بل قد رأينا أصحاب النبيذ والفتيان يمتدحون بكثرة الشرب كما
يتمدحون بقلة الرزق^(٣) » .

وذكر الجاحظ أيضاً عن محمد بن أبي الثؤمل من معاصريه في القرن الثالث أنه قال : « من
لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودعي في أصحاب النبيذ » . وذكرُوا أن أحمد بن
الفرج الحمصي كان يتفتى أي يمد نفسه من الفتیان وكان يشرب السكر مع فتیان مُردان بسوق
الرستنس سنة ٢١٩ هـ^(٤) .

(١) الأغاني ٢ : ١٥٢ ، ٢٤٨ .

(٢) السكامل ٢ : ١٩٦ ، طبعة الدار الجبوني الأزهرية .

(٣) كتاب النجلاء ٢ من ١٨٩ ، طبعة مطبعة ابن زيدون من ١٨٩ .

(٤) كتاب النجلاء ٢ من ١٥٨ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢ : ٣٣٩ — ٣٤١ .

وفي الربع الأول من القرن الثالث للهجرة تميّزت هذه الفتوة اللاهية الغابضة تميزاً تاماً بصفتها وأحكامها ومصطلحاتها، وصار لها من يتولى الافتاء في أحكامها ويعرف بقاضي الفتيان ومن اشتهر بقضاء الفتيان « أبو الفاتك بن عبد الله الديلمي الملقب بقاضي الفتيان » وكان يسكن بياب مجلة السكرخ بالجانب الغربي من بغداد ويجمع عنده الفتيان ، وهو علي عليهم آداب الفتوة لذلك الزمان ومن ذلك قوله : « الساقى لا ينبغي أن يكون محدثاً ولا منافطاً ولا محايياً ولا حريصاً ولا مفكراً ولا ومتكثراً ولا محتبياً ولا مشغلاً بأمر غيره » . وله فصول في آداب الفتوة (١).

وقال الجاحظ : « قبل للحارثي بالأمس : لم تبيح الطعام لمن لا يحمذك ، ومن إن حمدك لم يحسن أن يحمذك ، ومن لا يفصل بين الشهي الفذي والنليظ الزم ؟ قال : ينبغي من ذلك أبو الفاتك . فقيل له : ومن أبو الفاتك ؟ قال : قاضي الفتيان . قيل له : فما قال أبو الفاتك ؟ قال قال : الفتى لا يكون نشاقاً ولا نشالاً ولا مرسللاً ولا لكماً ولا مصاصاً ولا نفاصاً ولا دلاً كاً ولا مقوراً ولا مغربلاً ولا محلفاً ولا مسوفاً ولا مبلماً ولا مخضراً ، فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاس والمداد والدفاع والمحول (٢) ؟ »

وقد ذكر جماعة من المؤرخين أن التوكل على الله المباس أمر يقطع أذن نديعه أبي عبد الله ابن حمدون ونفاه الى تكريت على حسب قانون الفتيان (٣) ، وهذا يدل على أن التوكل كان يعد نفسه من الفتيان . وأشهر من عثرنا على سيرته من أدباء الفتيان « إسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب البهراني » . قال ابن شاكر السكتي في سيرته : « كان رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرته الشطار والتصيّد بالكلاب وإيثار أصحاب الطناير ، وكان من أحسن الناس إنشاداً كأنه يتغنى في إنشاده وكان إذا راجعك الكلام لم تكذبك من مراجعته من حسن ألفاظه ،

(١) تلخيص معجم الألقاب ، ٤ : ٢٩٧ .

(٢) البخل ، ٥ : ١٠٥ .

(٣) المجموع اللغوي ، نسخة المصورة ، الورقة ١١٣ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

حبس مرة بجنابة جناها فقال الشعر في السجن ثم ترقى حتى مدح الملوك ودون شعره ، ولم يزل على رسم الفتوة وضرب الطنبور الى أن توفي في حدود سنة ثلاثين ومائتين ومن شعره :

النحو يسقط من لسان الألكن والره تكرر منه إذا لم يلحس
وإذا طلبت من الموم أجلسها فأجلسها عندي مقيم الألسن^(١)

وفي ذكر المخطوط العامة لسيرة إسحاق بن خلف بيان لفساد الفتوة في القرن الثالث للهجرة وخطرها على المجتمع ، وعدنا من كلام نقله مؤلف كتاب « نثر الدر » من بعض كتب الجاحظ أن الفتيان في ذلك العصر كانوا يفترون الشبان بالدخول في تلك الفتوة المارمة الساذرة الشاطرة الشاطرة ، قال قال الجاحظ : إن الشطار ليخلو أحدهم بالغلالم الغرير فيقول له : لا يكون الغلام فتى أبداً حتى يصادف فتى وإلا فهو تكش — والتكش عندهم هو الذي لم يؤديه الفتى ولم يخرج به — . قال « فإلما العذب البارد بأسرع في طباع العطشان من كلته هذه إذا كان للغلام أدنى هوى في الفتوة وأدنى داعية إلى الشطارة^(٢) » .

وانقلب الفتيان شطاراً عيارين يخشون بالآداب وينشرون الاضطراب ويخيفون السبيل ويقلقون الأمة ، وهم في كل ذلك يستندون إلى سند مروي ، وأقوال منقولة ، ومذهب يدعون له القدم ، ويجرون للفتوة أموراً يدعون أنها لا تتم إلا بها ، ومن كلام هؤلاء الفتيان الشطار في الافتخار « أنا اللوج السكدر ، أنا القفل العسر ، أنا الدار ، أنا العار ، أنا الرحي إذا دار ، مشيت أسبوعين بلا رأس ، وأكثت جميع ما في قعدور المراس ، أطفف رأسك وأجعله زراً قيصي ، أستسقيك فلا أعطشك إلا في الجحيم ، وأشربك فلا أبولك إلا على الصراط المستقيم ، وبلك لو كلمني القيل لم يجرس أو البحر لم ينبس أو عضني السكب لم يفرس أو زارني النسرود ودّ التندس ، أصدقائي أكثر من خوص البصرة وخردل مصر وعقدس الشام وحصى

(١) فوات الوفيات ١ : ١٦ ، ١٧ « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) كتاب نثر الدر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٤٩٠ الزرقعة ٥٣ » .

الجزيرة ، وشوك القاطول وحنطة الموصل وقصب البطائح ونبق الأهواز ، أشرب الرمل فأخراً
صغراً وأبلع النمر فأخراً نخلاً^(١) . وكانوا يسمون الطنبور « الجرب » لأن الأجر لا يدع
الحك ولأن اللهج بالطنبور لا يكاد يضعه من يده^(٢) .

وقد ذكرنا أن الفتيان كانوا متميزين عن غيرهم حتى في الملابس ، قال أبو براح يشكو قلّة
الفتيان : « ذهب الفتيان فأتى فتىٌ مُغْرِقُ الشعر بالدهن ، معلقاً نعله ، ولا ديكين في
خطار إلا صديقاً له صديق إن قرّضنا وإنْ عُوقِبَ جِزَعٌ ، وإنْ خلا بصديق فتى خبيثه ،
وإن طال حبسه ضجر ، ولا ترى فتى يُحسن أن يمشي في فبده ولا يخاطبُ أميره » ، وقال أبو
عباسة « ترى زقاق براقش وبساتين هزارمرد ما كان يسلكه غلام إلا يخفي وهم اليوم
يخترقونه » . فقال له رجس : هذا من سلاح الفتيان . فقال أبو عباسة : لا ولكن من
فسادهم^(٣) .

فأبو عباه متأسف على أن الفتيان كفّوا عن قطع الطريق على الناس في ذلك الزقاق وذلك
البساتين وعدّ ذلك من فسادهم لأنهم فقدوا شجاعتهم وتركوا عدوانهم على الناس وإخافتهم
السبيل ، والسلب والنهب .

وأظهر ملابس الفتيان سراويل تعرف بسراويل الفتوة وحزام يشد به خصر الفتى عند
تفتيته (أي جملة فتى في عداد الفتيان) ويظن بعض الباحثين^(٤) أن كلمة « شغالري
» Chevalerie الفرنسية التي بمعنى « الفروسية » مشتقة من « سروال » العربية التي هي مفرد
سراويل الفتوة ، مع إضافة الكسعة « ري Rie » إليها للدلالة على الاسم . ومن المراقبين
اليوم من يسمي السروال القديم الوجود « الشروال » ، وإنما يحاول بهذا القول نسبة الفتوة

(١) نثر الدر المذكور « الورقة ٣ » أيضاً .

(٢) المجموع اللغيف « نسختي المصورة ، الورقة ١٧٥ » .

(٣) البيان والتبيين « ٣ : ٢٢٠ - ٢٢١ » .

(٤) La Tradition Chevaleresque der Arabes par Wacyf Botros. Paris 1919. (٤)

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الأفرنجية إلى الفتوة المريمية وليس ذلك بعيد .

وكن الفتيان يشربون في حل الفتية مدام ، شوباً بالملح ، لأن الملح من المواد المقدسة فهو يصلح كل ما فسد ويستعمل في أكثر الأغذية والأطعمة ، وله فوائد أخرى ، والحسكة في شربه بمزوجاً بالماء ، أن الماء عذب واللوحنة ضد العدوية فكان فيه إشارة إلى أن الفتى ينبغي أن يصير على البأساء والضراء ، وأن يحتمل البلاء ، ويشكر على النعماء ، وأن يحصل الرفيق في كل رحب ومضييق (١) .

وقد جاء في كتاب المقاييس لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي قوله لبعض أصدقائه : « وفي الجلة أسألك بالملح الذي يتقاسم به الفتيان ظرفاً أن تعذرني من تقصير تكثر عليه (٢) » . وذكر أبو حيان عن التوشجاني أن الفتوة كانت تشمل في القرن الرابع للكرم والمجد والجلود والمفنة والنجدة وكبر النفس وعلو الهرمة وسائر خصال الفضل والخير وأن المروءة أشد لصوقاً بياطن الإنسان فكانت الأولى أخص والثانية أعم أي لا فتوة لمن لا مروءة له وقد يكون ذا مروءة ولا فتوة له فأما إذا اجتمعت فقد أخذ الجبل بطرفيه ومثل الأمر بخنوبه (٣) .

والمعجب كل المعجب من أبي حيان التوحيدي كيف جمع في كتبه هذا الوصف الجليل لفتوة زمانه مع الخبر الذي ذكره عن قاضي الفتيان ، فقد أورد هذا الخبر القبيح لفتيان القرن الثالث للهجرة في كتابه « البصائر والدخائر » بقوله : « قيل لقاضي الفتيان (٤) ... » . وقد طبع الجزء الأول من كتاب البصائر والدخائر المرحوم الأستاذ أحمد أمين والسيد أحمد مقرر ، ولم يعرف من قاضي الفتيان شيئاً وتصحف عليها شيء من الكلمات في هذا الجزء وغيره ، وقد ذكرنا أنه أبو الفاتك الديلمي . وكان يمدد للفتيان قضاة قلما عني التاريخ بهم ، فمن ذكروا منهم

(١) الفتوة لابن العمار « نسخة توينكن الورقة ٦٢ » .

(٢) المقاييس « ص ٧٤ طبعة الهند » .

(٣) المقاييس « ص ٩٦ » من الطبعة المذكورة .

(٤) البصائر والدخائر « ١ : ١٦٥ » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

شمس الدين بن البعلبكي قال المؤرخ أبو شامة المقدسي في وفيات سنة « ٦٠٧ هـ » وهي سنة وفاة البعلبكي : « وفيها توفي شمس الدين بن البعلبكي ... وكان قاضي القتيان بدمشق [وكانت وفاته] في العشرين من سفر وهو الذي بعث إلى مصر ليشهد الملك الكامل بن العادل الأيوبي فتوة للخليفة لما جاء من بغداد الأمر بذلك ^(١) » . يعني بالأمر المذكور أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله بمجدد الفتوة وموحد العرب والمسلمين ، وسيأتي حديثنا عنه .

ويجب أن نلاحظ في القرن الرابع للهجرة عظم الفرق بين الفتوة النظرية والفتوة العملية واختلاف الأعمال عن الأقوال أعني عدم القيام بحقوق الفتوة وآدابها أولاً ومخالفة أعمال القتيان لقانونها ثانياً ولا خير في الأقوال إذا لم تعضدها الأفعال والأعمال في كل أمر من الأمور وكل شأن من الشؤون .

وكان من الطبيعي والبدهي معاً أن تتأثر الفتوة بالحال الاجتماعية في القرن الرابع فقد تفاقمت في العراق وخصوصاً بغداد المسيية المذهبية ، باحتلال بني بويه للعراق وهم من الفرس المقتسمين ، وكان بدوياً أن ينصروا للمذهب الذي ينتقدونه ، وأهل ذوو أقلية ، فثار بين الطوائف نزاع مسلح ذهبت فيه النفوس والأموال وسادت به الأحوال ، وامتزجت الفتوة بالميسرة والسطارة ، والفتن المذهبية المموية .

قال عز الدين بن الأثير في حوادث سنة « ٣٦١ هـ » : « وفي هذه السنة وقعت بغداد فتنة عظيمة وأظهروا المسيية الزائدة ونحزب الناس وظهر الصيارون وأظهروا الفساد ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من استنفار العامة للفرز واجتمعوا وكثروا ، فتولد بينهم من أصناف البويع والمقتيلين والبسة والشيمة والعيارين ، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور ، وفي حلة ما أحترق محلة الكرخ وكانت مملوءة التجار والشيمة ، وجري بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي الحسين اللوسوي والد الشريف الرضي والوزير أبي الفضل الشيرازي عداوة ^(٢) » .

(١) ذيل الروضتين ، ص ٦٩ .

(٢) الكامل في حوادث سنة « ٣٦١ هـ » .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

والسبب في استنفار العامة للغزو ، والصحيح للدفاع ، أن ملك الروم أغار على الرها وغيرها من نواحي الجزيرة حتى بلغ نصيبين وسبي المسلمين وأحرق بلادهم وأخربها وفعل مثل ذلك بديار بكر وكان ذلك في السنة عينها أي سنة ٣٦١ فقدم جماعة من أهل البلاد المستباحة المجتاحة الى بغداد مستنهرين مستغربين ، وقاموا في الحوامع والمساجد والشاهد وذكروا ما فعله الروم من القتل والأسر والسبي والنهب والاحراق وانضم إليهم كثير من عوام بغداد وقصدوا دار الخليفة العطاء لله العباسي وأرادوا المعجوم عليها لأنه الخليفة المسؤول عما يصيب المسلمين أدنائهم وأقصاهم ، فنفهم الحراس وأغلقت دونهم أبواب دار الخلافة فتكلموا على الخليفة بما استتبع ذكره جماعة من المؤرخين فلم يذكره ، وقد نسبوا الخليفة الى المعجز مما أوجب الله على أئمة المسلمين من حيابهم ورعايتهم وحفظ بلادهم وأموالهم وأعراضهم فضلاً عن نفوسهم (١) . وظهر في تلك الفتنة عدة قواد من الفتيان العيارين وتقسما السلطة في بغداد (١) . وأشهر أولئك القواد ابن كبرويه وأبو الدود وأبو الدباب وأسود الزبد وأبو الأربعة وأبو النوايح ، وكان أسود الزبد عبداً يأوي الى قنطرة الزبد ببغداد ويلتقط النوى ويستطعم من يحضر هناك بالهر واللحم وهو عريان لا يقراري إلا بخرقه ولا يؤبه له ولا يُبالى به ومضي على ذلك دهر ، قال أبو حيان : فلما حلت الفتنة وفشا الهرج والمرج ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله طلب سيفاً وشحنه ونهب وأغار وسلب وظهر منه شيطان في جلد إنسان وصبّح وجهه وعذب لفظه وحسن جسمه وعشيق وعشيق والأيام تأتي بالمرائب والعجائب . ولما دعي قائداً وأطاعه الرجال وأعطاهم الأموال وفرّق قبيهم وطلب الرئاسة عليهم صار جانبه لا يرَام ، وجماء لا يُضام ، فما ظهر من حسن خلقه مع شره ولعنته وسفكه للدم وهتكه للحرمة وركوبه للفاحشة وتمردّه على ربه القادر ، وما لسه القاهر أنه اشترى جارية كانت عند النخاسين بألف دينار ، وكانت حسناء جميلة ، فلما حصلت عنده حاول منها حاجة فامتنعت عليه ، فقال لها : ما تكريهين مني ؟ قالت : أكرهك كما أنت . فقال لها : فأتجيبين ؟ قالت : أن تبينني .

(١) المرجع المذكور في السنة المذكورة .

قال : أو خير من ذلك أعتقك وأهبُ لك ألف دينار قالت : نعم . فأعتقها وأعطاهها ألف دينار بحضرة القاضي ابن الدقاق وعند مسجد ابن رغبان . فمجب الناس من نفسه وهمة ومحاحته وصبره على كلامها وترك معاقبتها على كراحتها فلو كان قتلها لكان ذلك من عمله في أمثالها (١) .

وقد علمنا من الخبر السابق أنه في هذا العصر ظهر الفتيان النبوية ، وفي الحق أن الفتوة سارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالنبوية والخليلية والشُّجينية والولدية والرهاسية ، وكان بعضهم يخطي بعضاً في مبادئهم وأقوالهم وأفعالهم (٢) ، ونجد في أرائل القرن الخامس طائفة منهم ببلاد الشام يعرفون باسم « الأحداث » جمع الحدث وهو الشاب ، وأشهرهم أحداث مدينة حلب ، وقد ساعد الأحداث الحلبيون الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس السكلاي على احتلال حلب سنة « ٤١٥ » وانتزاعها من سلطان الدولة الفاطمية وخليفتها يومئذ الظاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وقد جعل الأمير صالح أبا المرجى سالم بن مستفاد الحمداني غلام سيف الدولة بن حمدان مقدمهم سنة ٤١٥ هـ (٣) . ثم انتزع الفاطميون حلب من بني مرداس السكلايين ، وفي سنة ٤٣٤ هـ استدعى الحلبيون وفيهم الأحداث أي الفتيان معز الدولة أبا علوان ثمال بن صالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس فوصل ثمال قبل المقلد ودخل حلب واجتمع إليه الأحداث (٤) .

وهكذا ظل أحداث حلب ينصرون أميراً ويخذلون آخر ، ويتلمبون بالسياسة والرياسة ، ومن ذلك أن المستنصر بالله الفاطمي أنفذ في سنة ٤٤٨ نوابه ليتسلموا حلب وفيهم مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي فأقام بحلب وعدل في الرعية وأحسن السيرة ورخصت

(١) الامتاع والوزارة لأبي حيان التوحيدي ٣ : ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) الفتوة لابن العمار « الورقة ١١ » .

(٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٢٢٧ ، ٢٤٩ تأليف ابن المديم الحلي .

(٤) المرجع المذكور ١ : ٢٦١ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الأمير في أيامه ، وكان الدهر حسده فطلب الأحداث . منه مالا فقال لهم « قد أخذتم واجبتكم المقرر على السكال وتسلفتم أيضاً فلا تطعموا في وصول شيء آخر إليكم » فمضاه الأحداث وغدروا به وأرسلوا إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس السكالي ، واستقدموه وكان قد حاصر حلب ومعه بنو كلاب وقاتل الأحداث وغيرهم سبعة أيام ثم رحل عنها مخفياً ، ولما وصل سلموا إليه حلب . وأرسل الفاطميون جيشاً ضخمًا من الغاربة بقيادة ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني فهرب الأحداث من حلب وانضموا إلى بني كلاب^(١) ، وكان ملك الدولة العقبلي قد تحصن في قلعة حلب لما غدر به الأحداث فنزل منها عند اقتراب الجيش الفاطمي من حلب هو وأصحابه فنهبوا مدينة حلب وقتلوا من وجدوه من الأحداث وعدتهم أربعين حدثاً وقبضوا على مائة وخمسين آخرين وصلبوا في محلات حلب جماعة من القنلى الارهاب والارباب ونهبوا كل موضع جليل فيها من المراضع التي يمر فونها وقيسريات الوكلاء والتجار وغير ذلك^(٢) . ثم صارت حلب إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس السكالي سنة « ٤٥٢ » هـ فحاصره معه معز الدولة شمال بن صالح ، فأغلق محمود باب حلب في وجه عمه ولكن قوماً من أحداث حلب فتجروا إلى باب قنسرين ودخل أصحاب شمال حلب إلى أن وصلوا إلى درب البنات ، فنزل محمود من القلعة إليهم وأخرجهم ولم يقتل منهم أحداً ، وقبض على زعماء الأحداث الذين فتحوها باب قنسرين ومنهم ابن حبشون وابن الغازلي^(٣) .

ثم جمع الأمير شمال عسكرياً وعاد إلى حلب فحاصرها ودخلها وانهمزم ابن أخيه محمود فأبصر شمال أكثر جنوده والأحداث الذين كانوا معه وهم كندي وصبيح وابن الأقراحي والشطيطي واللباد وأصحابهم^(٤) . ثم اصطلح العم وابن أخيه على أن تكون حلب للعم وهو الأمير

(١) المرجع المذكور « ١ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٢٧٨ » والسكالي في حوادث سنة ٤٥٢ .

(٣) زبدة الحلب « ١ : ٢٨٢ » .

(٤) المرجع المذكور « ١ : ٢٨٣ » .

معز الدولة شمال ولما استقر شمال في القلعة نفى من الحلبيين الأحداث القداماء جماعة وضرب منهم خمسة عشر رجلاً ، وبلغه أن قوماً منهم مضوا إلى أنطاكية وكتبوا واليها في أن يسلموا إليه امرأة مصرين وهي بليدة على نحو من ثلاثين كيلو متراً من حلب ويطرقوه إلى غيرها وقالوا له : « رجزنا في حلب وأصحابنا تحت أوامرنا » . فلما علم ذلك شمال عقبهم وظفر بجماعة منهم فقتلهم وهم ابن أبي الريحان وابن مطر وابن الشاكري وبهلول ، وترك الباقي (١) .

وما أجسد فسحة لأن أذكر من أخبار أحداث حلب وغيرها أكثر من هذا فإن هؤلاء
الفتيان المعروفين بالأحداث أخباراً كثيرة ، وردت في كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب »
للقاضي الأديب والسفير الأديب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم وكامل ابن الأثير
ومرآة الزمان لأبي المطهر يوسف بن قرأعلي المعروف بسبعط ابن الجوزي وكتاب الروضتين في
أخبار الدواتين لأبي شامة عبد الرحمن المقدسي ، ولم أجد من الباحثين المعاصرين من أشار إلى
حقيقة هؤلاء الأحداث وذلك مما يعني على ذكرهم وبيان أوليتهم ، فيكون لهم بحث مستقل
وموضوع مفرد . (٢)

وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الفتوة العيارة الضالّة مقاومة شديدة من ولاية الأمر والحكام لخلالها بالأمن وإزالتها الاستقرار وانتهابها الأموال ومفسكها الدماء المحرّمة باسم الدين أو المذهب ، فمن فتنها ما جرى سنة « ٤٢٤ » هـ وما بعدها وقد ظهر ببغداد في الفتيان العيارين القائد أبو علي البرجي وكثير أتباعه من العامة حتى ثاروا على خطيب الجمعة بجامع المهدي بن منصور بالرسافة وقالوا له : « إن لم نخطب لأبي علي البرجي فلا نخطب للخليفة ولا للملك » . قال ابن الأثير : « وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة ، لم يعرض لامرأة ولا لمن

(۱) المرجع: ۱: ۲۸۷، ۲.

(٢) ومراجع ذلك * مرآة الزمان في حوادث سنة ٤٥٨ هـ و ج ٨ من ٤٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ،

٢٢٢، ٢٣٠ « والسكايل » ٩ : ٨٠ « و ١٠ : ٨٨ » ٢٥ : ٩١ « ٢٨ : ٢٨ » و « مخرج السكروب في أخبار

بني أيوب : ١٥ : ١٨ ، ٣٨ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٢٧ ، و زيادة الجلب : ٢ : ٤ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١١ ،

١١٧، ١٢١، وكتاب الترويضين ١ : ٣٣ من الطبعة الأولى .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

يستسلم إليه « (١) » .

وفزع العباسيون من الفتوة بعد أن علموا أن خالصة الملك ربحان الاسكندراني من رجال الدولة الفاطمية بمصر ، قد اتخذ المدينة المنورة مقاماً وانتدب لرئاسة الفتىسان في البلدان وكاتب الراغبين في الفتوة وكاتبوه وذلك في الثلث الأخير من القرن الخامس للهجرة ، وعمن اتصل بخالصة الملك هذا من أهل بغداد « عبد القادر العباسي الهاشمي البزاز » فقد صار شيخ الفتىيان وكان يكتب لكل منهم منشوراً ولقب نفسه بكاتب الفتىيان ، وعمن دخل فيها أبو نصر محمد بن عبد الباقي الخباز المعروف بابن الرسولي الأديب الكاتب فآلف فيها رسالة يذكر فيها معانيها وفضائلها وقانونها ، ولعل هذه الرسالة أول كتاب ألف في الفتوة ، وقد جاء فيها قوله :

« الحمد لله معز الفتىيان والفتوة وجاعلها إرث الإمامة والنبوة ، [الذي جعل] لأهلها أنساباً وسماهم بها أحباباً ، فهي خلوة يجدها العارفون ، ويقف عندها الراغبون ، يرغب فيها من عرف معانيها ، ويسمو إلى مراتبها نفس متماطياً ، وما زالت منذ آدم ، ظاهرة مع العالم ، وقام هو بحققها ، فلما انتهت مدته أوصى بها إلى شيث مستحقها ثم انتقلت إلى نوح قصر فها إلى سام ثم ظهرت في الخليل — عليه الصلاة والسلام — [ثم في إسماعيل] فحاز الفضل العظيم ، كما نطق به الكتاب القديم : وفدينا بذيبح عظيم ، ثم ظهر إوحى منها ما بطن ، ففوض إلى هرون منها أوفى السنين ، ثم ظهرت في المسيح الأمين ، المبشر بسيد المرسلين (٢) » .

وذكر كلاماً كثيراً وشرح تقليده للواقفين له على ذلك الأمر وذكر أسماءهم وأنسابهم وما يتعلق بهم في مقدار كراستين . وكان الواقفون له الداخلون في هذه الفتوة « مائة ونيفاً » من الأشراف والأعيان وزعماء البلدان ، وكان ابن الرسولي هذا يمد اجتماعهم في مسجد بزازنا بفري بباد وهو مسجد بني علي رواية أن الإمام علي بن أبي طالب لما خرج لقتال الطوارج صلي

(١) الكامل في حوادث ، سنة ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٢) المتظم ٨ : ٣٢٦ — ٧ . وصحافة الزمان . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦

في موضع المسجد ودخل حماماً في قرية برائنا (١) ولذلك كان من مساجد الشيعة ، وكان مسدود الباب مهجوراً ففتح ابن الرسولي بابه وقلع البساط العتيق ونصب عليه باباً جديداً ورتب في المسجد من يراعيه ، فلم يه وبأصحابه جماعة من أصحاب أبي القاسم عبد الصمد بن عمر الواعظ الشافعي وكان ينتحلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحلبون ، فأنكروا فعله وشكوه الى ديوان الخلافة العباسية وعظموا عند الخليفة أمره على سبيل الاستفكار والاستهجان لا على سبيل الاستحسان وقالوا : إن هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويحملون ذكر « الفتوة » عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن والباطل ، فسكتب الوزير عميد الدولة بن جبير الى الخليفة المقتدي بأمر الله مطالعة بحالهم فصدر أمر الخليفة بالقبض على كاتب الفتيان عبد القادر الهاشمي ومحمد بن عبد الباقي بن الرسولي ، فقبض عليهما في ذي الحجة من سنة « ٤٧٣ » وعثر على كتب لابن الرسولي كثيرة منها كتاب كتبه الى خالصة الملك ربحان الاسكندراني المقدم ذكره ، فاستخلاه الوزير ابن جبير وسأله عن الداخلين في الفتوة فذكر أسماءهم وكتبها الوزير ، وصدر الأمر بالبحث عنهم فقبض على جماعة منهم وهرب الباقون ، واستفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوا باستئصالهم والزمامهم الرجوع عن مذهبهم في الفتوة وكفهم عنها ، وجعل شحنة بغداد من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي أي حاكم بغداد المسكري ، التفتيش عن الفتيان ذريعة الى الشنقة أي ابتزاز الأموال بالوسائل الباطلة ، ووضع المصانعات المالية عليهم فنهبت دورهم (٢).

ولكن الفتوة على اختلاف أحزابها وبيوتها وقبائلها لم تستأصل بذلك السكس ولا بذلك الحبس والابتزاز والتشريد ، بدلالة أننا نرى بين أخبار التاريخ أحداثاً للفتوة متقطعة ممدومة الصلة ، لأن الفتوة العارمة الظالمة الشاطرة لا تظهر إلا في أيام ضعف الحكم ، فمن ذلك ظهورها ببغداد ونواحيها سنة « ٥٣٢ » على عهد الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي بمحدد الدولة

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي « برائنا » .

(٢) المرجعان المذكوران سابقاً .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

العباسية وفي سلطنة السلطان القبيح السيرة السفاك مسعود بن محمد بن مسكشاة السلجوقي ،
والخليفة يومئذ مغلوب على أمره ، ومفكر في استنقاذ الدولة العباسية من استعباد محاسنها
القاهرين الظالمين ، وكان زعيم الفتيان إذ ذاك ابن بكران العيار ، فعظم أمره واستشرى
فساده وأيده زعيم آخر يعرف بابن البراز ، وأراد أن يضربا سكة بأسمائهما ، وكان والي بغداد
يومئذ حسام الشرف أبو الكرم بن محمد الهاشمي ، فأمر ابن أخيه أبا القاسم حامي محلة باب الأزج
ومنها اليوم باب الشيخ عبد القادر الكيلاني أمره أن يأخذ الفتوة لنفسه من يدي ابن
بكران ويكون من أتباعه الفتيان ليأمن شره ، ففعل أبو القاسم ، ثم احتال الوالي على ابن بكران
وابن البراز فقتلهم^(١) . وفي سنة « ٥٦٣ » استفحل شرّ الفتيان العيارين واحتمت كل جماعة
منهم بأمر من أمراء الدولة السلجوقية أو ابن وزير أو كبير فأخذوا أموال الناس ظاهراً ،
وكان يكسبون الدور بالليل وبأيديهم الشموع ويدخلون الحمامات وقت السحر فيأخذون
ثياب المستحمين ، ويدخلون الحمامات ويتهددون أصحابها بالأحراق وقتلوا جماعة من رجال
الشرطة حتى صار الناس لا يخرجون من دورهم بعد المغرب ، ورتب العيارون لأنفسهم
جواسيس على الناس يدلونهم على أصحاب الأموال ، وأغلق الناس دكاكينهم وخاناتهم وكسروا
منابر الجوامع احتجاجاً على اختلال الأمن وأغلقوا أبواب الجوامع وعزل الوالي أبو الكرم
الهاشمي نفسه وحلق رأسه ونصّوف وأقام في بعض الخانات أي « الرُّبْط » ، فأجبروه ثانية
على ولاية أمر الأمن يومئذ^(٢) .

وقد رأى ابن جبير الرحالة الأندلسي في سنة ٥٧٩ جماعة من الفتيان النبوية المتعصبين على
الرافضة قال في وصف بلاد الشام : « وللشيعية في هذه البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من
السنين بها وقد عمّوا البلاد بمذاهبهم وهم فرق شتى منهم الرافضة ... وسلط الله على هذه
الرافضة طائفة تعرف بالنبوية (وهم) سنيون يديفون بالفتوة وبأمر الرجولة كلها . وكل من

(١) الكامل في حوادث سنة ٥٣٢ هـ ١١ : ٢٥٠ هـ .

(٢) الكامل في حوادث سنة ٥٣٦ هـ .

الحقوة بهم لخصلة يرونها فيه منها يحزمونه السراويل فيلحقونه بهم ولا يرون أن يستعدي أحد منهم في نازلة تنزل بهم ، لهم في ذلك مذاهب عجبية ، وإذا أقسم أحدهم بالفتوة أبراً قسمه ، وهم يقتلون هؤلاء الروافض أبناً وجدوهم ، وشأنهم عجيب في الأنفة والائتلاف ^(١) .

هكذا كانت حال الفتيان النبوية في بلاد الشام وقد ذكرنا من أحزاب الفتوة الخليلية ولعلها منسوبة إلى خليل الرحمن إبراهيم - ع - والهاصية وهي منسوبة إلى عمر الرهاص والشجينة والولدية ، قال ابن العبار الجبلي : « وكل منهم ذهب إلى رأي ، ولقد كانوا يحكمون بطلان من لم يحاضروه ، وإنما ينقلون ما ينقلون عنهم إنكاراً ، فلما لم يقضوا في الفتوة بأحكامها ولم يقضوا فيها أمر السلف الصالح ولم ينسججوا على منوالهم كثر الاختلاف بينهم ... فلما انتهى ذلك إلى عصر سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - أنعم نظره التام وفحصه الكامل في النسب فاختار كبيراً في الفتوة (هو) الشيخ العابد الصالح السميد عبد الجبار بن صالح البغدادي - رحمة الله عليه - لما كان عليه في الحقيقة من حسن السيرة والطريقة وانتقلت إليه - صلوات الله عليه - عن الشيخ عبد الجبار ^(٢) ... » .

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله ، لما رأى ما عليه العالم الاسلامي من التشتت والضعف والاختلاف ، والانحراف والتعادي ، والتمادي في التنازع وإثارة الشر بينهم ، واشتداد قوة الافرنج المعروف بالصليبيين وتمكنهم في طراز البحر الرومي المعروف بالبحر الأبيض المتوسط ، وتقوي دويلاتهم وتقصصهم للبلاد الاسلامية الاسلامية شيئاً فشيئاً أمر الدول الاسلامية بتأييد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولو لا ذلك ما استطاع صلاح الدين اجتياح بلاد الافرنج التي احتلها من بلاد الشام ولا الثبات بأراضيهم ، ولما فتح صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣ أرسل إليه الخليفة الناصر بأوح مكتوب عليه كتابة لبعائه على باب المدينة فسلمه وهذا نص الكتاب :

(١) رحلة ابن جبير * ٢٨٠ * طبعة بريل .

(٢) كتاب الفتوة لابن العبار * الورقة ١٠ ، ١١ من النسخة المتقدمة ذكرها .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، الحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأقام خليفته القائم بحق الله ، وسيد عترة رسول الله ونخلة شجرته الطيبة المرقاة إليه أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين — أسبغ الله ظله على الاسلام والمسلمين ، وسد عضده بولده وولي عهده أبي نصر محمد عترة الدنيا والدين ، وأعاد إليه كرائه ، وأصار إليه ميراثه ، من البت القدس على رغم أنف المشركين ، أجرى هذا الفتح على يد محيي دولته وسيف نصرته والقائم بطاعته ، والمخلص في عبوديته ، والمجاهد تحت رايته يوسف بن أيوب ممين أمير المؤمنين » (١) .

ورأى الناصر أن العالم الاسلامي يحتاج الى تجديد قوته ، وإحياء همته وإعادة اتحاد وتوحيد منهجه ، لمقاومة الافرنج الصليبيين من الغرب والكُرج من الشمال ، والسلجوقيين وأتباعهم من الشرق ، والمحافظة على استقلال البلاد الاسلامية ، فعمد إلى الفتوة وفيها أعظم قوة لمن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيمًا عظيمًا ، فاستعملها الناصر ورعى في الدول الاسلامية جيلًا جديدًا شجاعًا محاربًا مجاهدًا كامل فضائل النفس وفضائل البدن ، كالفرسية والعلم بالحرب والقتال ، والمسايفة والري والراماة ، وأبدأ ذلك بساوك الطريق الشروع فأخذ فتوته من الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح البندادي رئيس الفتيان في زمانه ، قال القاضي شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم القحطاني الحمدي الحموي الشافعي في تاريخه الظفري المحفوظة نسخة منه في مكتبة البلدية بالاسكندرية :

« وفي سنة ٥٧٨ أحضر الامام الناصر لدين الله الشيخ عبد الجبار صاحب الفتوة وسأله أن يلبس سراويل الفتوة فألبسه إياها وشرب لعبد الجبار ماء الفتوة وأعطاه خمسمائة دينار وخلع على ولده شمس الدين علي ، وكان عبد الجبار هذا شيخًا حسنًا له اتباع كثيرون . ثم نفى إلى الناصر لدين الله خلق من الملوكة والأكابرة ، وكان هذا الفعل (أي الفتوة) يستحث الناس على التماسد والتناصر وحفظ العهد وكنان السر وصدق الالهجة والمفة عن المحارم . وأرباب الفتوة يسندونها

(١) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإريلي ٢٠٨ س .

بالعنة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام — وناهيك بذلك شرفاً ونفراً وعظمة وقدرًا» (١).

وقال نور الدين علي بن أحمد السخاوي الحنفي في كلامه على قبر سلطان الفتوة في زمانه علاء الدين المؤمني المتوفى سنة ٨٣٢ هـ : « كان ابتداء هذا الأمر — أعني الفتوة — في سنة ثمان وسبعين وخمسة وذلك أن ندماء الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضي بأمر الله حسنوا له أن يكون فتى، وأحضروا له رجلاً يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح، له أتباع كثيرة ومعه ولده شمس الدين [علي] فقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين علي وصهره يوسف المقاب وندمان الخليفة وألبس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله — سراويل الفتوة وأخبره أنه لبسها من شيخ شيخ وشم ثم إلى علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — » (٢).

قال ابن المهار الحنبلي : « فمئذ ذلك طفق الناس فضلاؤهم وبها يلهم مهرعين إلى التشريف بالإنهاء إليه — صلوات الله عليه — لما اتصف به من الأخلاق النبوية، والخلال الطاهرة الزكية، حتى استرق بجموده أهل البلاد، وأشرب حبه في قلوب العباد، وسلوكوا إلى تشريفه فجاءوا، ودخلوا في حزبه أفواجا، متمنا الله بدوام دولته، بحمد وعترته » (٣). هذا قول ابن المهار الحنبلي في كتابه « الفتوة » الذي ألفه باسم الناصر لدين الله.

وقال إلياس بن أحمد النقاش في كتابه الفتوة بعد ذكره اختلاف الفتيان في البلدان وسلوكهم طريق الفضلالة وإقارنتهم الفتن وإتيانهم البسوع وارتكابهم الذنوب وميلهم إلى المجادلة والمكابرة، قال : « إلى أن شرف الله تعالى الفتوة وكرمها وأعلى منارها وعظمها بسيدنا ومولانا الشجرة الامامية والدوحة النبوية والسلالة العباسية وخليفة [الشريعة] الربانية إمام المؤمنين

(١) التاريخ المظفر « الورقة ٢١٢ تحت الأرقام ١٢٩٢ ب ».

(٢) تحفة الأحباب وبنية الطلاب « من ١٧ طبعة مصر سنة ١٩٣٧ هـ دلنا عليه الأستاذ الحصان.

(٣) كتاب الفتوة « الورقة ١٣ ».

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

وخليفة رب العالمين الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إمام المشرق والمغرب لا إمام للمسلمين سواه ، ولا قبله للدين إلا إياه ، صلى الله عليه وعلى آله وذريته فشييد بنيانها ، ومهد أركانها وألف أحزابها ، وأرشد طلابها وأظهر أنوارها وأوضح برهانها » (١) .

وقد كان الناصر أهلاً لاكثر من هذا المدح وذلك لتوحيد العرب والمسلمين بعد أن نسوا الاتحاد ، وإعادة إليهم عزهم بعد ضياع وافتقار ، وهذا أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ يقول في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » : « فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب وكان الواجب أن نبتدي بذكر مدينة السلام — حرمها الله تعالى — إذ بها إمام المسلمين وخليفة للوحدين وأمير المؤمنين وابن عم سيد الرساين الامام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ... الذي رفع المظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام حدود الله وأحيا سنة رسول الله وعمر الشريعة وأظهر الصنمية ، وفقه الله لعلمائه ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته بمحمد وآله وعترته ... » (٢) .

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله جدد بالفتوة شباب الأمة ووحدتها في الداخل والخارج وجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق والغرب ، حتى إن أحد أمراء المانبة كتب إليه كتاباً يطلب فيه الدخول في فتوته كما ذكرت جريدة « Le Debat » الفرنسية (٣) .

ثم رأى الناصر لدين الله أن نزاعاً يحدث آونة بين أحزاب الفتيان فيحدث فشلاً في الأمة وضعفاً ، فضلاً عن إخلاله بالأمن وتأديته الى سفك الدماء فأصدر في سنة ٦٠٤ هـ « منشوراً » بإبطال جميع الفتوة القديمة وإثبات فتوته وحدها ، وجعله مرجع الفتوة الأعلى وإمامها الأعلى

(١) فتوة إلياس النقاش ١ ، ٢ - من نسخة استانبول المطبوعة .

(٢) كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ١ ، ص ٢ ، طبعة جازين سورديلي بدمشق .

(٣) La Tradition Chevaleresque des Arabes. par. Wacyf Botros P. 25 id Paris 1919

قال تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغدادي في حوادث سنة « ٦٠٤ هـ »
المذكورة :

ذكر نقل الفتوة وما تجدد منها : في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة وجعل أمير المؤمنين
الناصر لدين الله - رضي الله عنه - القبلة في ذلك والرجوع إليه فيه ، وكان هو قد شرف
عبد الجبار بالفتوة إليه - وكان شيخاً متزهداً - فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعامة ،
وسأل ملوك الأطراف الفتوة ، فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة
الشريفة وانتشر ذلك ببغداد وتفتي الأصغر والأكبر (١) .

وفي اليوم التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة أصدر مرسوماً بتقرير قواعد الفتوة
وأن الحدود الشرعية لا تسقط بالفتوة ، فمن قتل النفس المحرم قتلها قتل بمسد أن تزرع منه
سراويل الفتوة ، ومن أدى عجرماً محوqb ولمس عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « من آوى
معدناً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » (٢) .

وفي سابع عشر رجب من السنة المذكورة أحضر إلى باب البدرية من أبواب دار الخلافة
العباسية ببغداد فتيان من الغتبان كانا قد اشتراكا في قتل رجل ، فزعت منها سراويلات الفتوة
وقُتلا توسيطاً أي قطعاً بالسيف نصفين قصاصاً لها لقتلها النفس المحرمة وأخرجت جثتها فالتفتتا
على باب البدرية ، فارتدع بها أمثالها وانحسرت مادة النزاع والفساد والقتل وانكشف الموام عن
تطاولهم (٣) .

ومن لبس سراويل الفتوة للناصر لدين الله من ملوك الأطراف الملك العادل أبو بكر محمد بن
أيوب الأيوبي ملك مصر والشام يومئذ وأبنائوه : الملك الكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك
الأشرف موسى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي

(١) الجامع المختصر وعنوان التواريخ وعيون السيرة ٩ : ٢٢٦ .

(٢) المرجع المذكور ص ٢٢٢ - ٢٢٥ .

(٣) المرجع المذكور (ص ٢٢٨) .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

ملك حماة والملك الغالب عز الدين كيكاس بن كيخسرو السلجوقي ملك بلاد الروم أي تركيا ، وشهاب الدين محمد بن سمام التنوري ملك النور أي أفغانستان الحالية وما حولها من الهند ، والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي ملك حلب وما حولها وملك شيراز محمد بن زندي وصاحب جزيرة كيش في الخليج الفارسي وغيرهم^(١) . قال أبو الفداء في حوادث سنة « ٦٠٧ هـ » :

« وفي هذه السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وأن يتسبوا إليه في رمي البندق ويحملوه قدوتهم فيه^(٢) » . وقال ابن الفرات في ترجمة الخليفة الناصر لدين الله : « فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من لبس منه السراويل ورمى له ، فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وأدعوا له في البندق ووصل رسوله إلى حماة في أيام الملك المنصور [محمد بن عمر الأيوبي] صاحب حماة وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكاره ، فأمر الملك المنصور الشيخ سالم بن نصر الله بن واسل الحموي بمثل خطبة في الفتوة ، فعمل خطبة بديعة في هذا المعنى واستشهد بآيات من القرآن العزيز منها قوله تعالى : سمعنا فتيًا يذكركم . ومنها قوله تعالى : إذ أوى الفتية إلى الكهف . وغير ذلك من الأخبار والآثار . فقرئت هذه الخطبة بحضرة الملك المنصور والأكاره ، وكان قاضي حماة في ذلك الزمان القاضي برهان الدين أبو اليسر بن موهوب ، فأمره الملك المنصور يلبس سراويل الفتوة في المجلس فلبسها ولبسها الجماعة^(٣) » .

وقال تقي الدين المقرئ في حوادث سنة ٦٠٧ هـ : « وفيها شرب ملوك الأطراف كأس

(١) تنكت العميان في تنكت العميان « ص ٩٣ » والسلوك لمعرفة دول الملوك « ١ : ١٧٢ » وذيل الروضتين « ص ٦٩ » والمختصر في أخبار البشر « ٣ : ١٩٩ » طبعة استانبول . وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ٣٨٤ » من نسخة المخطوطة .

(٢) المختصر في أخبار البشر « ٣ : ١٩٩ » .

(٣) تاريخ ابن الفرات « المجلة الأسبوعية مج ٦ ص ٢٨٥ سنة ١٨٥٨ » ، والفتوة والخليفة الناصر المستشرق الألماني فرانتز بيشنر في « المنقح من دراسات المستشرقين ١ : ١٩٤ » وهي في التاريخ أوسع .

الفتوة للخليفة الناصر لدين الله انتمعي كل رعية إلى ملكها . ففعلوا ذلك . وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمرائها وأكابرها وألبس كلهم له وسقاء كأس الفتوة . وكان الخليفة الناصر مفرماً بهذا الأمر . وأمر الملوك أيضاً أن تنسب إليه في رمي البندق ونجمه قدوتها فيه ^(١) . وقد ذكرنا قبل هذا شمس الدين بن البعلبكي قاضي الفتيان الذي بعث إلى مصر ليُسقي الملك الكامل للناصر لدين الله بالوكالة .

وبفهم مما قلنا من الأخبار أن الفتيان كانوا يتعاطون الرمي بقوس البندوس وهي التي تطاوت بعد شيوع استعمال البارود فنشأت منها البندقية ، وأن الناصر لدين الله أمر الملوك أن ينسبوا إليه في الرمي ويحملوه إسمهم ، وقد صنّف الناصر لدين الله الطيور التي تُصاد بحسب قانون الفتوة أربعة عشر صنفاً وسمّاها « الطير الجليل » وتسمى طير الواجب أيضاً وهي : النسر والمقاب والفلخ والقلق ويسمى السبيطر أيضاً والعناز والرزم والتمّ والفرنوق والانيسة والكركي والبجع ويسمى الكي والحبرج وهو الحباري والصوغ والاوز ^(٢) . وقد ألف الشيخ العالم الفقيه الشافعي محمد بن إسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال الشافعي معيد المدرسة النظامية كتاباً في أحكام صيد الطير الجليل سماه « المقترح في المصطلح » قال في أوله : بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى واسطة المرقدة ، ومالك الحل والمقد ، والوئيد باتباع الحق ، والمسدد بكلمة الصديق ، والتخلق بأخلاق الله الناصر لدين الله ، بلغه [الله] من الآمال كل النهاية ومن المز والكرامة وأقصى الغاية » إلى أن يقول « وبعد فأقول إنه قد استوجب علي حقاً أن أجمع في طريقة البندق مختصراً حاوياً لا تفرق من أحكامه ومسائله ، وأبين كيفية استيعاب أواخره عن أوائله وأن أجعل لها القواعد الشرعية ، كالغنايط والمرد ، والأصول الفقهية دعامة في القبول والرد ^(٣) ... »

(٤) السلوك « ١ : ١٧٢ » .

(٥) المقترح في المصطلح لابن ودعة . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس الورقة ١٠ .

(٦) المقترح في المصطلح « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، الورقة ٤ » .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

وقد انتقد بعض المؤرخين على الامام الناصر لدين الله عناية بالفتوة ولم يوفق للصواب في تقديره ، لأن الناصر كان قد وحد الأمة الاسلامية ، وأحيا عز العرب وناموسهم بمساعيه وأعماله ومنها تجديد الفتوة ، وأعاد الى العرب استقلالهم السلوبي والى الاسلام قوته وبهجته ، وبث نظرة الربى للأمم الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، والأمة العربية في مواطنها زهاء نصف قرن من الزمان يختلف ، بالبداهة ، عن نظر مؤرخ محدود الفكر ضئيل الهمة متأثر بالحوادث الشخصية ، والأمور السياسية في عصره . وفي الحق أن خلافة الناصر التي دامت سبعاً وأربعين سنة ، وفتوته البارعة وجمعه كلة الأمة وتدريبها على أنواع الرياضة البدنية لبناء أجسام قوية ، وعلى استعمال أنواع السلاح لاعداد جيوش قاهرة وتربية الجيل جديد شجاع مدرب على القتال والقراع كانت من أسباب الفخر والاعتزاز عند العرب والمسلمين . وكان من نتائج الفتوة توحيد الجيوش الاسلامية^(١) .

واتبع الخلفاء العباسيون الذين جاءوا بعد الناصر لدين الله أثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الاسلامية ، على اختلافهم في الحماسة لها ، بالإضافة إلى ميل أنفسهم إليها ، فابنه محمد الظاهر لم يبق في الخلافة زمناً نستطيع أن نقين به مقدار عنايته بها ، فانه توفي سنة « ٦٢٣ هـ » ودامت خلافته من أول شعبان سنة « ٦٢٢ هـ » إلى الرابع عشر من رجب سنة « ٦٢٣ هـ »^(٢) . وسيأتي أنه تفتى من أبيه (ص ٧٣) واستخلف بعده ابنه منصور المستنصر بالله وكانت عنايته بالفتوة كبيرة مستدامة ، قال بروكلمان : « وكان قد تماقب على عرش بغداد بعد وفاة الناصر الخليفة الحازم ذي الهمة العالية سنة ١٢٢٥ م خلفاء مستضعفون »^(٣) . وكان مولد المستنصر سنة « ٥٨٨ هـ » في السنة الثالثة عشرة من خلافة جده الناصر لدين الله ، قال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : « كان جدّه الناصر يقرّبه ويسميه القاضي

(١) راجع مثال ذلك « النجوم الزاهرة » في ملوك مصر والقاهرة ٦ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) السكلكل في حوادث سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٣ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ٢٧١ من الترجمة العربية .

لهديه وعقله وإنكار ما يمجده من التكبر^(١) . وقال ابن النجار : « نشر المدل في الرعايا ، وبذل الانصاف في التماضيا ، وقرب أهل المسلم والدين وبني الساجد والربط والمدارس والمؤسسات ، وأقام منار الدين ، وقمع المتمردة ونشر السُّنَن ، وكف الفتن ، وحمل الناس على أقوم سُنَن ، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام ، وجمع الجيوش لنصرة الاسلام ، وحفظ الثغور واقتنع الحصون^(٢) » . ومن آثاره المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، ولا يزال أكثرها قائماً شاهداً بالفخامة والضيخامة وغرامه بعلوم الدين والطب .

وأراد المستنصر أن يرتفع الى سند عال في الفتوة ، فحسن له جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي السكوفي أن يلبس سراويل الفتوة من علي بن أبي طالب وأفتى بجواز ذلك ، فتوجه للمستنصر الى مشهد علي بالنجف ولبس السراويل عند الضريح ، وكان جلال الدين بن المختار هو الثقيب في ذلك^(٣) .

وكان المستنصر يُفتي الملوك والأعيان بطريقة الوكالة ، ففي سنة « ٦٢٦ هـ » أنفذ نجر الدين أبا طالب أحمد بن الدامغاني والشيخ شمس الدين أبا البركات عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل وسعد الدين حسن بن الحاجب إلى جلال الدين منكوبرني بن خوارزمشاه محمد بن تكش مع رسول كان وصل منه ، وهو يومئذ على خلاط محاصراً لها ، وأرسل اليه معهم بتشريقات وكراخ ولباس الفتوة ، وكل الخليفة فخر الدين بن الدامغاني في تفتيته من الخليفة وكان الشيخ أبو البركات عبد الرحمن ثقيب الفتوة ، وكان ذلك بموجب سؤاله

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٧٢ طبعة الهند » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٤٧٢ » .

(٣) الحوادث التي سميناها الحوادث الجامعة وليس به « ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ » . قال المؤلف : « كان جلال الدين عريق النسب كبير القدر أديباً فصيحاً ، حفظ القرآن في ثيف وخدين يوماً ... وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام ، وكان يفتي فيه ويرجع الى قوله ، ولم يزل على ذلك الى أيام الخليفة المستنصر بالله فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي ع - وأفتى بجواز ذلك ... » وذكر أنه توفي سنة « ٦٤٩ هـ » .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

ووصول رسول الله بطلبه فخلعوا عليه خلع الخليفة المستنصر بالله وألبسوه سراويل الفتوة^(١). وفي سنة « ٦٣٤ هـ » في خامس صفر منها قدم نور الدين أرسلان^(٢) شاه بن عماد الدين ابن زكي صاحب شهرزور فتلقاء موكب الديوان ورفع قدره وخلع عليه ، وأسكن بدار النقيب الطاهر معد الموسوي بالفتوية ، واستسدى في اليوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور إلى البدرية من مواضع دار الخلافة فحضر عند شرف الدين إقبال الحبشي الشرايبي مقدم الجيوش يومئذ فشرّفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله وخلع عليه^(٣). وفي سنة « ٦٣٤ هـ » أيضاً حضر الشيخ عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية بالدرسة المستنصرية ، بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرايبي وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله^(٤).

وفي سنة « ٦٣٧ هـ » هرب من المراق قطب الدين سنجر المعروف بالياغر المستنصري أحد أمراء الجيش العباسي وفي صحبته جماعة من المالكين فلقبه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام فقبض عليه وأتى به إلى بغداد تحت الاستظهار وأحضر ابن غنام إلى البدرية وخلع عليه وشرّف بلباس الفتوة من الخليفة ثم رجع إلى مستقره^(٥).

وكان سقوط الدولة العباسية سنة « ٦٥٦ هـ » ركوداً لأمر الفتوة في بغداد والمراق ، ثم ظهرت الدولة العباسية السورية في مصر فظهرت معها الفتوة ، ففي سنة « ٦٥٩ هـ » في يوم عيد الفطر ركب السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر والشام مع الخليفة المستنصر بالله الثاني تحت المظلة وصلى صلاة العيد فظاهر القاهرة وحضر الخليفة خيمة السلطان

(١) الخواص « ص ١٢١ » .

(٢) في معجم الأنساب والأمر الحاكم في التاريخ الاسلامي لإمبار « ص ٣٤٣ » أنه ابن عز الدين محمود الثاني بن نور الدين أرسلان الأول . ولعل ذلك خطأ .

(٣) الخواص « ص ٨٨ ، ٨٩ » .

(٤) الخواص « ص ٩٠ ، ٩١ » .

(٥) الخواص « ص ٩٣٠ » .

بالمزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر^(١) . وقد أوضح المفضل بن أبي الفضائل خبر الفتية هذا بأن قال : « ثم تجهز السلطان ببيرس الى الشام في تاسع عشر رمضان ورغب في لباس الفتوة فألبسه الخليفة قبل سفره ، ونسبة الفتوة من الامام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه^(٢) ... » .

وفي سنة « ٦٦١ هـ » في ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سئل الملك الظاهر ببيرس الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي : هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته العباسيين الظاهرين أو من أوليائهم المتقين ؟ فقال : لا . والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود ، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة ، وأن يمنحه ما كان ابن عمه - رضي - افترضه ، ولبس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره في مثل ذلك ، وبأشر اللبس^(٣) الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان ، بحق لبسه من الامام المستنصر بالله [الثاني] أمير المؤمنين ولد الامام الظاهر ، وأبوه لجدّه الناصر لدين الله والناصر لعبد الجبار ... لسلمان الفارسي للامام الظاهر القمي علي بن أبي طالب - رضي - وحمل السلطان الى الخليفة من الملابس لأجل ذلك بلبق بجلاله^(٤) .

وهذا يدل على رواج أمر الفتوة في عصر المماليك بمصر والشام واستمرار قوتها منذ أيام الأيوبيين إلى ما بعدها من المصور ، وكان أمرها على العكس في العراق لأنها من رسوم العباسيين وآيينهم ، وفي بعضها ما يثير الفتن ، ففي سنة « ٦٨٦ هـ » من حكم السلطان أرغون بن أبنا بن هولاكو كثير اهتمام عوام بغداد بقتل السباع ، كما جرت عادة الفتيان ، وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين أهل المجال فأنكر الديوان ذلك وتقدم بإحراق السباع لاطفاء الفتنة ومنعوا

(١) السلوك للقريري ١ : ٤٥٩ .

(٢) النهج للسديد ١ : ٨٤ ، ٨٥ . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٠٢٥ : الورقة ٧ .

ومفرج المكروب نسخة دار المذكورة ١٧٠٢ : الورقة ٤١٢ .

(٣) الصواب « اللباس » لأنه ألبسه سراويل الفتوة .

(٤) السلوك ١ : ٤٩٥ - ٤٩٧ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

بعد ذلك من الخروج لقتل السباع^(١).

وكان أمثال هؤلاء ينعم عليهم بشيء من البر عندما يؤذن لهم في الخروج لقتل السباع أيام الخلفاء ، قال بعض المؤرخين في حوادث سنة « ٦٤٠ هـ » : « سأل جماعة من شبان الحال أن يؤذن لهم في الخروج الى قتل السباع ، فاذن لهم جرياً على العادة القديمة في أيام الخليفة الناصر لدين الله وأنعم عليهم بشيء من البر فاجتمع مع من كل محلة جوق وخرجوا مجتازين في عمود البلد [بغداد] وبين يدي كل جوق اللامبابة بالدقوف والرمور والفساني وسائر الملاهي^(٢) ... » ثم حدثت فتنة بينهم استوجبت إرسال الجند إليهم وقمعهم .

وانتشرت الفتوة في بلاد الروم المعروفة بالأناضول وآسية الصغرى منذ أيام الخليفة الناصر لدين الله ، وقد وصف ابن بطوطة الرحالة المشهور الفتيان « الآخية » وذكر عاداتهم^(٣) . وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « قونية » مثلاً أنه نزل منها بزاوية قاضيا المعروف بابن قلمشاه وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا ، وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع — ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الطريقة^(٤) وفي الخبر ما يشعر بتطورها إلى فتوة الأصناف .

وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « اصفهان » فتوة طبقات وأصناف في الثلث الأول من القرن الثامن للهجرة ، قال : « وفي أهل اصفهان كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الأطلعة ، تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة ... وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبيراً منهم يسمونه (الكاوي) وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات ، وتكون الجماعة من الشبان

(١) الحوادث ٤ : ٤٥٣ .

(٢) الحوادث ٤ : ١٧٥ ، وتراجع أمثال هذه الحادثة في الجامع المختصر وعنسان التواريخ وعبود السير ٩ : ١٤٦ ، ١٤٨ ، وغيره من كتب التاريخ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ١ : ١٨١ : ١٨٧ من طبعة مصر .

(٤) رحلة ابن بطوطة ١ : ١٨٧ .

الأعزاب وتتفاخر تلك الجماعات^(١). ونحن وإن لم نجد في الخبر اسم الفتيان فقد رأينا واضح الدلالة على أصنافهم وأوصافهم ، وقد قدمنا شيوخ الفتوة بمصر في القرن التاسع للهجرة «ص ٦٥» ويؤيد هذا التطور كتاب الفتوة الشائع المتأخر الزمان العديد النسخ في خزائن كتب العالمين ، وفي آخر نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ذات الأرقام ١٣٧٧ في الورقة (٣٨) ما هذا نصه « تم بعون الله وحسن توفيقه في آخر شعبان يوم السبت عند الغروب سنة ١١٤٥ هـ . وهذا التاريخ يدل على أن تطور الفتوة إلى الأصناف حدث قبل نهاية القرن الحادي عشر للهجرة ، قال مؤلف هذه الفتوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى جنتان النعيم ، إنه ثواب كريم ، غفور رحيم . الحمد لله الذي جعل الفتوة لباس التقوى وخلة الأنبياء وسلك فيها من اختص من عباده الأولياء والأصفياء ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد الأصفياء محمد المصطفى وابن عمه علي المرتضى وعلي آلله وأصحابه وآل بيته الأتقياء : أما بعد فقد روي عن السيد محمد بن السيد علاء الدين بن الرضي — عفا الله تعالى عنه — أنه مصنف هذه الفتوة ومعرفة هذه الطرائق والحقائق وأركان الشريعة .

« واعلم يا طالب الفتوة وسلوك الطريق — هداك الله إلى مواقيت السائرين ، وأوصلك إلى منازل الواصلين — واعلم أن أركان الفتوة والشدة (كذا) لا تنهاون أن أركان الفتوة يأخذ القراض ويأخذ العهد ويتوب ، وشرط الشدة أن يوفي حق الله تعالى واعلم يا طالب الفتوة والشدة لا تتجاوز في بساط الشدة وأن تطبخ الخلوة وتفرقها بين الحاضرين في الشدة سواء وتدور بها من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان ، وإذا سلمها كيف يسلمها وإذا أخذها كيف يأخذها من حاملها وأهل المنفل كيف يلقيهم بعضهم بعضا وإذا طالب أحد حقاً كيف يأخذه وإذا صار غلطاً من الطريق يقف عند صف النعال ... »^(٢)

(١) الرحلة المذكورة ص ١٢٥ .

(٢) الفتوة ١٣٧٧ الورقة ٣٤١ .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

ثم ذكر الأئمة والأعيان الذين ينتسب اليهم فتيان ذلك الزمان على حسب أصنافهم وذلك في أثناء الكلام على شد الفتوة في أيام النبوة قال : « وقام علي في الحال فشد سبعة عشر رجلاً من أصحابه أولهم سلمان الفارسي ، شده وأجازه ، وكان في خدمة النبي - ص - وكان حلاقاً وعاش من العمر ثلاثمائة سنة وهو مدفون في المدائن ^(١) . الثاني : عمر بن أمية الضمري ، شده وأجازه ، وجميع السعاة والشطار تنسب إليه وهو مدفون بخص . الثالث : بلال الحبشي ، شده وأجازه وجميع المؤذنين تنسب إليه وهو مدفون في دمشق . الرابع : بريدة الأسلمي ، شده وأجازه وكان يحمل سنجق النبي - ص - وكل من يحمل سنجقاً ينسب إليه ، وهو مدفون في تميم ^(٢) وراح شهيداً . الخامس : ذو النون المصري شده وأجازه وبعثه إلى سلطان مصر المقوقس يدعو إلى الإسلام فحبسه وآمن برسالة محمد - ص - وكان ذو النون ماهراً في علم الطب وجميع الأطباء والجراحين تنسب إليه وهو مدفون بمصر . السادس : سهيل الرومي ، شده وأجازه وجميع المشايخ الأحياء (وفي نسخة وسلسلة التخاوي) تنسب إليه وهو مدفون في حوران . السابع : حسن البصري ^(٣) ، شده وأجازه وجميع المشايخ تنسب إليه وهو مدفون ببخارى وعاش مائة وسبعين سنة . الثامن : قنبر علي ، شده وأجازه وجميع السياس (أي السواس) تنسب إليه وهو مدفون ببغداد ^(٤) ومات شهيداً من يد الحجاج - عليه من الله ما يستحق - .

(١) عرفت اليوم بسلمان بك أي سلمان الطاهر ، وللاحلاقين عيد يزورون فيه سلمان الفارسي في كل سنة ويفعل فعلهم كثير من أهل اللهو والبطالة واللامية .

(٢) اسم جبل قيل إنه بأكناف الريزة وقيل حصن ، معجم البلدان .

(٣) ذو النون لم يكن من الصحابة ولا من التابعين ، ولكن فتيان ذلك الزمان يعسدون من ليس بالحسين .

(٤) الحسن البصري من التابعين ولم يكن من الصحابة ، وثبوت نسبة شد علي له عقلاً لا نقلاً لأنهم لم تثبت تاريخاً .

(٥) نسب إليه قبر بغداد في محلة تنسب إليه تعرف بمحلة قنبر علي ، وهي آخر محلة قراح ابن رزين في أيام العباسيين ، وكان في هذه المحلة نربة بني جبير الكبراء الوزراء ، منها قبر عميد الدولة محمد بن محمد بن جبير وجماعة من ولده المنتظم ٩ : ١١٨ ، ١١٩ ، ولغيس معجم الألقاب ٢ : ١٤٧ ثم دفن فيها .

مصطفى جواد

وعاش من العمر تسعين سنة . التاسع : كميل بن زياد ، شدة وأجازه ، وجميع المصنفين تنسب إليه وراح شهيداً من يد الحجاج لأنه كان يقتل الناس بغير حق وهو مدفون بالكوفة . العاشر : عبيد الله بن عباس ، شدة وأجازه وجميع المفسرين تنسب إليه . الحادي عشر : السدري ، شدة وأجازه وجميع البهائيين (جمع البهوان) والامارة تنسب إليه لأنه كان بهلوان عصره عند الامام علي ، وأعطاه الامارة وعاش مائتي سنة وهو مدفون بالكوفة . الثاني عشر : جومرد القصاب ، شدة وأجازه وجميع القصابين تنسب إليه وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون بمسدد . الثاني عشر : أبو ذر الغفاري ، شدة وأجازه ، وجميع البراذعية تنسب إليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في حصن منصور . الرابع عشر : أبو الدرداء العامري ، شدة وأجازه وأعطاه إجازة بأخذ المهدي على الفقراء وكل شيخ وكل فقير ينسب إليه وعاش مائتين وثلاثين سنة وهو مدفون بمعاملة غه . الخامس عشر : أبو عبيدة الحرصي (كذا) ، شدة وأجازه وكان رئيساً في الأنصار وكل من كان رئيساً ينسب إليه وعاش مائة وتسعين سنة وهو مدفون في الحرص . السادس عشر : أبو النضر عبد الله ، شدة وأجازه ، وجميع الحياك

== جهم بن عبد الله بن الحسين بن بهير سنة ست مائة للهجرة . التلخيص المذكور : ٢٣٠ . وعن دفن فيها سبط ابن جهم أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي سنة أربع وأربعين وخمسمائة . ابن الديلمي ، نسخة المطبع ، الورقة ١٥٣ . وابن النجار ، نسخة باريس ٢٦ . ومن عجب التاريخ أن في هذه القبرة دفن الشاه منصور بن زينل القره قوينلي سنة ٨٧٤ هـ بعد أن طرحت جثته في الميدان فأكلتها السكلاب . التاريخ النيابي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ . وذكر هذا القبر صفاء الدين عيسى الهندنجي في ترجمته . جامع الأنوار في مناقب الأخيار ص ٣٧٨ . قال : « ومنهم قبر علي — ك — قال المؤلف ما ترجمته أنه مولى علي — ك — ومدفنه باتفاق أهل العراق في بغداد في الموضع الذي يزار الآن . قالت وعرف بحلة قبر علي واسكن أكثر الناس على أنه استشهد بقتل الحجاج بن يوسف ودفن في واسط » . وذكره الصديقي الدمشقي في رحلته إلى بغداد سنة ١١٣٩ هـ قال : « وأتينا صخرة الصديق الأوحده فاصدين تمكية رفيع المرقع فلما وصلنا إلى زيارة سيدي قبر خادم ركاب سيدي الأخضر ... قرأنا الفاتحة وكنا زرناء غير هذه المرة الناجحة » . الورقة ٢٥٦ . وفي مباحث عراقية المصنفين يعقوب مسير كيس : ١ : ٣٢٤ . أنه ورد في حوادث سنة ١٠٥٧ هـ اسم « ميدان قبر علي » .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

(الحوكة) تنسب إليه وعاش سبعاً وثمانين سنة وهو مدفون في اكر (كذا وفي نسخة بالري) السابع عشر : المعجز ، شدة وأجازه وجميع القصارين تنسب إليه ، وبعده جلس الامام علي على السجادة وأمر سلمان الفارسي أن يشد الباقي من الصحابة بأجازه النبي - ص - وأجازه الامام علي - رضي - والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ^(١) ... » .

وفي خزانة كتبي نسخة من كتاب الفتوة هذا ، قال مؤلفه فيه بعد ذكره ما يشبه الذي نقلت : « وكان أولهم ^(٢) عمران البربري ، شدة وأجازه وجميع الخبازين تنسب إليه وهو مدفون بالري . و (٢) علي بن بنيامين ، شدة وأجازه ، وجميع السهمانيين تنسب إليه وعاش مائة سنة وعشرين سنة وهو مدفون بالقدس . و (٣) أبو عمرو بن عبد الباسط ، شدة وأجازه وجميع من يدخل النار ينسب إليه ، وهو مدفون بالري . و (٤) سلمان الكوفي ، شدة وأجازه وجميع النسقاتين تنسب إليه وعاش مائة وستين سنة . و (٥) عبد الله المصري ، شدة وأجازه ، وجميع الدلائين تنسب إليه وعاش تسعين سنة . و (٦) عبد المحسن بن عثمان ، شدة وأجازه ، وجميع نواطير نواه الحمام (كذا) تنسب إليه وهو مدفون في بغداد . و (٧) سلطان أخي بابا ، شدة وأجازه وجميع الدباغين تنسب إليه وعاش مائة وستين سنة وهو مدفون في مدينة مرو (كذا أي مرو) . و (٨) زاهد القطان ، شدة وأجازه ، وجميع القطانين تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة . و (٩) داود بن عبد الرحمن ، شدة وأجازه ، وجميع الخياطين تنسب إليه وعاش تسعاً وخمسين سنة ، وهو مدفون بالري ، و (١٠) خليل بن عبد الله ، شدة وأجازه وجميع الاقباعية تنسب إليه ، وعاش تسعين سنة وهو مدفون في الجزائر . و (١١) عمر بن عامر ، شدة وأجازه ، وجميع القرابين ^(٣) ، وهو مدفون بالكوفة . و (١٢) أبو سعيد

(١) نسخة باريس ١٣٧٧ من الورقة ١٩ .

(٢) أي أول من شدة وتمام سلمان الفارسي .

(٣) هكذا ورد ويجوز أن يكون « القرائين » بفتح القاء وتشديد الراء جمع القران أي صاحب القران ، الذي يخبر فيه ، ويشوي ويصلح أحياناً . ولو ورد « القراء » بالفاء اصطلاحاً لقارء القرآن ومقرئه لكان « القرائين » جمع « القراء » على أنه يجوز هذه الصيغة قياساً .

الوارث ، شدة وأجازته وجميع البائدة (كذا) تنسب إليه وعاش مائة وثلاثين سنة . و (١٣)
عقيل ، شدة وأجازته وجميع الحفاظ تنسب إليه . و (١٤) منصور بن معاذ ، شدة وأجازته ، وجميع
المصنفين تنسب إليه . و (١٥) قاسم الكوفي ، شدة وأجازته وجميع الكتبة أصحاب الأعلام تنسب
إليه . و (١٦) عبدالله اليتيم ، شدة وأجازته ، وجميع مجلدي المصاحف تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة .
و (١٧) حسان بن ثابت ، شدة وأجازته وجميع الشعراء تنسب إليه وهو مدفون في المدائن .
(١٨) حمزة بن النخعي ، شدة وأجازته وجميع العمارة تنسب إليه وهو مدفون في المدائن .
و (١٩) أبو زيد الهندي وجميع الحدادين تنسب إليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في
المدائن و (٢٠) حبيب بن محي الدين ، شدة وأجازته وجميع النخاسين تنسب إليه وعاش مائة
سنة وهو مدفون بالري . و (٢١) أبو قاسم المبارك ، شدة وأجازته وجميع الفلاحين تنسب إليه
وعاش مائة وثمانين سنة وهو مدفون في شيراز . و (٢٢) النجاشي بن قاسم (كذا) شدة
وأجازته ، وجميع البيطرة تنسب إليه ، وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون بالهرمز . و (٢٣)
نصر بن عبدالله ، شدة وأجازته وجميع الصباغين تنسب إليه ، وعاش ثمانين سنة وهو مدفون
بالكوفة . و (٢٤) نصيب بن نصر ، شدة وأجازته وجميع الخواثيسة تنسب إليه وهو مدفون
بالبصرة . و (٢٥) حسام بن عبدالله البصري ، شدة وأجازته ، وجميع المطارين تنسب إليه
وعاش مائة سنة . و (٢٦) عبدالله بن جعفر الطيار شدة وأجازته وجميع الخزائين تنسب إليه وهو
بالكوفة . و (٢٧) عبيد الله بن عبدالله الخزاعي ، شدة وأجازته ، وجميع الجمالين تنسب إليه
وهو مدفون بالهرمز . (٢٨) محمد بن أكبر ، شدة وأجازته وجميع البوابجية^(١) والسراجية^(٢)
تنسب إليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون بالجزائر . و (٢٩) عمار بن ياسر ، شدة

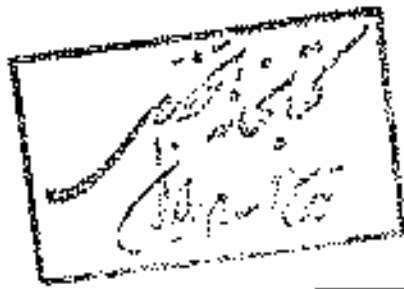
(١) ظاهرها أنها جمع « البابوجي » وهو صاتم البابوج أي خف المرأة بهيأته المعروفة الى اليوم .

(٢) ظاهرها أنها جمع « السراجي » أي صاتم السراجية وهي المسداس ، والسراجية معروفة بمصر

والشام اليوم .

الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

وأجازته ، وجميع السمرجية (كذا) تنسب إليه وعاش ثمانياً وسبعين سنة وهو مدفون بالكوفة .
 و (٣٠) أبو النضر بن هاشم ، شدة وأجازته ، وجميع السراجين تنسب إليه وعاش ستين سنة
 وهو مدفون بمكة - شرفها الله تعالى - . و (٣١) سيد الهندي ، شدة وأجازته وجميع الصوفية
 تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٢) أبو الفتح عيسى بن عبد الله البصري ، شدة وأجازته ،
 وجميع الاسكافية تنسب إليه . و (٣٣) ناصر بن عيسى بن عبد الله المكي ، شدة وأجازته وجميع
 الخيمية تنسب إليه . و (٣٤) نصر بن عبد الله الهندي وأجازته ، وجميع الفراشين تنسب إليه .
 و (٣٥) حسن الفتي الغازي ، شدة وأجازته ، وجميع صناع السلاح تنسب إليه . و (٣٦)
 عمر بن الحراني ، شدة وأجازته وجميع الجاويشية تنسب إليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٧)
 نصر الله بن سنان ، شدة وأجازته وجميع السعديين تنسب إليه . و (٣٨) أبو قاسم النجار ،
 شدة وأجازته وجميع التجارين تنسب إليه . و (٣٩) عيسى بن حبيب ، شدة وأجازته
 وجميع الخراطين تنسب إليه . و (٤٠) قاسم بن نصر ، شدة وأجازته وجميع الحجازيين تنسب
 إليه . و (٤١) سعيد بن سعد بن أبي وقاص ، شدة وأجازته وجميع النشاشيبيية تنسب إليه .
 و (٤٢) أبو محارب بن عمران ، شدة وأجازته ، وجميع القواسمين تنسب إليه . و (٤٣) عامر
 ابن عبد الله ، شدة وأجازته ، وجميع الفتالين تنسب إليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون
 باليمن . و (٤٤) عمر بن نصير الوتار ، شدة وأجازته ، وجميع الوتارين تنسب إليه . و (٤٥) الملائي ،
 شدة وأجازته ، وجميع الفواخرة تنسب إليه ، و (٤٦) غياث بن الحراني ، شدة وأجازته ،
 وجميع الحرائين والزراعيين تنسب إليه . و (٤٧) أبو زيد الهندي ، شدة وأجازته ، شدة
 وأجازته ، وجميع اليسانية (كذا) تنسب إليه . و (٤٨) محمد بن الكبير الوسطاني
 شدة وأجازته وجميع الطبائخين تنسب إليه . و (٤٩) ورقعة بن المدادي ، شدة وأجازته
 وجميع خياطي العراق تنسب إليه . و (٥٠) عون بن عمران ، شدة وأجازته . و (٥١) أبو
 شارب العراقي ، شدة وأجازته وجميع رعيان الغم تنسب إليه . و (٥٢) طيفور المكي ،
 شدة وأجازته ، وجميع الحرفوشية تنسب إليه . و (٥٣) أحمد بن عبد الله ، شدة وأجازته ،



مصطفى جواد

وجميع العصابونية تنسب إليه . و (٥٤) نصير بن مضيضة ، شدة وأجازه وجميع رساي اللحف تنسب إليه . و (٥٥) ناصر الهندي ، شدة وأجازه ، وجميع الضويه (كذا) تنسب إليه و (٥٦) الشاذلي ، شدة وأجازه وجميع القهوجية تنسب إليه . و (٥٧) محمد بن عبد الله ، أجازه وجميع السقائين تنسب إليه . وهذه البشارة ^(١) أصحاب الشد والعهد سبعة عشر ، شدم الامام علي والتسعة والخمسون ^(٢) شدم الأخ العزيز سلمان باك الفارسي — رضوان وسلامه عليهم أجمعين — . (٣) .

وهذه الجمهرة من أسماء الصحابة المحرفة والمصحفة وأسماء غيرهم المشوَّهة تدل على أن جميع أصحاب الحرف والصناعات دخلوا في الفتوة ، وأن كل صنف انتسب إلى أحد الصحابة أو رجل آخر لاصلة بالصحبة النبوية ولكنهم أحبوه وصحبوه وعندهم تسقط قيم التواريخ والأزمان والأعمار فلا يستغرب عندهم أن يكون ذو النون المصري الذي هو من أهل القرن الثالث للهجرة معاصراً للمقوقس نائب الروم بمصر في صدر الاسلام وسفيراً إليه من النبي — ص — . وهكذا أصبحت الفتوة في عصورها الأخيرة أصنافية عامية شعبية ، وقد أدت تدهورها وتدنيتها وانحطاطها إلى خروجها عن المسكارم والفضائل والشهامة والنبالة التي أسست عليها ، فأصبحت خطراً على المجتمع كالذي صارت إليه في القرن الثاني والثالث وما بعدها ، والظاهر أنها قوتومت مقاومة شديدة وأختص بها الأشرار والعيارون والزعابر ، حتى لقد سمى القيسار في مصر في العصور الأخيرة « قُسُوات » باسم الجمع كما قال القدماء « فلان سيفلة » وكما قال المراقبون المعاصرون انسا « فلان أشقياء » أي شقي .

مصطفى جواد

(١) جمع « البير » أي الرئيس وشيخ الشيوخ بالفارسية .

(٢) المذكورون في الكتاب « ٥٧ » ولعل النسخة ناقصة أو لعل الأصل « السبع والخمسون » .

(٣) كتاب الفتوة « نسختي المطبوعة ، الورقة ٣٧ — ٤٠ » .

مردود جديدة بعد الذرة

هذا بحث في مبادئ جديدة في التفكير العلمي وفي وسائل للبحث العلمي انكشفت بعد بحوث الذرة .

يتلقى الكيميائي الناشئ درسه الأول من قانون بقاء الكتلة Law of Conservation of Mass وترسم في ذهنه حدود يفكر ويعمل مطمئناً في نطاقها ، فكل تفاعل كيميائي يبحث فيه وكل عمل صناعي يديره لا يتخطى تلك الحدود ، فهو يجري على قاعدة أن « المادة لا تفنى » سواء أكان الأمر إحراق قطعة من الفحم الحجري وتحويلها إلى ثاني أكسيد الكربون أم كان الأمر مسألة من المسائل الستوكيومترية المعقدة .

وقد أسفرت بحوث الذرة عن ثبوت فناء المادة بتحويلها إلى طاقة ، تبعاً لمعادلة وضعت قبل خمسين سنة ، وأثبتت بالقياس العملي قبل بضع سنوات .

كانت «عدة» الكيميائي مجموعة من العناصر الكيميائية تنتظم فيما يعرف بالجدول الدوري Periodic Table لا وجود لغيرها في هذه الكرة الأرضية ، أو في غيرها في الكون . أما اليوم فإن عناصر جديدة تستحدث ويزداد عددها يوماً بعد يوم ، فكانت عنصر التكنيشيوم (١٩٣٧) ، ثم عنصر الأستاتين (١٩٤٠) ، ثم عنصر الفرنسيوم وعنصر النبتونيوم (١٩٣٩) ، ثم عنصر البلوتونيوم ، ثم عنصر الأميريكيوم (١٩٤٤) ، ثم عنصر السكوريوم (١٩٤٤) ، ثم عنصر البركليوم (١٩٤٩) ، ثم عنصر الكاليفورنيوم (١٩٥٠) .

كانت الوحدة الدنيا للمادة الذرة ، فكان الكيميائي إذا وصل إلى الذرة في بحثه وفي حسابه وفي التحليل وفي الصناعة انتهى إلى حجر الأساس في صرح المركب الكيميائي الذي يبحث فيه . فإذا عرف خصائص الذرة الطبيعية والكيميائية ، وعرف وزن الذرة لم يلتفت إلى

ما سواها في السير في عمله .

وقد أصبحت الذرة اليوم للكيميائي كما أصبحت للفيزيائي من قبله منظمة كبيرة ، تتكون من دقائق أولية ، بلغ عدد أسنانها في مرحلة من مراحل البحث خمس عشرة دقيقة ، منها البروتون والالكترون والنيوترون والميزون . وهي منظمة كهربائية تدور فيها الالكترونات حول نواة في الوسط . وبين النواة والالكترونات مسافات شاسعة بالنسبة الى حجم النواة وحجم الالكترون ، فهي إذن منظمة فارغة فراغاً كبيراً . وإذا أخضعت المادة لضغط عظيم يكفي في التغلب على مقاومة الالكترون فانعدمت المسافة بين الالكترون والنواة ، وبين الذرة والذرة وتحولت الكتلة الى مادة نووية فقط ، أضفى حجم سكان الكرة الأرضية بضمة مستقيمات مكعبة .

إن بعض هذه الدقائق الأولية تكون نواة الذرة وهي البروتون والنيوترون ، وبعضها وحدات أساسية للكهرباء والمادة وهي الالكترون والبوزيترون ، وبعضها وسط وهي الميزونات ، وبعضها عديم الكتلة كالنوترون ، وبعضها يفترض وجوده بالدليل النظري حسب . وهكذا يقف الكيميائي وأمامه حقول اختصاص جديدة ومهام جديدة فهناك :

(١) الكيمياء النووية Nuclear Chemistry وهي تتناول التفاعلات النووية وخواص الأنواع النووية المنتجة .

(٢) الكيمياء الإشعاعية Radiation Chemistry وهي تتناول النتائج الكيميائية لفعل الإشعاع النووي في المواد من معادن ولدائن ومخففات ومبردات وغيرها .

(٣) كيمياء المتتقيات Tracer Chemistry وهي تتناول حقول الدراسات الكيميائية باستخدام المتتقيات ودراسة المتتقيات النقية في حالة التركيز الخفيض .

وهناك كيمياء العناصر الثقيلة وهي خامات في البحوث والصناعات الذرية ، كاليورانيوم والبولونيوم والثوريوم والبروتا كستينيوم وغيرها . وعلى الكيميائي اليوم أن يكتب المعادلة

حدود جديدة يمد الذرة

النووية التي يتحول بموجبها عنصر الى عنصر آخر ، كما كان يكتب بالأمس المعادلة الكيميائية . غير أن عدته في المعادلة النووية دقائق أولية كالتي أسلفنا يحسرها أو يربحها العنصر فيتحول أو يتكون إلى عنصر آخر أقل أو أكثر منه وزناً ذرياً أو أكثر أو أقل منه عدداً ذرياً . وقد كانت 'عدة' السيميائي بالأمس مركبات كيميائية يتفاعل بعضها بعضاً وينتج مركبات جديدة . هذه آفاق انكشفت بعد بحوث الذرة ، وألقت على عاتق السيميائي مهام جديدة ، وفتحت أمامه مجالات جديدة في العمل . على أن بحوث الذرة التي أوضحنا آنفاً ما جاءت به من جديد بالنسبة للسيميائي قد جاءت بحدود جديدة في التفكير العلمي بالنسبة للشغنيين بالعلوم عامة والمتتبعين فيما على وجه أعم ، وهي حدود تخفى عندها التفكير العلمي المنطوق وقيل بالفرصيات والنظريات العلمية التي لا تستند إلى المنطق .

إن الباحث في حقل الظاهرة الطبيعية الأساسية يعمل في ميدان يختلف عن ميادين البحث العلمي المألوفة ، فهو عالم وجب فيه قبول التناقض . ويجتاز فيه الباحث حدود الفكر القائم على التجربة البشرية وعلى المفاهيم (Concepts) التي رسمها تلك التجربة وتستمد منها مقاييس التعليل . كل ذلك لأن الطبيعة أعمق غوراً ، ولأن ما يبدو نقائض لا متناهي من قبوله .

ولذا أخذ مثلاً بسيطاً من موضوع الضوء . لقد كانت النظرية السائدة في طبيعة الضوء طوال مئة عام أن الضوء ينتقل في موج غير متقطع . ولما جاءت نظرية الكم في أوائل هذا القرن ، ظهرت أدلة علمية إضافة إلى ذلك على أن الضوء ينتقل في دقائق متقطعة عرفت بالكموم والفوتونات ، وأنصح أن لا بد من قبول هذا التناقض لتعليل طبيعة الضوء . ثم ظهرت دلائل علمية تشير إلى أن دقائق المادة نفسها — المادة التي يتكون منها كل شيء — أن تلك الدقائق كدقيقة الإلكترون مثلاً لها خصائص موجية ، بالرغم من أنها دقائق متقطعة ، فظهر التناقض مرة أخرى .

لقد تقدم العالم الدانماركي نيلز بور بمبدأ في قبول التناقض هو مبدأ التكميم Principle of Complimentarity وهذا المبدأ قائم على إقرار أن الفسكرة المستمدة من التجربة لا تكفي

شيث نعمان

التحليل الظاهرة الطبيعية الأساسية . والصور التي يستخدمها الإنسان أداة في التفكير ، تتكون لديه ، وترسم من مجالات تجاربه ، وهي لا تعتمد الى أكثر من ذلك . وفي عالم الظاهرة الطبيعية الأساسية ما هو بعيد عن تلك المجالات ، أو خارج عن نطاقها ، لذا كانت الصور المستمدة من التجارب قاصرة كأداة في بيان تلك المظواهر . وما يبدو متناقضاً ، يبدو كذلك بالنسبة لفكرنا ومنطقنا ، إلا أنه في حقل الظاهرة الطبيعية الأساسية يكون تنمياً لا تناقضاً ، ويمكن التحليل الواقع متمماً للآخر لا متناقضاً له .

وينتقل التفكير العلمي في هذا الميدان بقبول التناقض وترك النطق جانباً إلى الرياضيات المتقدمة بتخذها أداة للتحليل والتبيان بالرغم من أن تلك الرياضيات لا تتم على أي مفهوم أو بيان مادي فيزيكي متوافق *Consistent Physical Account* . وكان للنظرية النسبية شأن كبير في ذلك . وهكذا ينتهي التفكير العلمي الى حدود يجتازها الى ميادين لم تكن مألوفة من قبل .

ومن الحدود الجديدة التي أوصلتنا اليها بحوث الذرة والفنون التي نشأت عليها ما يتناول الوراثة . فالفنون الذرية تتقدم بسرعة ، ويتسع استخدام التفاعل النووي والتفاعل النووي الحراري في شؤون كثيرة . والتفاعلات النووية والنووي الحراري معجوبان بالإشعاع . ومن أهم مشكلات الإشعاع فيسله الوراثي .

إن الإشعاع المؤين كدقائق ألفا ودقائق بيتا وأشعة كاما وأشعة إيكس والنيوترونات ، تترك جميعها أثراً متشابهة في الحجيرات الحية . وتفاعلات الحجيرة والمركبات التي تتكون منها وكذلك انتظام الحجيرات في العضو ، تتوقف جميعها على توازن كهربائي دقيق نابع من الشحنات الكهربائية التي تربط الذرات في الجزيئي . والإشعاع اذا أصاب الجسم ، بأجل بذلك التوازن الكهربائي ، وحوّل الجزيئات الى كسور حاملة شحنات كهربائية تبوء بالأيونات . ويعرف الإشعاع اذا ترك أثراً كهذا بالإشعاع المؤين . واذا عادت الكسور فآخذت

حدود جديدة بعد الذرة

بعد زوال الإشعاع ، فإن اتحادها يكون على غير نظام ، فتصاب الحجرة بضرر . وإذا كانت الحجيرات مما له علاقة بالوراثة ، فإن التعبير الحاصل في جيناتها يؤدي الى تغير وراثي . يعتقد الكثيرون أن البحث العلمي قاصر عن تعيين وتحديد النتائج الوراثية المختلفة للإشعاع ، ذلك لأن الأثر الوراثي البعيد يتصل بمصور وأحقاب طويلة ، وأن النتيجة الوراثية في الظروف الطبيعية للتطور البيولوجي تبدو على مر تلك المصور والأحقاب . إن تطور الأحياء يجري الى حد كبير في طفرات وراثية تهذبها وتبقى على المفيد منها عصور من تنازع البقاء وبقاء الأصلح .

والطفرات التي تقع في الأحوال الطبيعية ومن غير إشعاع ، تقدر بطفرة واحدة في المليون . والطفرة الصالحة تقدر بواحد من المئة من الطفرات ، ويعمل الإشعاع ذو الطاقة العالية على زيادة الطفرات الوراثية .

على أن الإشعاع ليس بشيء جديد ، فالأحياء على سطح الكرة الأرضية تعيش تحت رذاذ دائم من الإشعاع الكوني ينزل على الأرض من الشمس والأجرام السماوية . والأحياء تتعرض بالإضافة الى ذلك في حالات نادرة لإشعاع من مصادر طبيعية تحتوي على مواد مشعة . إن كمية الإشعاع الكوني تتفاوت تبعاً لعوامل كثيرة ، منها الارتفاع والموقع الجغرافي .

ففي سطح البحر يلحق بجسم الإنسان طوال حياته ثلاثة رويجنات من الإشعاع المؤين . وقد قدر مجموع ما يتجمله الجسم من الإشعاع على أساس ما يتوافر من معلومات في الوقت الحاضر قدر ثلاثة أعشار الرويجن في الأسبوع ، ويساوي ذلك أربعة مئة رويجن في خمس وعشرين سنة . إن الإشعاع الطبيعي سواء أكان كونياً أم كان من مصادر طبيعية يؤدي الى حدوث بعض طفرات وراثية . على أن ارتفاعاً في المستوى الإشعاعي للمحيط يقع نتيجة التفاعلات النووية والتفاعلات النووية الحرارية يجلب معه احتمال زيادة الطفرة الوراثية ، ولا سيما إذا استمر المستوى مرتفعاً زمناً طويلاً .

إن مدى زيادة الطفرة الوراثية بأرتفاع المستوى الإشعاعي للمحيط ومدى أرتفاع المستوى

الإشعاعي من جراء التفاعلات النووية والحرارية النووية الجارية في الوقت الحاضر في مختلف الميادين أو التي تجري في المستقبل في حقول استخدام الطاقة النووية في الصناعة أو البحوث النووية أو الحروب — أن مدى ارتفاع المستوى الإشعاعي هذا ومدى ارتفاع الطفرة الوراثية تلك أمران لا يمكن تعيينهما مما نشر حتى الآن في هذا الموضوع .

كذلك لا يمكن تقدير الأثر الذي تتركه زيادة الطفرة الوراثية وخاصة في الحيوانات العليا ومنها الإنسان . فهذه تلك الطفرات بعامل تنازع البقاء وبقاء الأصلح لا يمكن مشاهدته في تجارب على الحيوانات ذوات الأعمار الطويلة .

ومن طريف ما أسفرت عنه بحوث الذرة طرائق بسيطة لتثبيت عمر الأرض ولتعيين عمر المواد العضوية الميتة . وقد استخدمت الطريقة الأخيرة في تعيين عمر اللقى الأثرية إذا أشتعلت اللقى على مواد نباتية أو حيوانية . أن وجود اليورانيوم المشع والثوريوم المشع بمطبخنا بعض الأدلة على الأزمنة التي مرت منذ تكون هذين العنصرين ، وربما العناصر كلها ، وتكون الأرض نفسها .

إذا انحلت ذرة من اليورانيوم ذي الوزن الذري (238) فإن مراحل الانحلال تنتج ثماني دقائق من دقائق ألفا في حوالي مليون سنة . ودقائق ألفا لا تعتمد كثيراً على المنشأ إذا كانت المادة التي تكونت فيها كثيفة بل تبقى محتبسة فيها . وكل دقيقة من دقائق ألفا تكتسب إلكترونين من محيطها بأ كسدة أية مادة فيه ، فتنحول إلى غاز الهيليوم . وإذا كان الصخر الذي يتم فيه هذا التحول مانعاً لتسرب الهيليوم ، وكانت كمية الهيليوم المتكونة صغيرة لقلة اليورانيوم في الصخر بقي الهيليوم بكامله في الصخر خلال الأعصر الجيولوجية ، فإمكان تعيين نسبة ما تحول من اليورانيوم منذ تكون الصخر ، وتعيين عمر الأرض من نسبة اليورانيوم إلى الهيليوم في الصخر . ولدينا طرق حساسة جداً لتعيين الهيليوم واليورانيوم في

الصخور وفي الشهب ، يمكن بواسطتها تعيين النسب حتى اذا كانت أقل من واحد في المليون . وقد وجد بالطريقة هذه أن عمر الأرض يزيد قليلاً على ألفي مليون سنة .

ويتعين عمر الأرض بطريقة أخرى من نسبة اليورانيوم الى الراديوم جي ، وهو الرصاص (٢٠٦) . وأنه الناتج الأخير لانحلال اليورانيوم وهو مما كن (آيزوتوب) ثابت . كذلك يتعين عمر الأرض من نسبة الثوريوم الى الثوريوم دي وهو الرصاص (٢٠٨) . وأنه الناتج الأخير لانحلال الثوريوم وهو مما كن (آيزوتوب) ثابت . ومن المفروض أن طريقة الرصاص هذه تفضل على طريقة الهيليوم التي سبق ذكرها . فغاز الهيليوم يتسرب من الصخور ، ولا يتسرب الرصاص . على أن الرصاص يتعرض للذوبان . ويمكن معرفة ما اذا كان الصخر يحتوي على الرصاص المعتاد غير الرصاصين التما كئيين اللذين سبق ذكرهما عن طريق التحليل السبيكتروغرافي السكتاوي . ومع ذلك فإن تعيين عمر الأرض بهذه الطريقة يعطي نتائج متفاوتة يصل بعضها الى حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة .

وفي طريقة ثالثة لتعيين عمر الأرض تحسب نسبة رصاص اليورانيوم ، وهو الرصاص (٢٠٦) الى رصاص الاكتينيوم وهو الرصاص (٢٠٧) . وهذه الطريقة أبعد عن الخطأ من الطريقةتين الأولىين ، وهي أحسن الطرق لتعيين عمر الأرض . وقد تبين من استخدامها في حالتين إحداها تناولت معدن المونازيت ، والأخرى معدن اليورانينايت ، وعمر كل منها ألفا مليون سنة . إن تحديد عمر الأرض بألفي مليون سنة بالطرق الكيميائية المبينة آنفاً ، يطابق عمر السكون محسوباً بطريقة القياس الطيفي للذوء المنبعث من الأجرام السماوية Red-shift Phenomenon .

لقد استخدم الإشعاع الطيفي المنبعث من الكربون في الأجسام النباتية والحيوانية في تعيين عمر اللقى الآثرية إذا اشتملت على مواد نباتية أو حيوانية . ففي الأجسام الحية كربون مشع هو كربون ١٤ تمتصه الأجسام من الهواء . ويحتوي الهواء على نسبة طفيفة ولكنها ثابتة من هذا

الكاربون . وبالرغم من أن هذا الكربون المشع يتحلل بنصف حياة قدرها خمسة آلاف وست مئة سنة ، فإن نسبته في الهواء تبقى ثابتة ، مما يدل على أنه يتولد باستمرار . والمرجح أنه يتولد من تأثير الأشعة الكونية في آزوت الهواء . إذ يتحول الآزوت ١٤ الى كاربون ١٤ . وإذا فقد الجسم النباتي أو الحيواني الحياة توقف امتصاصه للكربون المشع ، وأحبل ما به منه من غير أن تتجدد كميته . وهكذا يمكن تحويل الفرق بين الكربون المشع في اللقى الآتية وبين الكربون المشع في الأجسام الحية المشابهة الى سنين استناداً الى نصف حياة الكربون المشع ، وبذلك يقيمن عمر اللقى الآتية .

نعود الى بحث الوسائل والقوى الجديدة التي أسفرت عنها بحوث الذرة وتطبيقاتها . كانت الحرارة تقاس بالآلاف الدرجات في الشؤون العلمية والفنية ، في البحث ، في التحليل ، في الصناعة ، وفي مجالات التطبيق الأخرى . وكان أقصى ما يبلغه بضعة آلاف درجة . وقد بلغت الآن بضعة ملايين درجة ، وأصبحت في نطاق حرارة الشمس والنجوم أو أعلى منها . ودرجة الحرارة هي سبب التفاعل في التفاعلات النووية الحرارية لما تولده من عنف الاصطدام بين النوى مما يؤدي الى انضمامها . وتزداد الحرارة بأزيد كفاية الانفجار الذري وبالأ انفجار تحت البحر . وقد أستخدمت حرارة انفجار اليورانيوم والبلوتونيوم في قنبلة لها لضم الأيدروجين في القنبلة الأيدروجينية والوصول الى مستويات أعلى من الحرارة . وغداً تستخدم هذه المستويات الجديدة من الحرارة لضم الأيدروجين والليثيوم والوصول الى مستويات أعلى بكثير ، فتظهر احتمالات جديدة .

والسرعة بلغت اليوم سرعة الضوء ، فالدقائق الأولية تندفع في أجهزة خاصة بسرعة الضوء ، ثم تتخاذل الزيادة في السرعة إذا زادت القوة الدافعة ، وتبدأ كتلة الدقيقة بالازدياد بدلاً من سرعتها ، ويكون أثر القوة الجديدة زيادة أكبر فأكبر في الكتلة ، وزيادة أسفر فأسفر في السرعة .

نرى إذن أن بحوث الدقائق الأساسية لتكون Fundamental Particles تسفر عن نتائج بعيدة المدى . ويجتاز التفكير العلمي حدود المنطق والتجربة البشرية الى ميسدان الرياضيات المعقدة . والعناصر التي تكون منها الكون يكون منها عناصر جديدة . والحرارة التي كانت بالألمس لا تتعدى بضعة آلاف من الدرجات تصل اليوم بضعة ملايين ، والسرعة تبلغ اليوم سرعة الضوء ، تدفع بها الدقائق الأولية .

هذه البحوث وكذلك الحقائق والنظريات الجديدة في ميادين العلم الأخرى ، قد وضعت بيد الإنسان مقاليد ما كانت بيده من قبل ، وهو اليوم يحسك بزمام قوى وبوسائل لا تقاس بما سبقها ، لا شك أن هذا قيل عند كل مرحلة حاسمة من مراحل التقدم العلمي عندما كشف العلم قوى ما كانت مسخرة من قبل . على أن الأمر عند هذه المرحلة يتعدى حدود المقارنة المعتادة . هذه الأرقام الجديدة ، هذه الوسائل والأجهزة الجديدة ، هذه الحدود الجديدة ، وهذا التفكير العلمي الجديد — ما يفعل بها الإنسان ؟

سيت نعلمه

المرحلة الفيتاغورية

كان القوم الذين نطلق عليهم الآن اسم الإغريق أو اليونان مجموعة كبيرة من القبائل التي يرجع أصلها إلى الشرق « الهندي — الأوربي » ، وكانوا يرعون مواشيتهم في الجهات الغربية من البحر الأسود على ضفاف نهر الدانوب . وفي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد انحدر هؤلاء الرعاة المميج إلى الجيوب ، وأستوطنوا بلاد الإغريق الحالية ، بعد أن تغلبوا على السكان الأصليين ، ويدعون « الايحيين » . وفي غضون ما بين سنة ٢٠٠٠ وستة ٩٠٠ قبل الميلاد لم يكتف الإغريق بتثبيت أقدامهم في بلاد اليونان ، بل أستولوا أيضاً على شواطئ آسية الصغرى الغربية وعلى جزر بحر إيجه وعلى جزيرة كريت ، وقوضوا الإمبراطورية الحيثية ، وأسسوا مدناً ، وبدأوا حضارة لم ير التاريخ القديم قبلهم مثيلاً لها .

وهكذا نجد في ختام هذه المدة الحافلة بالمهجرات والحروب والثورات أن الوضع في الشرق الأدنى قد تطور وتغير . فقد أختفت إمبراطوريتان : الحيثية في آسية الصغرى واللدوانية في جزيرة كريت وبحر إيجه ، كما ضعفت قوى مصر وبابل ، وظهر على مسرح التاريخ أقوام جدد كالآشوريين والفينيقيين والعبرانيين والإغريق .

وفي أثناء هذه المدة تم الانتقال من الدور البرنزي إلى الدور الحديدي . فالحيثيون هم أول من اكتشف الحديد وأستعمله ، وكان لهذا الاكتشاف أثره البعيد المدى في تاريخ الحضارة البشرية . فهو لا يزال حتى اليوم عماد الكثير من الصناعات ، وخاصة صنع « السكاكين » . أما أثره في الماضي البعيد ، فلم يقتصر على سير الحروب فقط ، ولكنه ، أدى إلى رخص أدوات الإنتاج ، ثم زيادة الإنتاج نفسه حتى أصبح في بعض الأماكن يفيض عن حاجات المجتمع ، فنشأت التجارة ، وازدادت الثروات ، وأسهم عدد أكبر من الناس في الشؤون الاقتصادية

الدرسة الفيثاغورية

وقضايا المجتمع عامة ، وظهرت طبقة التجار الى جانب طبقة الإقطاعيين ، ثم تغلبت عليها بعد كفاح عسير .

وتعكس صورة هذا التقدم في اختراعين عظيمين : الأول إحلال الكتابة بالحروف الهجائية السهلة التعلم محل الكتابة التصويرية القديمة الصعبة ، ويعود فضل اختراع هذه الحروف الى الفينيقيين الساميين ، وعنهم انتشرت في أنحاء العالم الغربي . والحروف اللاتينية الحالية ترجع الى أصل سامي فنيقي . أما الاختراع الثاني ، فهو استعمال المسكوكات النقدية في التجارة ، ويمرّ الى الآشوريين وهم ساميون أيضاً .

إن مجاورة البلاد اليونانية للبحر وكثرة خليجاتها العاصلة لسوا السفن التي هي أشبه بمواني طبيعية ، ووجود الجزر الكثيرة المتقاربة في بحر إيجه : كل ذلك نشط الملاحة ، وأدى الى ظهور مدن تعتمد في حياتها على التجارة والصناعة ، والى نشوء طبقة واعية من التجار في كل مدينة من هذه المدن تجمع بينها المصلحة الاقتصادية ، وبنتيجة ذلك تألفت (حكومات المدن) ، أعني أن كل مدينة أصبحت حكومة مستقلة . ولم تتمكن هذه المدن أن تتحد لتؤلف دولة واحدة ، بل كانت على العكس من ذلك تشبك أحياناً في حروب بعضها مع بعض .

وأهم هذه المدن على الشاطئ الآسيوي كانت (ميليتس) التي أهدت تجارتها الى جميع شواطئ البحر المتوسط والى البلاد الواقعة على سواحل البحر الأسود حتى الشمالية منها ، وأسقطت أن تؤسس ما لا يقل عن تسعين مدينة على شواطئ هذين البحرين ، وأن تفتح مراكز تجارية ومستعمرات على سواحل مصر الشمالية . كما أنها اتصلت برأى بلاد ما بين النهرين ، وبابل منها على الأخص . وهذا الاتصال بمصر من جهة وبالمراق من الجهة الثانية أدى بهم الى اقتباس الشيء الكثير من حضارتها العريقة ، وخاصة الآراء العلمية الرياضية ، إلا أن الفكر اليوناني لم يقف عند حد الاقتباس ، بل تجاوزه الى الإبداع والاختراع ، فأتى بالمعجائب والفرائب ، مما لا يزال موضع الدرس وزينة العقل .

وينقسم الدور اليوناني من ناحية انجازاته في الرياضيات الى ثلاث مدارس لم تكن متعاصرة ، بل كانت متعاقبة ومتداخلة بعض الشيء : المدرسة الأولى مدرسة فيثاغورس (وهي التي ستكون مدار بحثنا اليوم) . المدرسة الثانية هي مدرسة أفلاطون وأرسطو ، أي المدرسة الآتينية . المدرسة الثالثة هي مدرسة الاسكندرية ، وقامت في القسم الإغريقي من مصر ، وأمتد نفوذها الفكري الى صقلية وبحر إيجه وفلسطين .

وسنبحث عما تم من تقدم في الرياضيات وما يتعلق بها من آراء علمية في كل من هذه المدارس الثلاث على انفراد ، ونهتدياً لبحث المدرسة الأولى لا نرى بداً من ذكر ثاليس نظراً لأهميته .

ثاليس : عاش ثاليس (من ٦٤٠ ق . م الى سنة ٥٤٦ ق . م) وهو أول يوناني أهتم بالرياضيات بصورة عامة ، وبإدماج علم الفلك وعلم الهندسة ونظرية الأعداد بصورة خاصة . ويقال إن أباه كان من أصل فينيقي سامي ، وإن أمه يونانية . وهو من أهل مدينة (ميليتوس) التي سبق ذكرها . وكان موقعها جنوبي مدينة (إزمير) الحالية . وكان في شبابه تاجراً ناجحاً ، وفي كهولته سياسياً لامعاً ورجل دولة حكماً . أما في شيخوخته ، فكان رياضياً وفلسكياً وفيلسوفاً لامتاع الفكر واسع العقل . وقد نجح في جميع الأعمال التي قام بها نجاحاً باهراً وذلك مما يدل على عبقرية متمدة الجوانب .

فهو مثلاً عندما اشتغل تاجراً ، أحس سلعاً بجودة موسم الزيتون ، فأشترى جميع المعاصر في المدينة بأسعار زهيدة ، وجنى من ذلك أرباحاً طائلة عند حلول الموسم . أما في كونه رجلاً سياسياً ، فهو الذي منع مدينته أن تعقد اتفاقاً كان سيحجر عليها الولايات ، وذلك قبل غزوة الفرس لبلاد اليونان التي أنهت بكارثة على الفرس انفسهم . وقد عُد بسبب ذلك أحد (المعتلاء السبعة) في زمانه . ولما تفرغ للعلم والفلسفة ، قام بسفارات الى مصر والى بابل ، وهناك درس الرياضيات والفلك ، ويقول ريسند مؤلف كتاب التاريخ القديم Ancient Times إنه تسلم من البابليين قاعة من الأرصاد الفلسكية ، ومن مثل هذه القوائم كان البابليون على علم بان كسوف الشمس

يحدث في فترات دورية . وقد تعلم منهم كيف يحسب بواسطة هذه القوائم موعد الكسوف القابل . ثم اخبر أهل (مليتوس) أن يتوقعوا كسوفاً للشمس قبل نهاية سنة عيّن لها لهم . ولما حدث ما تنبأ به بالفعل ، طار صيته في الآفاق . وتروى عن ثاليس هذا أقاصيص كثيرة ، نذكر شيئاً منها للتفكير وللدلالة على ذكاء الرجل .

فالقصة الأولى منقولة عن بلوتارخ : يقال إن سولون ذهب الى مدينة ميليتوس ، ونزل ضيفاً على ثاليس ، وأبدى عجباً من أن ثاليس لم يتزوج ولم يتنجب . ولكن ثاليس راغ عن الجواب ، وبعد بضعة أيام جاء رجل غريب وأوصاه بما يجب أن يفعله . فلما حضر الرجل ، ادعى أنه غادر أثينا منذ عشرة أيام فقط . ولما سأله سولون عما لديه من أخبار ، أجابه الرجل بما لقيه إليه ثاليس من قبل : « لا شيء ، إلا وفاة شاب ، خرجت المدينة بأسرها في موكب جنازته ، لأنه على ما قالوا كان ابن رجل محترم ، بل أعظم المواطنين فضيلة وصلاحاً ، وإن والده قد خرج بسفرة منذ زمن طويل . » فأجاب سولون : « ما أتعس هذا الرجل ! ولكن ما اسمه ؟ فأجابه : « سميت أسمه ، ولكنه لا يحضرني الآن . على أن الناس كانوا يلهمجون بسمو حكيمته وعدالته . » ثم استدرج سولون ليدكر أسم نفسه ، فقال الرجل : « إن الشاب هذا هو ابن صاحب هذا الاسم ، أي سولون ، فكاد سولون يفقد رشده . وإذا ذاك أخذ ثاليس بيده ، وابتسم له ، وقال : « هذه الأشياء ، يا سولون ، هي التي تمنني من الزواج والانجاب ، حتى إن رجلاً مثلك موصوفاً بقوة جلده ترشح تحت تأثيرها ، وعلى كل فلا تعبا بهذا الخبر . فإنه مخلوق . »

وهو نفسه الفيلسوف الذي وقع في الحفرة عندما كان ينظر الى السماء ليتعرف ما فيها . وقد سخرت منه جاريته الذكية الحسناء وكانت من أهل (تراقيا) بقولها :

« يريد أن يعرف ما في السماء وهو يحمل ما تحت قدميه » فذهب قولها مثلاً .

ويقال إنه كان له بغل يحمله ملحاً ، ويظهر أن البغل كان من الذكاء بحيث أعتمد أن يبرك عند عبوره النهر حتى يذوب قسم كبير من الملح ، فيخف حمله . فما كان من ثاليس إلا أن حمل

بالصوف ، فتضاعف عمله عندما برز في الماء . وهكذا عزف عن عادته السيئة ، وتحسنت سيرته .

وكان دائماً يردد القول المأثور : « إعرف نفسك » . ولما سئل مرة : « كيف يقضي الإنسان على أحسن وجه وأصلحه ؟ أجاب : بتجنب ما تلوم غيرنا حياته على عمله » . وسأله أحدهم عن المكافأة التي يجب أن يتقاضاها عن اكتشاف معين كشفه في علم الفلك ، فقال : « يكفيني مكافأة أنك عندما تروي خبر اكتشافي هذا للآخرين لا تدعيه لنفسك ، بل تنسبه إلي » .

إن شهرة ثاليس وخلود اسمه لم يقوموا على نجاحه في التجارة ، ولا على بعد نظره في السياسة ، بل على إبداعه الفكري في الرياضيات . ولو اقتصرتم فعالياته على الأمور التجارية والسياسية فقط ، لاندثر اسمه كما اندثرت المدينة التي أنبثته . ومع أنه لم يصل إلينا شيء من كتاباته ، الفيلسوف الآثيني بروكليس بعد زهاء ألف سنة من وفاة ثاليس ، كتب شرحاً لهندسة إقليدس ، بدأه بخلاصة في تاريخ الرياضيات اليونانية إلى عهد إقليدس ، ذكر فيها أن ثاليس رحل إلى مصر ، فدرس في أوقات فراغه ما يسميه المصريون « قياس الأرض » ، ولم يهتم بذلك لفائدته العملية وحدها ، بل شرع فيه بأسلوب أدى فيما بعد إلى جعله علماً استنتاجياً مجرداً مبنياً على أسس منطقية عامة مسلّمة . ولكنه احتفظ بمعنى الاسم الأصلي ، وترجمه حرفياً إلى اليونانية ، وسماه Geometry ومعنى Geo أرض و Metry قياس أي قياس الأرض . والأستساخ الهندسي نوع من التعليل المحض ، يبدأ فيه الفسك من قواعد أولية متفق عليها أو متعارفات مسلّمة فيستند إليها ، ثم يتوصل منها بالنقاش والبرهان إلى نتيجة ما . وهو في هذه العملية لا يستعمل إلا الحقائق المتفق على كونها قواعد أولية ، أو متعارفات مسلّمة صحتها ، أو حقائق ثبت بالبرهان أنها تستند إلى تلك القواعد والتعارفات الأولية . وهذا النوع من التعليل يطلق عليه أيضاً التعليل المستند إلى المتعارفات أو البديهيات .

ويعزو بروكليس إلى ثاليس فضل معرفة القضايا الآتية :

(١) تشابه زاويتي القاعدة في المثلث المتساوي الساقين ، ويستدل من استعمال كلمة

« تشابه » أن ثاليس لم ينظر الى الزاوية على أنها كمية ومقدار ، بل عدها شكلاً كونه مستقيمان .

(٢) قطر الدائرة يقسمها إلى جزئين متطابقين .

(٣) إذا تقاطع مستقيمان كانت الزوايا المتقابلة بالرأس متشابهة .

(٤) بتعين شكل الثلث بالاضبط إذا عرف طول قاعدته والزاويتان في نهايتها .

وبعضيف المؤرخ بلوتارخ فكرة خامسة وهي معرفته .

(٥) شروط تشابه المثلثات القائمة الزاوية .

وقد استعان ثاليس بهذه الفكرة الأخيرة في أستخراج ارتفاع أحد الأهرام المصرية . وطريقته في ذلك أنه أخذ عصاً ذات طول معلوم ، فثبتها بصورة عمودية على الأرض ثم قاس طول الظل الذي ألقته هذه العصا على الأرض ، ثم قاس طول الظل الذي ألقاه الهرم . فإذا كان طول الظل ثمانى أقدام فالمصا طولها أربع أقدام ، فالظل الذي طوله ست مئة قدم ينشأ عن ارتفاع قدره ثلاث مئة قدم .

أما القضية السادسة التي اكتشفها ، أو ينسب إليه اكتشافها ، فهي :

(٦) الزاوية المرسومة في نصف دائرة تكون زاوية قائمة . ويقال إن ثاليس فحى بشور أبنهاجاً باكتشافه هذا .

إن القضايا المارة الذكر سهلة جداً يتعلمها الطالب في العصر الحاضر في الراحل الأولى من الدراسة الثانوية . والحقيقة أن أهمية عمل ثاليس لا تقاس به عدد الفضائل من النظريات السهلة ، ولكنها تقوم على افتراض اعتماده على التمثل المنطقي في إثباتها ، لا على الإلهام أو التجربة ، وبذلك وضع الحجر الأساسى لعلم الهندسة الحديث الذي لولا هو ما تقدمت الهندسة ولا أصبحت علماً عظيماً من العلوم المجردة وعاملاً مهماً في العصر الآلى الحديث .

أقد نظرنا الى ذكر ثاليس ، لأنه أتمجسه الاتجاه العلمى الصحيح ، ولأن الشخص الذي سمينا المدرسة باسمه ، وهو فيثاغورس ، كان في شبابه تلميذاً لثاليس هذا ، ولكنه يز أستاذه ، أو

في الأقل كان ما تركه من أثر أعظم مما تركه أستاذه . وننتقدم الآن الى ذكر فيثاغورس
ومدرسته :

فيثاغورس — يقال إنه كان ألمع تلاميذ ثاليس هذا ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخي
ولادته ووفاته . لكنه ولد في أغلب الاحتمالات في حدود عام ٥٨٢ ق. م ونوفي عام ٥٠١ ق. م
وبرجع أنه ولد في (جزيرة ساموس) ، وهي قريبة من ميليتوس على البر الأصلي من آسية
الصغرى . وهو كأستاذه ثاليس يرجع بأصله الى الفنيقيين الساميين ، على أن بعض المؤرخين لا يؤيد
ذلك ، ويروى أنه بعد أن أتم دراسته على ثاليس نصحه أستاذه هذا أنه إذا أراد المزيد من نور
العلم فليرحل الى مصر . لكن فيثاغورس لم يكتب بالسفر الى مصر ، بل رحل الى بابل أيضاً
وإلى الهند والصين على ما يقال .

والحقيقة أن المصر الذي عاش فيه فيثاغورس كان مملوءاً بكماليات عظيمة تتمحور عن
تطور جديد في حياة البشرية . ذلك أن بوذا في الهند كان ينشر تعاليمه ، وكان كنفوشيوس في
الصين يضع أسس فلسفته الاجتماعية والدينية . أما في إيران فكانت قد انتشرت تعاليم زورو آستر
(زرادشت) منذ أمد قصير . أضف الى ذلك أن ورق البردي ، الذي كان يستعمل في مصر
للكتابة عليه ، قد أدخل الى بلاد اليونان في حدود سنة ٥٩٠ ق . م . ويقول العلامة دافيد
بوجين سميت المؤرخ الرياضي المشهور : « إن اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر لم يعمل
— على وجه التأكيد — على إحداث ثورة فكرية أكثر مما عمل إدخال ورق البردي في بلدان
شواطئ البحر المتوسط الشمالية قبيل ظهور ثاليس » .

لا توجد معلومات موثوق بها عن رحلات فيثاغورس الى الشرق . ولكن طبيعة فلسفته
تشير الى اتصاله بالشرق ، واقتباسه الكثير من الآراء والمعلومات من منابعها الأصلية هناك ،
فن جملة ذلك أنه جعل للأعداد قياً روحية كما أنها ترمز في الوقت ذاته الى أمور كونية .
والحقيقة أن فلسفة فيثاغورس كانت أقرب الى فلسفة هؤلاء منها الى فلسفة الإغريق التي ولد في
أحضانها .

يقول أور أستاذ مشرف للرياضيات في جامعة ييل في كتابه « نظرية العدد وتاريخها » :
 « إن الاكتشافات الحديثة في الرياضيات البابلية ألقت ضوءاً على تاريخ العلم الإغريقي القديم ،
 وإن غزو المعلومات الرياضية عند الإغريق قبل أفليدس كان على الدوام محوطاً بشي ، من النموذج ،
 وكان من المسير فهم مر هذا التقدم السريع في المراحل الأولية التي يمثلها ثاليس الميليقي
 والفيثاغوريون إلى النظام المديح الذي تم الوصول إليه في زمن أفليدس ، بل ربما كان قبله .
 ولا مناص لنا من الإقرار بأن الإغريق اقتبسوا حقائق وطرائق رياضية عن السكندوز البابلية
 أكثر مما كان يتصور لحد الآن » .

أما النظرية المسماة باسمه ، أي نظرية فيثاغورس ، فقد كانت معروفة لدى البابليين قبل
 فيثاغورس بما لا يقل عن ألف عام . ففي طبعة جديدة للنصوص السامرية من قبل نيكا باور
 وسا كس عام ١٩٤٥ ورد وصف للوحة طين في مكتبة بليتون في جامعة كولبيا جديدة بأن
 تكون من أعظم السجلات الفاصلة في تاريخ الرياضيات ، إذ إنها تتضمن جدولاً يحتوي على
 أضلاع مثلثات قائمة الزوايا ، يصل طول أضلاعها إلى أعداد كبيرة جداً . فثلث الذي أضلاعه
 مثلاً : ١٢٧٠٩ و ١٣٥٠٠ و ١٨٥٤١ ، هو مثلث قائم الزاوية . ومعنى ذلك أنهم لم يكونوا على
 علم بنظرية فيثاغورس حسب ، بل كانوا قد اكتشفوا القانون الذي يتم بهوجه استنتاج أي
 مثلث قائم الزاوية إطلاقاً ، ولا سيما تلك التي لا يوجد بين أضلاعها أي قسم مشترك . ولكن
 العقلية الدينية المحوطة بالأسرار في ذلك العهد ، ورغبة السكندوز في احتكار العلم لأنفسهم واستغلاله
 لمصلحتهم ، ربما كانت السبب في عدم انتشارها ، كما أن الكتابة على الأحجار يصعب نقلها
 وتداولها ، بخلاف الكتابة على ورق البردي ، وربما كان هذا سبباً آخر .

وقد جاء في رواية عن أيا مبيليكوس في كتابه (دي بئيا كوريكا) أن فيثاغورس درس
 الهندسة والفلك في مصر منذ كان في الثانية والعشرين من عمره حتى بلغ الرابعة والأربعين ،
 ثم أسره البابليون فدرس في بابل اثنتي عشرة سنة أخرى ، فوصل إلى أعلى المراتب في علم
 الحساب والموسيقى وفي فروع المعرفة الأخرى .

ولما عاد بعد ذلك من تجواله الى وطنه الغرب ، لم يُفهم في مسقط رأسه جزيرة ساموس ، لأسباب سياسية ، بل أسس مدرسته في مدينة (كروتونا) ، وهي ميناء غني يقع في الجنوب الشرقي من إيطاليا في المنطقة التي كان يطلق عليها إذ ذاك اسم (اليونان العظمى Magna Graecia) . وهناك تعرّف إلى أبناء الأثرياء وأصحاب النفوذ ، واستطاع بدهائه وقوة شخصيته وتظاهره بمعرفة الغيب وأسرار الطبيعة وبزهد وتقصفه أن يجمع حوله منهم زهاء ثلاث مئة شاب ، وأسس أخوه أول جمعية سرية ، صارت فيما بعد مثالا للجمعيات السرية التي قامت في أوربة وأمريكا . وكان أفراد هذه الجمعية على مرتبتين : الأولى الحلقة الداخلية ، ويتبع أفرادها بالمصوبة الكاملة ، وتتألف من الرياضيين . والثانية الحلقة الخارجية وتتألف من المستمعين ، ويكون أعضاؤها تحت التجربة ، ولا يعرفون جميع الأسرار التي يعرفها أعضاء المرتبة الأولى ، بل يعرفون بعضها . ومن يختار منهم دور التجربة بنجاح ، ينقل الى المرتبة الأولى . وكان شعارهم النجم ذو الرأس الخمسة ، وهم يعدون المال والعرفة والفلسفة ملكا مشاعا بينهم ، وقد قيدوا أنفسهم بالتزامات أدبية تنظم حياتهم . وكانوا يمارسون بالفعل ما يعظون به : من ضبط النفس ، والاعتدال ، والعفة ، ونقاء الضمير ، والتقصّف في العيش ، وتجنب أكل لحم الحيوان ، لأنه قريب من الانسان . وكانوا يؤمنون بهذه الوسيلة أن يطهروا النفس من أدران الحياة الفانية ، ويهيئوها للحياة بعد الموت . فقد كانوا يعدّون الجسم سجنًا وقتيًّا للنفس . وقد كان فيثاغورس يبشر بمخلود الروح وبفناء الأرواح ، فكان يقول : « عندما نميش تكون أرواحنا ميتة ومدفونة في أجسامنا ، وحين نموت تنمش أرواحنا ونحيا » . ويتضح من هذه الآراء مدى اتصاله بالهند ، أو على الأقل بالعقلية أو الفلسفة الهندية .

وكانت مهمة الفيثاغوريين في أول أمرهم الحصول على المعرفة . فإذا توصل أحدهم الى حقائق جديدة ، تصبح ملكا مشاعا للجميع ، ولا يجوزون إفشاءها لغيرهم . ومن يخالف ذلك يكن الموت جزاءه . ويقال إنهم أغرقوا اثنين من أتباعهم ، لأن أحدهما تباهى بأنه اكتشف الجسم المنتظم ذا الأثني عشر وجهًا ، والثاني لأنه أذاع أن $2\sqrt{2}$ كمية لا نسبية ، أي لا يمكن التعبير

المدرسة الفيثاغورية

عنها كنسبة بين عددين صحيحين بنائاً . ولذلك أصبح من التميز نسبة الاكتشافات العلمية الى اصحابها الحقيقيين بخاصة أنهم جميعاً كانوا ينسبون الاكتشافاتهم الى زعيمهم فيثاغورس . وفي أثناء بحثهم عن القوانين الكونية العامة لناصر الطبيعة والمجتمع ، درسوا ما يسمونه الحقيقة الرياضية . وتألف من نظرية الأعداد والهندسة والفلك والموسيقى .

ويلاحظ لنا أن فيثاغورس كان يعلم الى زعامة سياسية عن طريق العلم والفضيلة . فان سبب هجرته من جزيرة ساموس كان لأسباب سياسية كما ذكرنا ، كما كان هو وجمعيته فيما بعد يستهدفون ، فيما عدا الفايثا الملية ، إصلاح المجتمع وتطهيره بإبداع الحكم عند أفضل الرجال خلقاً وعلماً وكفاية ، أي بتأسيس حكومة يسيطر عليها أعظم رجال الفكر وأفضلهم . ولكن هذه الآراء لم ترق من بيدهم مقاليد الأمور في (كروتونا) ، فأثاروا عليهم الغوغاء عدة مرات ، وفي سنة ٥٠١ ق. م قتلوا كثيرين منهم ، وأحرقوا بيوتهم ، فهرب فيثاغورس مؤسس الأخوة أي الجمعية الى مدينة (تارنتم) في جنوب إيطاليا أيضاً ، وهناك مات في متفاه في السنة نفسها . أما أتباعه فأحتفظوا بشمالية ، لكنهم خففوا قليلاً من غلوهم ببعض مبادئه .

نتكلم الآن على أهم ما أنجزه الفيثاغوريون في العلوم الرياضية ، ونبدأ أولاً بالحساب :

كان الفيثاغوريون يعتقدون أن في العدد مفتاح أسرار الكون ، أو أن الكون مؤلف من أعداد ، أي إن في كل شيء عدداً . ويحتفلون أن ما دفعهم الى مثل هذا التفكير هو اكتشافهم أن توافق الألحان في الموسيقى ينتج عن مراعاة نسب عددية خاصة في أطوال الأوتار ، وأن لكل برج سماوي شكلاً خاصاً وعدداً معيناً من النجوم . وقد سجل أرسطو آراء الفيثاغوريين فالعدد واحد نقطة ، والعدد ٢ خط ، والعدد ٣ سطح ، والعدد ٤ فراغ أو حجم . وهذا سهل واضح ، إلا أنهم من جهة أخرى ، شخصوا بعض الصفات الانسانية بالأعداد ، فالعدد واحد يمثل العقل أو العلة ، وهو أصل الأعداد جميعاً ، والعدد ٢ يمثل الرأي أو الفكرة لأنها غير معينة ولا حدود لها كما يمثل الأنوثة ، أما العدد ٣ فيمثل الذكورة لأنه لا يقبل القسمة أو الأقسام ، أما العدد ٤ فيمثل العدل لأنه أول مربع كامل ناشئ عن ضرب عددين متساويين أي متعادلين أو متوازيين

تماماً ، والعدد ٥ يمثل الزواج لأنه ينتج عن جمع أول عدد أنثى ، أي ٢ ، مع أول عدد ذكر ، أي ٣ ، أما العدد ٧ فيمثل المذرة أي العكارة إذ لا عوامل لها ، وكان عندهم الأعداد العشرة يقرنونها بالأعداد الزوجية والفردية ، مثل المنتهي واللا نهائي ، الواحد والكثير ، البين واليسار .. الخ . وكانوا يقدسون العدد ٤ خاصة ، لأنه كان في رأيهم يمثل عناصر الطبيعة الأربعة : الماء ، والهواء ، والنار ، والأرض ، إذ كانوا يعتقدون أن جميع المخلوقات تعود بأصول تكوينها إلى هذه العناصر الأربعة . مضافاً إلى ذلك أن $1 + 2 + 3 + 4 = 10$ ولذلك كانت صلاتهم للعدد ٤ على الصيغة التالية :

« باركنا أيها العدد السماوي ، أنت الذي تنتج الآلهة والناس ! أيها القدوس الربيع الطاهر أنت الذي وسمت أصل الخليقة المتدفقة أبدياً ، وملكت ينبوعها » . لأن العدد السماوي يبدأ بالوحدة التقية المهيمنة حتى يصل إلى الأربعة المقدسة ، فتتجيب أم الشكل الشاملة لكل المحيطة بالشكل الولد البكر التي لا تحيد أبداً العشرة المقدسة التي لا تسكل ويدها مقاليد كل شيء ! وكانوا يصنفون الأعداد بطرائق شتى ، نذكرها أطرافها :

١ — الأعداد المتحابية : مثل فيثاغورس مرة : « من الصديق ؟ فأجاب » هو الشخص الذي هو أنا الآخر مثل ٢٢٠ و ٢٨٤ . ويعتمد بذلك أن قواسم العدد ٢٢٠ ، وهي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ ، يبلغ مجموعها ٢٨٤ ، وأن قواسم العدد ٢٨٤ ، وهي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ ، يبلغ مجموعها ٢٢٠ . وكان الفيثاغوريون يقولون عن هذه الأعداد إنها متحابية . والحقيقة أن إيجاد مثل هذه الأزواج من الأعداد ليس سهلاً ، فإن ديكارت وفان شوتي ، اكتشفا ثلاثة منها . أما أولر ، فقد اكتشف ما لا يقل عن ٦١ زوجاً . وما اكتشف منها حتى الآن يبلغ ٣٩٠ زوجاً . ولا يعرف حتى الآن هل عدد هذه الأعداد لانهائي أو منته . وكان من الناس من يفتألون بهذه الأعداد ، فيروى عن أحد الأمراء في القرون الوسطى ، وكان مجموع حروف اسمه بموجب الحساب الأيجدي يبلغ ٢٨٤ حرفاً ، أنه كان يبحث

المدرسة الفيثاغورية

عن زوج يبلغ مجموع أسمها بالحساب نفسه العدد ٢٢٠ ، لا اعتقاده أن في ذلك شيئاً مساوياً لزواج سديد .

٢ -- الأعداد الكاملة : والمعد الكامل هو العدد الذي اذا جمعت قواسمه وفي ضمنها

الواحد ، كان المجموع مساوياً للعدد نفسه مثل الأول $1 + 2 + 3 = 6$

أو الثاني $1 + 2 + 4 + 7 + 14 = 28$

ولم يُكتشف من هذه الأعداد حتى الآن إلا اثنا عشر عدداً في ضمنها العددان المذكوران آنفاً .

الثالث $1 + 2 + 4 + 8 + 16 + 31 + 62 + 124 + 248 = 496$

الرابع ٨١٢٨

الخامس $127 = (1 - 127) 127 = 33550336$

السادس $167 = (1 - 167) 167 = 8589879056$

السابع $187 = (1 - 187) 187 = 137438691328$

الثامن $217 = (1 - 217) 217 = 2305843008139902128$

التاسع $267 = (1 - 267) 267 =$ عدداً مؤلفاً من ٣٧ رقماً

العاشر $887 = (1 - 887) 887 =$ « « « « ٥٤ »

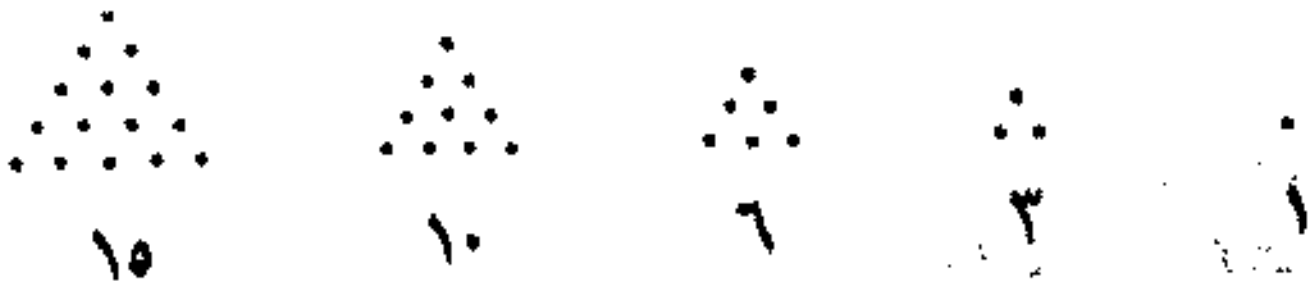
الحادي عشر $1077 = (1 - 1077) 1077 =$ « « « « ٦٥ »

الثاني عشر $1277 = (1 - 1277) 1277 =$ « « « « ٧٧ »

والأعداد السكاملة من العدد السادس فما فوق ، أُكتشفت منذ القرن الخامس عشر الميلادي حتى الآن .

٣ -- الأعداد النضدة أو المعظمة : درس الفيثاغوريون الأعداد بتشكيلات من النقاط

نضدة على وفق أشكال هندسية ، فقالوا الأعداد المثلثية عن الأعداد :



وهي تنتج :

$$1 = 1$$

$$2 + 1 = 3$$

$$3 + 2 + 1 = 6$$

$$4 + 3 + 2 + 1 = 10$$

$$5 + 4 + 3 + 2 + 1 = 15$$

.....

الخ

فكل من هذه الأعداد إذا مثلناه بنقط ، سيملاً مثلثاً متساوي الأضلاع إذا وضعت النقط على أبعاد متساوية .

كذلك توجد الأعداد المربعة . وهي التي إذا مثلناها بنقط ، عملاً مربعاً مثل :



ولقد اكتشفوا بعض الخواص السهلة بهذه الأعداد ، أهمها أنك إذا جمعت عددين مثلتين

متتابعتين تحصل على عدد مربع كما

$$\begin{array}{c}
 \begin{array}{c} \cdot \\ \cdot \\ \cdot \end{array} / \begin{array}{c} \cdot \\ \cdot \\ \cdot \end{array} \quad 4 = 3 + 1 \\
 \begin{array}{c} \cdot \cdot \\ \cdot \cdot \\ \cdot \cdot \end{array} / \begin{array}{c} \cdot \\ \cdot \\ \cdot \end{array} \quad 9 = 6 + 3 \\
 \begin{array}{c} \cdot \cdot \cdot \\ \cdot \cdot \cdot \\ \cdot \cdot \cdot \end{array} / \begin{array}{c} \cdot \cdot \\ \cdot \cdot \\ \cdot \cdot \end{array} \quad 16 = 10 + 6
 \end{array}$$

لقد قسم اليونانيون الحساب إلى نوعين : الأول ، ويسمونه Logistic ، هو الحساب العملي ، ويستعمل في المعاملات اليومية كالبيع والشراء والقياس والربح والخسارة ... الخ . والثاني ، ويسمونه Arithmetic ، أي الحساب النظري ، وهو في الواقع نظرية الأعداد . ومن الجلي أن الفيثاغوريين انحوا بالحساب نحواً نظرياً ، أي أنهم لم يقفوا فيه عند حدود قوائده العملية ، بل نظروا فيه كعلم مجرد . وهذا أمر لا تخفي أهميته .

أما ما أنجزه الفيثاغوريون في علم الهندسة ، فلا يقل أهمية عما أنجزوه في علم الحساب . وسند ذكر أهم ما توصلوا إليه في علم الهندسة .

- ١ — إنهم كانوا يعرفون خواص المستقيمات المتوازية ، فاعتمدوا عليها في إثبات أن مجموع زوايا أي مثلث كان يساوي زاويتين قائمتين ، وأستنتجوا النظريات المروسة عن مجموع (١) الزوايا الداخلية و (٢) الزوايا الخارجية لأي مضلع كان .
- ٢ — اخترعوا طرائق لتحويل مضلعات معلومة ، أو مجموع مساحات مثل هذه المضلعات ، أو اقترن بينها إلى مضلعات تكافؤها في المساحة وتختلف عنها في الشكل ، مثل صكيفية رسم متوازي أضلاع وعلم منه طول قاعدته وإحدى زواياه بحيث يكافئ مثلثاً أو مضلعاً معلوماً ، أو رسم مثلث يكافئ مضلعاً معلوماً .

٣ — نظرية فيثاغورس المشهورة ، وهي أن المربع المنشأ على الوتر في المثلث القائم الزاوية

يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين القائمين ، ويقال إنه حين أنجز إثبات صحة هذه النظرية ضحى بمئة نور إكراماً للآلهة واعترافاً بحميلها عليه .

ولقد بينا سابقاً أن هذه النظرية كانت معروفة لدى البابليين قبل الفيثاغوريين بألف عام . ومع أنه لم يتبين حتى الآن أكان البابليون قد أثبتوا صحة هذه النظرية أم لا ، فمن الصعب أن نقول إنهم كانوا يحملون برهانها ، بخاصة أن البحوث الأثرية والتنقيبات لما تنته بعد . أضف إلى ذلك أن الطريقة التي برهن بها الفيثاغوريون على هذه النظرية ليست معروفة على وجه التأكيد ، فقد جمع هوفن ٣٠ ثلاثين برهاناً مختلفاً لها .

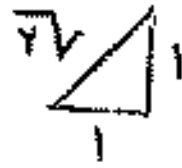
٤ — عملوا على توسيع نظرية التناسب ، لكنهم لم يستخدموها إلا في الكميات النسبية فقط ، وكانوا على علم بخواص الأشكال المتشابهة . ويمزو بلوتارخ إلى فيثاغورس نفسه حل مسألة تتعلق بكيفية رسم مضلع يشابه مضلعاً معلوماً وبكافي مضلعاً آخر . وحل مثل هذه المسألة ، يتطلب معرفة أن مساحات المضلعات المتشابهة تتناسب مع مربعات أضلاعها المتناظرة .

٥ — عرفوا الأشكال المجسمة المنتظمة الخمسة . وكانوا يعتقدون أن العالم مكون من خمسة عناصر تتناظر مع الأشكال المجسمة المنتظمة الخمسة . فالأرض نشأت عن المسكب ، والنار عن الهرم الثلاثي المنتظم (أي ذي الأربعة الأوجه المنتظم) ، والهواء عن ذي الثمانية الأوجه المنتظم ، والماء عن ذي العشرين وجهاً المنتظم ، والكرة السكونية عن ذي الأثني عشر وجهاً المنتظم .

٦ — اكتشفوا كيفية رسم الخمس المنتظم . وكان شعارهم كما أسلفنا النجم المنتظم ذا الخمسة الرؤوس ، ورسم هذا الشكل يعتمد على ما يسمى القسمة الذهبية ، وهي تقسيم خط قسمة ذات وسط وطرفين .

٧ — اكتشفوا الأعداد اللاقياسية ، أو على الأقل واحد منها هو $\sqrt{2}$: وهذه الأعداد تسمى أيضاً الأعداد اللا نسبية ، وهي التي لا يمكن استخراج قيمتها بالضبط ، ولا يمكن أن تمثل بكسر اعتيادي ، أو بنسبة بين عددين صحيحين ، أو بكسر عشري منته .

فالثالث القائم الزاوية إذا تساوى ضلعا القائم ، لا يمكن قياس طول وتره بدلالة الضلع قياساً



مضبوطاً . كما أن $\sqrt{2}$ لا يمكن استخراج قيمتها ، بدلالة النسبة بين عددين صحيحين ، فهي تساوي ٤١٤٢٠٠٠٠ إلى ما لا نهاية له من الأرقام العشرية . ثم إن القسمة الذهبية التي أشرنا إليها تؤدي أيضاً إلى عدد لا نسبي آخر ، هو $\sqrt{5}$.

ولما كانت فلسفة الفيثاغوريين تقوم على اعتبار أن الأعداد الصحيحة هي الأصل المتحكم في الطبيعة ، وأنه في الوسع التعبير عن كل الأشياء بهذه الأعداد فقط ، فقد كتموا الأعداد اللاقياسية . ويقال إنهم أغرقوا أحد أعضائهم ، لأنه أذاع أن $\sqrt{2}$ لا يمكن أن يبرر عنه بأعداد صحيحة . ولكن الحقيقة لم تلبث أن ظهرت إذ لا يمكن أن تبقى خافية إلى الأبد .

نحيي الميراث بوسف

وقعة نهر دجيل واعتزل الفول لمدينة بغداد

كانت المنطقة الغربية من بغداد الممتدة على الجانب الغربي من نهر دجلة تروى من مياه جدول كان يعرف باسم نهر دجيل . ونهر دجيل هذا كان يتفرع من الجانب الغربي لنهر دجلة في نقطة تقع شمال بلد الحالية بقليل فيسير موازياً لنهر دجلة حتى ينتهي إلى بغداد الغربية فيفنى هناك ، وكان القسم الذي يصل إلى منطقة بغداد يعرف باسم نهر بطاطيا . وكان هذا النهر من أهم الأنهار الرئيسة التي كانت تعد مدينة بغداد الغربية بالمياه السيحية ، فكان يمد أن يخترق « طسوج مسكن » ماراً بمدينة « مسكن » ينتهي إلى « طسوج قطربل » ومنه إلى « محلة الحريرة » في شمال مدينة بغداد الغربي . ويصف لنا ابن سرايون المتوفى في حدود أواخر القرن الثالث الهجري جدول بطاطيا وفروعه المنتهية إلى مدينة بغداد ، قال ما هذا نصه : « ومن أنهار الحريرة نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطيا أو له من أسفل فوهة دجيل بسطة فراسخ ، يمر فيسمى ضياعاً وقرى ويمر في وسط مسكن ، ويصب في الضياع ويفنى فيها . ويحمل منه نهر أسفل جسر بطاطيا يسمى يسير يحيى نحو مدينة السلام فيمر على عبارة مدرج فنفرة باب الأنبار ثم يدخل بغداد من هناك فيمر في شارع باب الأنبار ويمر في شارع السكبش ويفنى هناك » .

وقد قام نهر دجيل هذا بدور خطير في تقرير مصير معركة ٩-١٠ من الحزم من سنة ٦٥٦ هـ بين جيش هولاكو الغربي وجيش الخليفة المستعصم ، وهي جزء من المعركة الحاسمة التي غيرت مجرى تاريخ الخلافة العباسية ، وأدت إلى استيلاء الفول على بغداد . وخلاصة الحادثة ، كما رواها مؤلف الحوادث والوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني هي أن هولاكو لما قرر غزو العاصمة العباسية أرسل قسماً من جيوشه إلى أربيل على أن يعبروا نهر دجلة في الموصل ويسيروا

وقعة نهر دجيل واحتلال المغول لمدينة بغداد

بحمادة ضفته الغربية حتى يصبوا إلى جهة بغداد الغربية^(١) . وقد أتجه هذا الجيش بعد عبوره نهر دجلة في الموصل نحو نهر دجيل فأخترق الجيش المنطقة الواقعة غربيه حتى وصل إلى نهر عيسى الواقع في ذئاب نهر السقلاوية الحالي ، فمسكر هناك ومن ثم وصل إلى محلة الحريسة من شمال غربي بغداد (شمال غربي السكاظمية الحالية) في نقطة تقع على بعد فرسخ واحد من قنطرة باب البصرة ، وهي القنطرة التي كانت تقع في جوار موضع الجعيفر الحالية . وما إن تقدمت جيوش الخليفة لمقاتلة المغول حتى تظاهر المغول بالانكسار على وفق خطة مرسومة فتراجعوا إلى الشمال في الأراضي السهلة الواقعة غربي نهر دجيل فتبعهم جيش الخليفة مدفوعاً بحرارة الانتصار الموهوم دون أن يلتفت إلى جفاحه الأيمن الممتد بحال نهر دجيل شرقاً^(٢) . وهكذا استمر جيش المغول على التراجع وجيش الخليفة يتقدم إلى الشمال وراءه ، وكلاهما يسير في أراضٍ سهلة خالية من العوارض الطبيعية التي يمكن أن يحتمي بها جيش الخليفة في حالة كثر المغول عليهم ، فأدركها الليل فمسكر جيش الخليفة في موضع يقع في شمال النهر المسمى «نهر بشير» من فروع نهر دجيل على بعد تسعة فراسخ من بغداد شمالاً . وقد وصف مؤلف الحوادث «نهر بشير» بقوله إنه «بئر دجيل»^(٣) . ووصف الوزير رشيد الدين فضل الله الهمداني في كتابه «جامع التواريخ» للموضع الذي عسكر فيه جيش الخليفة بقوله إنه «حيال الأنبار قرب قلعة المنصور تحت المزقة على بعد تسعة فراسخ من بغداد» .

(١) قلنا ما ذكره رشيد الدين فيما يختص بالموضع الذي عبر فيه الجيش المغولي نهر دجلة ، إلا أن ابن المقلفي خالفه في ذلك فقال إن عسكر هولاكو المتوجه إلى غربي دجلة عبر نهر دجلة من نكريت وهو الأمر المقول وقد أيدت التواريخ العراقية هذا الاتجاه للجيش العربي (راجع كتابه «التغري» طبعة غريغزولد سنة ١٨٥٨ من ٣٨٦) .

(٢) يستدل مما رواه مؤلف الحوادث عن هذه الواقعة أن الأمير فتح الدين بن كر الذي كان يرافق الحملة قد أشار على قائد الجيوش ، وهو الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك ، بأن يثبت مكانه ولا يتبع المغول فلم يصنع إلى انتشاره واقتلعه أنه انضم إلى المغول بعد أن رفضت نصيحته .

(٣) ذكر رشيد الدين الهمداني هذه المنطقة فسماها «البشيرة» من نواحي دجيل .

ولقد تحريتنا كثيراً في هذه المنطقة علنا نعثري على نهر قدیم باسم « نهر بشير » في بزائر نهر دجيل ، ولسكتنا لم نجد لهذا الاسم أثراً ، ونميل الى اعتقاد أن النهر المتبق المتشعب من الضفة اليمنى لنهر دجيل بالقرب من التلول المروفة اليوم باسم « تلول الناظري » الذي في الاراضي الواقعة بين النهرين ، دجلة والفرات ، متجهاً نحو بزائر نهر الصقلاوية الحالي ، هو من آثار « نهر بشير » الذي ذكره مؤلف الحوادث ، ويسير هذا النهر بموازاة النهر العتيق المعروف اليوم باسم « نهر مسعود » من الناحية الشمالية متجهاً نحو الأراضي المنخفضة المروفة اليوم باسم « أراضي الهورة » في جوار النهرين السكساوي والميساوية من فروع ذئاب نهر الصقلاوية الحالي . ويقع الموضع الذي عسكر فيه جيش الخليفة ، الذي وصفه رشيد الدين بأنه « حيال الأنبار قرب قلعة المنصور على تسعة فراسخ من بغداد » في جوار التلول المروفة اليوم باسم « قبور الياسري » وهي التلول الواقعة وسط أراضي الجزيرة الممتدة بين النهرين ، دجلة والفرات ، على مسافة نحو من أربعين كيلو متراً من شمال مدينة بغداد (راجع الخارطة المدرجة مع هذا البحث ، التي تبين مواقع المركة بين جيش هولاء وعساكر المستعصم في غربي بغداد) . ويتفق هذا الموضع مع وصف رشيد الدين الهمداني حيث يقع حيال الأنبار ، كما أنه يقع بالقرب من التل المسمى اليوم « تل المنصور » وهو حقيق بأن يكون موضع « قلعة المنصور » التي ذكرها رشيد الدين ، ويقع هذا التل بالقرب من موضع « الامام منصور » الحالي على مسافة نحو من أربعة كيلو مترات من جنوب غربي قرية الدجيل الحالية (سميكة) وعلى بعد زهاء اثني عشر كيلو متراً من شمال شرقي « قبور الياسري » .

ويظهر أن قواد الجيش العباسي باتوا ليلتهم تلك في هذا الموضع ثلثين بنشوة الانتصار الموهوم إذ لم يحسبوا حساباً لما كان يبيتهم لهم الغول من مكيدة لابقاعهم في الفخ ، فبينما كان جيش الخليفة متعبطاً بما عده نصرأ كبيراً كان الجيش المغولي نهياً للهجوم الذي رسمت خطته من قبل ، فقام بسد نهر دجيل ليلاً وحولوا مياهه كلها الى (نهر بشير) ففاض هذا النهر وغمر « أراضي الهورة » المنخفضة الواقعة وراء الجيش العباسي فغطت عليه خط الرجوع ، فلما

وقعة نهر دجيل واحتلال المغول لمدينة بغداد

باغتة المغول بهجومهم المفاجي ، نكص راجعاً الى بغداد ، فوجد نهر بشير قد فاض من الليل وملاً الصحراء « فعجزت الخيول عن سلوكه ووحلت فيه ، فلم يخلص منه إلا من كانت فرسه شديدة ، وألقى معظم المسكر أنفسهم في دجلة فمهلك منهم خلق كثير ودخل من نجا منهم بغداد مع الدوبدار على أقبح صورة ، وتبعهم المغول يقتلون فيهم وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم ، ونزلوا بالجانب الغربي [من بغداد] وقد خلا من أهله » . هذا ما قاله مؤلف الحوادث عن مصير هذه المركة التاريخية التي مهّدت السبيل لهولاكو من الجهة الشرقية في حصاره مدينة بغداد الشرقية حتى أتم احتلالها .

ومما ساعد على نهر الأراضى من وراء الجيش العباسي أن الموسم الذي وقع فيه هذا الحادث كان موسم فيضان ، إذ يوافق يوم الحادث (١٠ المحرم سنة ٦٥٦ هـ) ١٤ كانون الثاني سنة ١٢٥٨ م ويكون في منتصف الموسم المذكور . ومن المعلوم أن هطول الأمطار في هذا الموسم يؤدي الى ارتفاع مناسيب مياه النهرين ، دجلة والفرات ، فيعرض أرض الدلتا كلها لخطر الفرق إذا لم تتخذ تدابير واقية لدفع خطر النمر عنها . وقد جاء فيما ذكره مؤلف الحوادث ما يؤيد أن الموسم الذي وقع فيه الحادث كان موسم أمطار ، إذ ذكر أن المغول لما احتلوا بغداد « قتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال وكانت القتل في الدروب والاسواق كالتلوث ، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستجالت سورهم » ، وأشار الى وجود الوحول في الطرق بقوله أن « عدد القتلى زاد على ثمانمائة ألف نفس عدا من ألقى من الأطفال في الوحول » .

ومما قاله الرشيد الهمداني في « جامع التواريخ » في هذا السدد « إن عساكر المغول وصلت الى البشيرية من نواحي دجيل وكانت المياه كثيرة غزيرة في تلك المواضع فكسر المغول سدود المياه حتى غمرت الأرض من وراء الجيش العباسي كلها ، وفي العاشر من المحرم في طلوع الشمس هجم المغول على الجيش العباسي ، وقتل ابن كر وأمير معه اسمه فراسنقر ، وقتل من عسكر الخليفة

اثنا عشر ألفاً عدا المتورطين في الطين ونجا الدويدار مع جماعة قليلة من العسكر فدخلوا بغداد .
وقد يكون من المفيد أن ندون هنا رواية ابن الطاطقي في كتابه « الفخري في الآداب
السلطانية والدول الإسلامية » عن الواقعة المذكورة ، وكان معاصراً لها ، قال : « حينئذ وقع
الشروع في قصد بغداد وبث العساكر إليها . فتوجه عسكر كثيف من المنول والتقدم عليهم
باجو الى تكريت ليمبروا من هنالك الى الجانب الغربي ويقصدوا بغداد من غربيها ويقصدوها
العسكر السلطاني من شرقيها . فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر الى أعمال بغداد أجفل
القاس من دجيل والاسحاقي ونهر الملك ونهر عيسى ودخلوا الى المدينة بنسائهم وأولادهم حتى
كان الرجل أو المرأة يقذف بنفسه في الماء ... فلما وصل العسكر السلطاني إلى دجيل وهو يزيد
على ثلاثين ألف فارس خرج اليه عسكر الخليفة صحبة مقدم الجيوش مجاهد الدين أيبك الدويدار ،
وكان عسكراً في غاية القلة فالتقوا بالجانب الغربي من بغداد قريباً من البلد . فكانت الغلبة في أول
الأمر لعسكر الخليفة ، ثم كانت السكرة للعسكر السلطاني فأبادوهم قتلاً وأمرأ وأعانهم على ذلك
نهر فتحوه في طول الليل فكثرت الوحول في طريق المهزمين فلم ينج منهم الا من رمى نفسه في
الماء أو من دخل البرية ومضى على وجهه الى الشام . ونجا الدويدار في جيئة من عسكره ووصل
الى بغداد » . وقد أشار ابن الطاطقي في موطن آخر نقلاً عن ابن أيدمر الذي شهد المعركة
نفسها قال : « حدثني فلك الدين محمد بن أيدمر قال كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج
الى لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة السلام في واقعتها العظمى سنة ست وخمسين وسبعمائة قال
فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل فكان الفارس منا يخرج الى البارزة وتحته فرس عربي وعليه
سلاح تام كأنه وفرسه الجبل العظيم ثم يخرج اليه من المنول فارس تحته فرس كأنه حمار وفي يده
رمح كأنه المغزل وايس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم مانم النهار حتى كانت
لحم السكرة فسكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ثم كان من الأمر ما كان » .

ومن غريب المصادفات أن معركة مصعب بن الزبير مع عبد الملك بن مروان كانت قد وقعت

وقعة نهر دجيل واحتلال الموصل لمدينة بغداد

في نفس موضع وقعة الموصل المتقدمة قبل زهاء ستمائة عام ، وهي المعركة التي لقي فيها مصعب بن الزبير حتفه . ويلاحظ أيضاً أن معركة البرسقي مع ديبس بن صدقة صاحب الحلة في سنة ٥١٦ هـ كانت قد وقعت في جوار الموضع نفسه إذ ذكر ابن الأثير أن « البرسقي أرسل إلى الوصل وأحضر عساكره وسار إلى الحلة وأقبل ديبس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقي الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي » .

أحمد سوس

وحدة القانون واحترامه

نحن في فجر تأريخ جديد من حياة الأمة العربية ، وفي بدء مرحلة تحتم حوادث السكون المرعبة التي لمسنا خطورتها أن نقطعها بسرعة دون إبطاء ، ونذل معها بعزم لا يفله إرجاف المرجفين ، وصبر لا يزعه جوع النفوس الضعيفة ، وسير لا تمرقه الأثنية وحب النفس .

إن من أهم الأسباب المؤسسة للوحدة ، والمقرر لها ، وحدة القانون في البلاد العربية ، وأقصد من وحدة القانون في البلاد العربية أن تكون الاسس والمبادئ الجوهرية في قوانين البلاد العربية واحدة ، وإن اختلفت في بعض التفاصيل والفروع بالنظر الى اختلاف العادات وتمايز البيئات ، سواء ذلك في قوانينها العامة أو الخاصة ، وعلى الأخص القوانين الدستورية والثقافية والمدنية والتجارية ، التي هي في الحقيقة ، جزء من القانون المدني . فإذا ما تحققت هذه الوحدة في القوانين في أمة تأسس معها لازماً وحدة في الروح والمعاملات والمبادئ والآمال والغايات وأساليب الحياة . وإذا ما تأسست مثل هذه الوحدة في أمة ، كانت الأمة مصداقاً لقول الشاعر :

وإذا تآلفت القلوب على الهوى فالناس تضرب في حديد بارد

وهذه الوحدة نتيجة طبيعية لوحدة القانون . والتأريخ القانوني شاهد على ذلك . فإذا كانت سائر شعوب الأمة الواحدة دستورية في حياتها السياسية ، جارية على نظام واحد في أسسها ومعاملاتها المدنية والتجارية ، تابعة لثقافة واحدة في حياتها العلمية والأدبية ، وكانت موحدة حتماً وإن اختلفت أسماء شعوبها وتباينت ألوان بنيتها . والعكس بالعكس .

وحدة القانون واحترامه

إن القانون ينظم الروابط الاجتماعية بين الدولة والأفراد ، وبين الأفراد بعضهم مع بعض ، فإن هذه الميزة من خصائص القانون ، بل هي الغرض الأول من ابتكار الشرائع العملية ومن القوانين الوضعية . وإذا ما كانت روابط مجتمع سارية على نمط واحد وأسلوب واحد ، كان المجتمع كتلة متراسة وأمة واحدة ، لا تقبل التفريق والتجزئة وإن فرقها الأسماء المصطنعة والحدود المصطنعة . وإذا ما اختلف القوانين في شعوب أمة واحدة ، تأمس البون فيما بينها ، وكانت أئماً تباعد عن وحدتها على مر الزمان ، ولربما وصلت من البعد إلى أن ينسى بعضها بعضاً وأن ننساها جميعاً .

إن للقانون سيطرة على النفوس ، تتحول إلى تربية خاصة تحترمها ضائير الأفراد ، وتمتد بها جزءاً من التقاليد المتخلفة في صميم شعائر الأمة . فإذا اشتركت الشعوب العربية في هذه التربية القانونية الخاصة وانطوت عليها ضائير أفرادها ، استحكمت الوحدة بينها استحكاماً لا تهدمه الدهور ولا ترعزعه الحوادث . والأمر المهم هنا هو أن نتساءل : هل هذه الوحدة القانونية ممكنة ؟ وهل يمكن سن قوانين موحدة تؤسس وحدة قانونية عامة في الشعوب العربية ؟

أقول نعم مع التحفظ من جهة واحدة ، وهي تفسير معنى وحدة القانون . فلا أريد بمعنى وحدة القانون وحدة القوانين في الدول العربية نصاً وفصلاً وشكلاً عاماً في سائر النواحي ؛ بل أقصد وحدة في العمود الفقري للقانون ؛ وحدة في جوهره وقواعده الأساسية وترك التفاصيل والفروع إلى مسدى مقتضيات البيئة والمجتمع الخاص . وهذا المقدار من الوحدة هو الكافي للغرض المنشود .

بعد ما وضحت هذا التحفظ أرجع فأقول نعم . ودللي على ذلك أمور ثلاثة : —

١ — الحقيقة العلمية .

٢ — الماضي .

٣ — الحاضر .

أما الحقيقة العلمية ، فقد استقر رأي أغلبية علماء القانون على أن القانون حقيقة طبيعية كامنة في المجتمع ، متولدة من صميمه ، وما عمل المشرع إلا إظهارها والتعبير عنها . فليس هو من صنع المشرع ، ولا هو من تخيلاتة ومحض إرادته . شأنه شأن الظواهر الطبيعية الأخرى في الأمور المادية ، فإنها حقائق قائمة بذاتها وليس للفيزيائي ، مثلاً ، إلا بحثها ومخرجها والتعبير عن آثارها . فمكون القتل جرمًا يستحق العقاب ، وكون الغاصب ضامناً لما غصب ، وكون النكاح لا يكون صحيحاً إلا إذا اقترن بتراضي الطرفين ، حقائق طبيعية في المجتمع منترعة من صميمه ، وليس للمشرع إلا فضل التعبير عنها بنصوص جامعة مانعة ، وتقدير الكمية والكيفية فيها ، كما أن كون الحرارة تشع خطوطاً مستقيمة ، وكونها تؤثر التمديد في الأجسام ، وكون البرودة بالمعكس ، وكون الضوء أسرع من الصوت ؛ حقائق طبيعية لم يزد الفيزيائي فيها شيئاً ، وليس له إلا فضل الاستقراء والتدوين والنسج . على أن أصحاب هذا المذهب ، بعد اتفاقهم على هذا القدر ، اختلفوا في كون الحقائق القانونية هل تقبل التطور باختلاف البيئة والزمان والمكان ؛ فكان رأيهم باديءً بأنها كالأظواهر الطبيعية الأخرى لا تتغير ولا تتبدل في كل مجتمع . ولكنهم بعد ذلك ، اعترفوا بقبول التطور والتأثر بحكم البيئة والزمان ، فإن هذا قد يمتري الظواهر الطبيعية في الأمور المادية بسبب العوارض الطبيعية ، والمثوبات أشد إرهاباً وتأثراً من الماديات .

ولا شك في أن العقول السليمة تشعر بصحة هذا المذهب ، والتجارب الواقعة تؤيده ، وهو مذهب لم يزل حياً قوياً سيطراً على النفوس القانونية ، لم تقوَ على هدمه النظريات والمذاهب التي ناولته معها حاولت ذلك .

فالقانون إذاً ظاهرة طبيعية تقبل التطور بحكم البيئة وغيرها من المؤثرات الأخرى . فإذا ثبت هذا ، فما لاشك فيه أن المجتمع العربي الأكبر متشابه في بيئات شعوبه من حيث التربية الروحية ، والتربية الاجتماعية ، ومن حيث التاريخ والآمال والميول والتزعات ، ومن حيث المناخ ، وهذه الأمور كلها تفسر معنى البيئة . وإذا كان القانون ظاهرة طبيعية متطورة ، وكانت البيئات

وحدة القانون واحترامه

العربية متشابهة ، فأني حائل يحول دون التصدي الى وحدة قوانينها ، وهل من النطاق أرتأشت في قوانينها وتتباع في نظمها ؟ كلا .

وأما الأمر الثاني وهو الماضي ، فما هو ثابت لا مرأ فيه ، أن الشعوب العربية على اختلاف أقطارها ، وبمسد الشقة فيما بينها ، قطعت أكثر من اثني عشر قرنًا وهي تجري في قواعد القانون على شريعة واحدة ، هي قواعد الشريعة الإسلامية المتينة الأساس ، القوية البنيان ، تلك الشريعة التي لم تضارعه شريعة سابقة ، ولم تنزها شريعة لاحقة ، لأنها معين لا ينضب ، تسار الأمانة والامانة ، وتقبل التطور باختلاف الأحوال وتطور الظواهر الاجتماعية ، لما فيها من قواعد مرنة ، ولما فيها من الأساسين الراسخين ، القياس والاجماع :

القياس الذي يشطوي على قواعد العدالة التي هي الدار المهم في القوانين الحديثة والتي تسمى بلدان الشريعة بالاستحسان أو الصالح المرسلة ، والاجماع الذي يشابه ما يسمى في القوانين الحديثة بالتشريع الذي يعتبره علماء القانون الحديث المصدر الأول المهم في صنع القواعد القانونية ، وليس هذا مقام الأفاضلة في هذا الباب .

عاش الشعب العربي في المراق وفي الأندلس وسورية واليمن ومصر والحجاز وغير هؤلاء من الأقطار العربية ، من فجر القرن الأول الهجري إلى نزوح العرب من الأندلس ، ثم إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري وهو يسير في قوانينه الخارجية والداخلية ، العامة والخاصة ، على أسس واحدة وشريعة واحدة . وهو شامخ الأنف ، مرهوب الجانب ، قوي المزم ، نتاجه العلم والأدب ، وشعاره العدل والانصاف . وعند انضمام العرب الى الدولة العثمانية ، كانت الشريعة الإسلامية هي القانون المعمول به في الدولة ، فلم يجدوا غير شريعتهم ، وهكذا استمروا على قانون واحد هو الشريعة الإسلامية . ولم يبدأ تدخل القوانين الأجنبية في البلاد العربية إلا منذ أعلن السلطان محمود العثماني سنة ١٢٥٥ هـ . المرسوم السلطاني الصادر من قصر كلخانة ، فشرع قوانين جديدة ، منها ما هو مقتبس من قوانين بعض دول أوروبا ، ومنها ما هو مبتكر دعت إليه الحاجة . ثم امتد سلطان القوانين الأجنبية في بعض الأقطار العربية التي أبليت

منبر القاضي

بالاحتلال الفرنسي ، الذي طمس الثقافة السحيقة في البلاد العربية التي خيم ظله الثقيل فيها ، وطعنها طمعة بجلاء ، فبقيت الأقطار العربية من ذلك التاريخ في خليط غير منسجم من القواعد القانونية المختلفة من حيث المبادئ ومن حيث الاتجاه ، مما يدهو إلى العمل في تجميعها وتهذيبها مع الاحتفاظ ، جهد الطاقة ، بقواعد الشريعة الإسلامية التي خالطت روح الأمة العربية وامتزجت بمبادئها وأخلاقيها ، وأصبحت من أدبها في الحياة ، وأملًا من آمالها بمسد المات . ولا غاب عليهم في ذلك ، فالشريعة الإسلامية بحر عذب سائغ شرابه ، أو مهابة صافية ، تنعكس عليها الحقائق . شريعة حية ، تنمو وتتطور حسب المصالح والأحوال . ولا أدل على قبولها النمو والتطور من رسوخ العمل بها قرونًا كثيرة في أمم مختلفة في العناصر والأقاليم والبيئات . والنمو والتطور من علائم النشاط وخصائص الحياة .

وأما الأمر الثالث ، وهو الحاضر ، فإن الأمم العربية في الحال الحاضر في سائر أقطارها من أقصاها إلى أقصاها تجري في أحوالها الشخصية على قواعد واحدة الأساس ، وفروع لا يختلفون فيها إلا قليلًا ، ولا يمسد أن يكون هذا الاختلاف ناشئًا من أمور خارجية من سياسية وبيئية .

وأقصد من الأحوال الشخصية : نظام العائلة من زواج ونفقة ونسب ومفارقات ، وارث ووصية وولاية ، ويلحق بها الوقف أيضًا . والأحوال الشخصية تؤلف أهم قسم في القوانين المدنية في سائر الدول ، والأمم العربية من فجر نهضتها الإسلامية إلى اليوم ، الفت في هذا الباب قواعد واحدة في الأساس ، وأحكامًا واحدة أو متقاربة في الفروع ، الفت هذا الوضع القانوني في أحوالها الشخصية في سائر أزمانها وأماكنها . وناهيك بهذه الوحدة دليلًا على استعدادها للوحدة المطلقة أو المتفاربة في جميع أقسام القانون .

يتضح من الأدلة الثلاثة التي سردتها ، أن الوحدة القانونية في الأمم العربية ليست من الأمور المستحيلة ولا العسيرة ، بل هي من الأمور الممكنة اليسورة المألوفة .

فأول ما يجب أن يبدأ به في التوحيد من القوانين ، القانون المدني والقانون التجاري

وحدة القانون واحترامه

والقانون العسكري والقانون الثقافي . فهذه القوانين الأربعة تخص أهم العوامل في حياة الأمة ومقوماتها ، فتوحيد القانون المدني ، يوحد الأمة في المعاملات المدنية بين أفرادها ويجعل الأقطار العربية قطراً واحداً في التعامل . فلا يتردد الفرد في أي قطر كان من الأقطار العربية في إجراء المعاملات المدنية مع سائر أبناء الأقطار العربية الأخرى ، لأن الحكم واحد بين الجميع ، فلا يجعل نتائج ما يؤديه هذا التعامل من الآثار . وكذلك الأمر في توحيد القانون التجاري ، الذي هو عمود التجارة بين سائر الأقطار العربية ورباطها الوثيق ؛ فإذا اتحدت القوانين التجارية انتعشت التجارة بين سائر الأقطار ، ونهضت اقتصادياتها نهوضاً محموداً . إذ يكون التاجر في مأمن من مخبة معاملاته وصفقاته التي يجربها مع الأقطار الأخرى . وأما القانون الثقافي ، فلا شك أن توحيدته يؤدي إلى وحدة الحياة الاجتماعية العامة في الأمة العربية ، وبؤسس لها طريقاً واسعاً مستقيماً ينظم سير أبنائها إلى السكال والظهور بين الأمم متجانسين في التفكير والأدب العام ، كما أن الأمة بذلك يسهل بينها التعاون العلمي ، ويسود فيها الاتصال الروحي اتصالاً يرمي إلى وحدة العمل والأمل .

وأما القوانين العسكرية ، فلا مراء في أن توحيدها في الجيوش العربية من أزم الأسباب لانسجام التدريب فيها ، واتساق العمل المشترك ، وانتظام السير في النهوض بالقوى العسكرية في مختلف الدول العربية على نمط واحد . فيتحد التدريب ، وتتحد الأسلحة في النوع ، وتتحد المصطلحات العسكرية ، وبذلك يشكون الارتباط الحقيقي بين تلك الجيوش ، وتصبح بحكم القوة العسكرية الواحدة ، وإن اختلفت أجزاؤها في الانتساب .

إن الاتحاد في القوانين هو الاتحاد الحقيقي ، ولا يشمر الاتحاد الاسمي المجرد الذي لا ينفذ إلى روح الأمة ، ولا يتغلغل في نظام حياتها المادية والمعنوية . والنفوذ والتغلغل المطلوبان لتحقيقها إلا وحدة القوانين الجوهرية فيها ، تلك القوانين التي يبنى عليها كيان الدولة في الأمة وينظم سير أفرادها في سبل الحياة .

إن اختلاف القوانين الجوهرية في أمة ، لعقبة كئود في طريق وحدتها ، بل إنها قد تؤسس الشعوب بروح الفرقة والاختلاف في الأنحاء ، وقد عانت البلاد العربية زمن الفوضى في

قوانينها تشتتاً في نظم الثقافة ، وعنقاً واضطراباً في المعاملات ؛ ورأت أنواعاً شتى من المحاكم ، وشاهدت سوراً محزنة من الأحكام المتباينة في قضايا متشابهة ، وذاقت مرارة هذه العلوم السامة ، ولم تتخلص من بمعناها إلا يشق الانفس . وقد سادت الفوضى بحديثها وتحت تلك الصور يشاعنها عندما كانت الامتيازات الأجنبية مستحكمة في البلاد العربية في أواخر عهد الدولة العثمانية ، ومن بعدها في بعض الأقطار حتى الآن ، تذكر من ذلك من تذكر ونسيه من نسي ، وكان العراق أول من تخلص من هذا العبء الذي تنوء به المصيبة أولو القوة . فتملك الامتيازات الأجنبية جملة البلاد العربية محل تطبيق قوانين عديدة مختلفة المنشأ والبنى ، علاوة على القوانين المحلية المختلفة الألوان والاشكال في مختلف الأقطار العربية ؛ ففي كل قطر لون ، وفي كل صقع شكل . ففي تلك الفوضى القانونية كانت الأقطار العربية ، فضلاً عن انفصال بعضها عن بعض سياسياً ، تكاد تنفصل أدبياً ، ولولا بقية من تربية عميقة في النفوس ، وذكريات تأريخية تربط القلوب ، لم انفصال الأدبي مع الانفصال السياسي .

فالتشتت في القوانين أقوى عامل في انفصال الأمة بعضها عن بعض ، وكلما تقاربت الشعوب في قوانينها تقاربت الى الوحدة . بل أذهب الى أبعد من هذا فأقول : إن الأمم المختلفة في عناصرها وتاريخها ، المتباعدة في أقطارها وديارها ، اذا اتحدت في قوانينها الجهورية ، تنقلب شعباً واحداً ، وتصبح أمة واحدة . وقد يطغى بها الشعور بهذه الوحدة ، فتتسى فوارقها العنصرية والتأريخية ، وتأتى على الدهر أن يعد اليها بد التفريق . وها إن الشواهد الملموسة في العالم الحاضر لا كبر برهان على ما أقول ؛ فقد رأينا شعوباً متباينة في المنصر ، متفاربة في المذاهب ، متضاربة في الغايات ، قد أصبحت أمة واحدة بفضل الوحدة في قوانينها ، تناضل من كيانها الجديد ، الذي كونه هذه الوحدة في القوانين الجهورية ، فضلاً أخضع الطغاة وأدى جباههم العسية ، وأنزلهم من صياصيمهم ، وأورثها أرضهم وديارهم . فما بالك بالآثر المهم الفعال من وحدة القوانين في شعوب أمة عنصرها واحد ، وتقاليدها واحدة ، وتاريخها واحد ، وأملها

وحدة القانون واحترامه

واحد ، كالشعوب العربية ؟ لا شك أنها تستكمل بذلك وحدتها الحقيقية ، وتحمي عنفها الانعزال أو شبه الانعزال الذي حل بين شعوبها منذ الألفية السود الغابرة ، فبتجديد لها وحدة لا انفصام لها ، وتنشأ أمة واحدة تناضل عن كيانها ، وتحمي عربيتها في سبيل السلام والحرية ، وتساهم في النهوض بملم القانون وحماية العدل ، علماً وعملاً ، مساهمة لها أثرها الحيد في العالم ، كما فعلت قبلاً . وقد أتجه المراق الى التقريب بين قوانينه وقوانين سائر الدول العربية . وهو عامل على ذلك جهد الطاقة . وقد حقق ذلك في قانونه المدني وقانونه التجاري ، وهما من أهم القوانين في حياة الأمة ومعاملاتها المدنية .

حرمة القانون : والقانون يجب على الحكومة والشعب احترامه ، لأن القانون هو الممثل لإرادة الأمة ، وهو القوة العسامة التي تعتمد عليها الحكومة في سيرها ، وهو السلاح المعنوي الذي يشهره المظلوم في وجه الظالم ، وهو الحكم الذي يرد الحق الى ذويه ، ويقف المتمدني عند حده ، ويكافئ المحسن على إحسانه ، ويجازي المسيء على إساءته . وهو الدليل الموصل الى الغاية المطلوبة في حياة الشعب الا وهي الأمن والطمأنينة ورفاهية العيش . فالقانون إذاً ، هو الحامي والواقى والمرشد والراعي والناظر والمنظم والمجازي والمكافئ . فهو جماع أمر الأمة ، وملاك سمادتها ، وزعام إدارة الدولة ومنهج سيرها ، وهو من الأمة واليها .

ولكن هذه الميزات السامية والفوائد الغنية للقانون ، لا تنأى ولا تتحقق ما لم تصاغه يد قوية ، وتناصره قوة مؤيدة . وأعني بتلكم اليد وتلكم القوة (احترام القانون) . فليس القانون شخصاً مادياً قوي العضلات ، يكافح عسائمه ويرغمهم الى الطاعة ، ولا هو سلاح ناري يحرق قلوب الزائغين عن أحكامه ويقسهم الى الانصياع اليها ، حتى ينال مكائده موفور الكرامة ويأخذ مقامه في حياة الشعب ، بل هو قوة معنوية لها تأثيرها البليغ اذا صادفت مؤيداً ، وروح خفية في جسم المملوكة ، لها أثرها الحسن اذا حركها منميش وعالجها منشط . وما ذلكم المؤيد أو المنميش أو المنشط إلا (احترام القانون) .

فإذا لم يقترن القانون بقوة الاحترام ، يبقى روحاً خاملة وحبراً على ورق ، وفي ذلك ما فيه من إهانة إرادة الشعب وخيبة الشريعة ، وذهاب الجهود سدى ، وضياع الأموال التي صرفت

في سبيله . ولا أعني باحترام القانون تقبيل دفتيه ولا التبرك به ، ولا التفتي بتلاوته . إذ ليس هو من الكتب الدينية المقدسة ولا من الآثار الدينية المحترمة . ولا أعني باحترامه الوقوف أمامه بتأدب وخشوع ، وقفة الجندي أمام قائده ، أو وقفة المصلّي في محرابه ، فإن هذا النوع من الاحترام اصطفاي غير منتج . وإنما أقصد من احترام القانون تنفيذ أحكامه على أحسن وجه وأدق معنى ، وتقبّل إنفاذها قبولاً حسناً .

إن احترام القانون يتلقى من جهتين :

١ - الحكومة .

٢ - الشعب .

فاحترام الحكومة للقانون هو قيام موظفيها على اختلاف طبقاتهم وتباين درجاتهم ، بتطبيق نصوصه من غير تحريف أو تأويل غير علمي ، وتنفيذ أحكامه بكل الدقة من غير ما زيف أو عوج .

فإذا ما خرق القانون موظف فقد جنى إثماً عظيماً ، وأصبح قدوة سيئة وحجة لذوي الطامع والاخلاق الخبيثة . خصوصاً إذا كان الموظف من ذوي القامات العالية ، فإن إثمه بتضاعف وجنابته لا تفتقر . ولقد مرّ زمن مثلت فيه أدوار خرق حرمة القوانين بأيد قوية ، كان من واجبه العمل لصيانتها ، والاحتفاظ بمغازيها الصحيحة ، وإسكن النفوس الضعيفة والأرواح الواطئة تأبى إلا أن تأخذ نصيبها من الضعف ، وقسطها من الوطأة مما بلغت بأصحابها المراتب والمقامات . وقد يعتذر بعض الخارجين حرمة القانون بحمل نصوصه على غير معانيها الظاهرة بأن اجتهادهم الشخصي قد ساقهم إلى ما ذهبوا إليه ، والجهد لا يؤم عليه . ولكن إذا سألهم عن مستند اجتهادهم لم يكن جوابهم سوى أن رأيهم لم يقبل غير ما ذهبوا إليه من المحامل ، وهو عذر أشد فضاة من جريمتهم ، إذ يظهر أنهم لم يبرفوا معنى الاجتهاد والفرق بينه وبين شهوة النفس . فلو كان الاجتهاد مطلق الرأي ومحض الشهوة وخلع الهوى ،

لكان الأمر فوضي ولا أصبح كل شخص مشرعاً .

وأما احترام الشعب للقوانين ، فهو إطاعة أحكامها وتقبل تنفيذها عليهم قبولاً حسناً ، والجرى على موجهها من غير إرغام أحد . لأنها الكافلة بتنظيم سيره في الحياة الاجتماعية ، وعدم اتخاذ الوسائل للتملص من الواجب القانونية ، ولزوم السؤال من رجال القانون عن الشروط والأحكام القانونية عند مراولة الأعمال المهمة ، وعدم الاستهانة في الفروض القانونية مهما كانت ناهية بنظر الشخص . فإذا فرض القانون مثلاً وضع مصباح ليلا على مواضع معينة عند إنشاء أحد بناءاً ، فعلى المنشئ تلبية هذا الفرض . وإذا ما حُرِّم القانون بيع الملح إلا بشروط مخصوصة فعلى الراغب في البيع بمجاوبته ما لم يستكمل الشروط المطلوبة . وإذا ما أوجب القانون وضع طابع في ورقة فعلى صاحب الورقة ألا يتهازل في الصاق الطابع المطلوب . وعلى الطبقة المتورة أن تكون قائدة الأمة إلى هذه الطاعة المحمودة الموافق . أما إذا خرقت الطبقة المتورة حرمة القوانين بالذات أو بالواسطة ، فلا يقصر ذنبها عن ذنب موظف اعتدى على حرمة القانون .

القانون والشرية : الشريعة لغة : مورد الشاربة ، يقال : الشرائع نعم الشرائع من وردها روي وإلا دوي . وتقل هذا اللفظ (الشريعة) في اصطلاح الفقه إلى الأحكام التي جاء بها الرسل عن الله تعالى . فقبيل (شريعة موسى) و (شريعة عيسى) و (شريعة محمد) ، صلوات الله عليهم أجمعين .

ولا تخفى المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه . فإن كلاً منهما مورد ، فالأول مورد لصحة الأبدان ، والثاني مورد لصحة العقائد والأعمال . فالقانون ، من هذه الجهة ، شريعة أيضاً ؛ إلا أنها وضعية غير إلهية . وبتعبير آخر غير مماوية . فكان التفريق بين المصطلحين (الشريعة والقانون) للاشمار بهذا المعنى . فإذا أطلق لفظ (القانون) فأنما يراد به الشريعة التي سنها الناس لأنفسهم من الأحكام . وإذا أطلق لفظ (الشريعة) فأنما

منبر القاضي

يراد به ما سنه الله تعالى لعباده من الأحكام . والفرق بينهما من حيث المصدر . وأما من حيث العمل بها فكل منهما واجب اتباعه ، ولا تعتبر الأعمال صحيحة إلا إذا جاءت وفقاً لما أثبتته وقرره كل فيما يخصه .

والوحدة في الشريعة أشد وثوقاً من الوحدة في القانون لما تتسم به الشريعة من الصفة الدينية التي جبلت النفوس على التعلق بها ، والنسك بقديستها ، وكل منهما يجب احترامه ما

منبر القاضي

محمد فيضي الزهاوي

مفتي بغداد

هو شخصية لامعة ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري ، وهو من نادري الرجال ذوي المواهب الممتازة ، عاش قرناً كاملاً نشر فيه ألوية العلم والتدريس والإفتاء ، والأدب العربي ، إن شئت عالمًا فمالم ، أو شاعرًا فشاعر في اللغات : العربية والفارسية والكردية والتركية ، أو مدرسًا فدرس ، درس العلوم الإسلامية والثقافة العربية سبعين سنة ، وإن شئت فقل ففقيه في الفقهين : الشافعي والحنفي . تربع على كرسي الإفتاء في الزوراء ثمانية وثلاثين سنة ، وتخرج في مدرسته مئات علماء وفضلاء وأدباء ، بحيث تنتهي إليه سلسلة إجازات أكثر العلماء في العراق ، كما قال الشاعر السيد أحمد الراوي الواعظ المشهور بأبي الخلق الذهب في قصيدته الرثائية التي سنقلها فيما بعد :

إذ لا ترى ذا العصر فضلًا في أمرى^١ الآ ومنه مسدوره في الورد
وبالغم من هذا فقد ضن^٢ عليه المترجون ، قلم يكتبوا شيئًا عن حياته ، ولم يرووا لنا نماذج من أشعاره ، بل مات هذا الرجل الفذ ، والشعلة الوهاجة ، وكسيت أشعاره وآثاره الأدبية ، وطرائفه وظرائفه ، ونكاته المستملحة ، وحكاياته اللطيفة مع الولاة ورجال العلم والأدب .
لقد حفزني ذلك في عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م على أن أكتب شيئًا في حياته وألم ما يمكن له من آثاره وأشعاره ، فأصدرت كتابًا باللغة الكردية بعنوان : (مفتي زهاوي) وقع في (١٤٠) صفحة ، ترجمت به حياته ، وجمعت فيه كل ما عثرت عليه من آثاره الأدبية ، وحسبي أني جمعت من نظمه أكثر من مئتي بيت نسفها بالعربية ، والباقي بالفارسية والكردية والتركية ، وطبعته في سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م ونال الكتاب بمادته استحسانًا وإقبالًا من أهل الفضل والأدب ، وكان عليّ أن أترجمه إلى العربية لآخواني الناطقين بالعناد لولا كثرة الأشغال

محمد الخصال

الرسمية وغيرها ، ولكن بدت الحاجة الملحة الآن الى أن يقتطف من كتابنا المذكور مقالاً واحداً وموجزاً شاملاً لا هم ما في الكتاب تنويراً للقراء السكرام ، وأداءً لبعض ما يجب على أدائه لهذا الرجل الانساني الذي خدم العلم والدين والأدب زهاء ثلاثة أرباع قرن ، اعترافاً مني بفضلته وتخليداً لذكراه .

هو محمد فيضي بن الملا أحمد بن حسن بك بن دستم بك بن كي خسرو بك بن أمير بابا سليمان ، وهذا الأمير — على ما قاله المرحوم محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ الكرد وكرديستان من أقدم العصور) — هو ابن فقي أحمد الدارشماني ، جد الأسرة البابانية الشهيرة ، ولهذا فالفقي الزهاوي يُعد من الأسرة المذكورة .

ولد رحمه الله في بلدة (السلبيانية) سنة ١٢٠٨ هـ = ١٧٩٣ م على ما حققه المرحوم محمد أمين زكي ، وعلى ما حققناه في كتابنا المذكور ، من أب كردي عراقي وأم كردية إيرانية من أهالي قرية (زهاو) الواقعة بين قريتي (هورين وشيخان) و (قصر شيرين) .

وأما بحسب السجل الرسمي للحكومة العثمانية ، فهو من مواليد سنة ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م ويؤيده ما رواه المرحوم الحاج ميرزا عبد الحميد السكردستاني الايراني الملقب بـ (ملك الكلام) في كتابه المخطوط (سفرنامه) الذي يذكر فيه رحلته الى بغداد والحجاز ، فقد قال فيه : إنه زار في بغداد المفتي الكبير محمد فيضي الزهاوي بداره في الساعة الثامنة من ليلة الثلاثاء السادس من جمادى الأولى سنة ١٣٠٤ هـ وسأله عن عمره فأجابه المفتي حالاً بقوله : (أوف ^(١)) . وأشار في ضمن هذا التأليف الى عدد سني عمره بحساب الحروف الأبجدية وهو « ٨٧ » سنة ، وعلى هذا فالفتي كان من مواليد سنة ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م وعاش إحدى وتسعين سنة لأن وقته كانت في سنة ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م .

لقد ترعرع المفتي في أحضان والده بالسلبيانية ، ونشأ في أيام الإمامة البابانية ، وأقبل على

(١) هذه الكلمة تكتب ويتلفظ بها هكذا في اللغة السكردية ، أي بالألف والواو والهاء لا بالالف والفاء كما في العربية .

محمد فيضي الزهاوي مفتي بغداد

العلم في صغره ، فدرس القرآن الكريم والفارسية ومبادئ النحو والصرف والفقه واللغة على والده .

وبعد أن توفي والده ، وبلغ هو أشده ، وثبتت في ميسادى العلوم العربية قدمه أُنْتُخِلَ إلى مدرسة العلامة (الشيخ معروف النودهي)^(١) بالجامع الكبير بالسليمانية ، وبقي عنده ردهاً من الزمن أخذ فيه عنه أسرار العلوم العربية من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ، والعروض والفقه ، وأخذ عنه هوى الشعر ووحى الأدب .

ثم سافر إلى مدرسة الإمام الكبير (الشيخ عبد الله الخرياني)^(٢) في حلبجة وبقي فيها مدة من الزمن ، حضر في أثناءها حلقات درس الشيخ ، وأخذ عنه علوم المنطق والفقه وأصول الفقه .

ثم رحل إلى (سنه = سنندج) في كردستان إيران ، ونزل في مدرسة أستاذ الكل (الشيخ محمد قسيم المردوخي)^(٣) وقرأ عنده علمي الحكمة والكلام ، واغترف من معين علمه وفضله .

(١) ولد في قرية (نوده) بلواء السليمانية سنة ١١٦٦ هـ - ١٧٥٢ م وتوفي بها سنة ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م وكان عالماً بارعاً وشاعراً بليغاً في الكردية والفارسية والعربية وله أشعار رفيقة وقصائد رنانة ، وله من المنظومات العلمية والأدبية والمؤلفات ما ينيف على سنين مؤلفاً .

(٢) هو الشيخ عبد الله ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ محمد ابن الشيخ جباري من سادات النكية بقرعة داغ ، ولد له الله في سنة ١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م وتوفي في سنة ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م في قرية (خرياني) بقضاء حلبجة . كان - رحمه الله - عالماً جليلاً من بيت علم وفضل ودين وسيادة ، له تعليقات مفيدة على (تحفة المحتاج : شرح المنهاج) لابن حجر المهيتمي في الفقه الشافعي وعلى (جمع الجوامع) في أصول الفقه ، وكان مدرساً في الجامع الكبير بحلبجة ، وبعد أن هاجر مولانا خالد النقشبندى إلى بغداد وترك السليمانية نهائياً عين الشيخ عبد الله مدرساً للنكية المالكية بالسليمانية سنة ١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م وبعد ثلاث سنوات تركها ورجع إلى حلبجة ، وكان يدرس فيها شتاءً ، وفي قرية خرياني صيفاً . عاش رحمه الله نحساً وتسعين سنة ، ونشر لواء العلم والتدريس زهاء ثلاثة أرباع قرن . ومن تلامذته مولانا خالد النقشبندى ، وملا عبد الرحمن النودهي وابنه ملا أحمد المفتي النودهي ، وملا صادق العلوي (نسبة إلى قرية طويلة) وملا خضر التائي ومشتاتة غيرهم - رحمه الله - .

(٣) المردوخية أسرة قديمة معروفة بالعلم والتمقن والدكاء ، نبغ فيهم علماء وفضلاء كثيرون كانوا

ثم سافر الى (سابلانغ = ساوجيلانغ) السابعة حالياً (بمهاجاد) ، ونزل في مدرسة الإمام
الإمام محمد الشهير ابن الرسول الذي ^(١) وورد ينبوع علمه ، وأخذ عنه العلوم الرياضية من
الجبر والحساب والهندسة ، ثم أخذ عنه الإجازة العلمية .

رجع المفتي الزهاوي إلى مسقط رأسه السلمانية وتصدى للتدريس فيها ، فعين مدرساً في
مسجد الشيخ عبد الكريم البرزنجي ^(٢) الذي كان مولانا خالد القشبندي مدرساً فيه سابقاً ،
وبعد أن اشتغل فيه بالتدريس مدة من الزمن عزم على ترك السلمانية ، تاركاً منصب التدريس
فيها ، فسافر إلى كركوك وعين مدرساً في جامع (المسلم) وذلك في حدود سنة ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥ م

ساكنين في بلدة سنندج وتواحيها ، منهم العلامة الشيخ محمد قديم هذا أستاذ مولانا خالد القشبندي المتوفى
سنة ١٢٣٦ هـ = ١٨٢٠ م ومنهم أخوه الشيخ سعيد وأبناؤه العلماء الأربعة الكبار وهم : الشيخ عبد القادر
المهاجر شارح تهذيب الكلام ، والشيخ محمد وسيم ومحمد جسيم ومحمد نسيم . ولهم آثار وتآليف كثيرة في علمي
الحكمة والكلام ، ومنهم ابن عمهم الشيخ طه حفيد الشيخ قديم المذكور المهاجر إلى بغداد بعد البيت
السني فيها ، ولقد هاجر قسم من المردوخية في أوائل القرن الحادي عشر إلى (قره داغ) في لواء السلمانية ، ومنهم
الشيخ عبد المظيف الكبير صاحب المؤلفات الشهيرة والنظم الرائقة ، وأعقبوا هناك علماء وفضلاء في كل
علم وفن .

(١) ولد في قرية جوارنا مركز قضاء شهر بازار بلواء السلمانية سنة ١١٨٦ هـ = ١٧٦٧ م وتوفي
سنة ١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م في (سابلانغ) ، قال المفتي الزهاوي : كانت العلوم الإسلامية كره بيد ابن الرسول
يديرها كيفما أراد ، له مؤلفات كثيرة ، منها ترميمه على (أشكال التأسيس) في الهندسة ، ومنها حاشيته
المدونة على (الجعفي) و (البرجندي) في علم الفلك ، ومنها رسالتان في الجبر والهندسة ، ومنها حاشيته
المدونة على (الديلكوتي) وحاشية (الخيالي) في علم الكلام المطبوعة في استانبول سنة ١٢٣٠ هـ = ١٨٨٤ م ،
ومنها حاشيته للمدونة على تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي ، ولوالده رسول الذي أيضاً حاشية مدونة على
التعفة ، وعندي نسخة من هاتين الحفنتين المخطوطتين ، وتوجد في مكتبتي نسخة منها مدونة تعليقات كل من
العلامة الملا يحيى الزوري والسيد بابا رسول البرزنجي عليها أيضاً .

(٢) هنا الفاضل كان من أجلة علماء السلمانية ، ولد في قرية (برزنجي) في حدود سنة ١١٤٠ هـ =
١٧٢٧ م وتوفي سنة ١٢١٣ هـ = ١٧٩٨ م في السلمانية ودفن في القبرة المشهورة باسمه ، قرأ عليه جماعة من
الفضلاء ، مثل ملا إبراهيم الياري والسيد علي البرزنجي قاضي السلمانية ، ومولانا خالد القشبندي وغيرهم ، رثاه
مولانا خالد بنصيدة فارسية بليغة نشرت في ديوانه المطبوع .

محمد فيضي الزهاوي مفتي بغداد

وبقي هناك الى سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م .

وفي سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م سافر إلى بغداد ، وانصل بوالها علي رضا باشا فرأى الوالي فيه شخصية ذكية لامعة ، واسعة الاطلاع لم يشهدا من قبل ، وكان قد بلغه سابقاً صيته في العلوم والآداب ، فدعاه إلى مدينة السلام بغداد ، ووافق على ذلك المفتي ، وكان وروده إليها في أواخر سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م واجتمع بعلمائها وأدبائها ، وحل في قلوبهم محل سويدائها ، قال الأخرس^(١) الشاعر المشهور عند لقائه المفتي المذكور حين وروده بغداد :

أرى في لفظ هذا الشهم معنى ينسبني عن مدى علم عظيم
ومها زدته نظراً بفسكري رأيتُ نهاء فسطاس العلوم

ثم عين مدرساً رسمياً في المدرسة العالية ببغداد ، ومما يؤيد ذلك ما كتبه المفتي بخطه في ظهر كتاب (تحفة المحتاج) لابن حجر المخطوط المحفوظ حالياً في مكتبة الملا محمد سعيد الدهليزي بالسليمانية : (لقد وفقتُ - والحمد لله - على قراءة (كفا) هذا الشرح وتصحيحه الا ما زاغ عنه البصر وزل عنه النظر ، فلقد قبل : أبي الكتاب أن يُصحَّح ، وأنا الفقير اليه عز وجل محمد الشهير بالزهاوي المدرس بالمدرسة العالية) .

ثم تصدر للتدريس فصار رئيس المدرسين في بغداد سنة ١٢٦٦ هـ = ١٨٤٩ م وكان له قبول حسن عند رجال الدولة وعند العلماء والأدباء ؛ ثم وُجسه اليه منصب الإفتاء بالزوراء في مذهب الامام الأعظم سنة ١٢٧٠ هـ = ١٨٥٣ م في عهد الوالي رشيد باشا ، وذلك بعد أن استقال المفتي السابق السيد محمد أمين الزند ، وكان الزهاوي شافعي المذهب ، وفي ذلك قال شاعر المراق المشهور عبد الباقي العمري^(٢) مهتماً المفتي الزهاوي بالإفتاء :

(١) هو عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب ، ولد في الموصل سنة ١٢٢٨ هـ = ١٨١٠ م وتوفي ببصرة سنة ١٢٩٠ هـ = ١٨٧٣ م ، وله ديوان شعر مطبوع .
(٢) هو ابن سليمان بن أحمد العمري الفاروقي الموصل ، ولد سنة ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٨ هـ = ١٨٦١ م وله ديوان شعر مطبوع .

قد قيل لي :- إذ رحتُ أنشد عند ما شهدتُ دينَ محمد يتجدد -
في مذهب النعمان بالزوراء قد أفتى الإمام الشافعي محمد
وقال عبد الباقي أيضاً مهنثاً إياه :

تالله ما غلط الأمين محمد من منصب الافتاء باستمغائه
لكن رآك به حرباً فالتجأ لنزوله بالطسوع من إفتائه

بقي المفتي الزهاوي في منصب الافتاء ثمانياً وثلاثين سنة إلى أن توفي رحمه الله .
إن المفتي تأثر تأثراً خاصاً بنزعة أستاذين من أسانذته كانت لكل منها نزعة خاصة . أولها
الشيخ معروف النودهي ، فقد كانت له نزعة أدبية فائقة وأدت نزعته هذه إلى نظم أكثر
العلوم ، ونظم أسماء الله الحسنى ، ونظم أسماء أصحاب (بدر) وإلى تخميس كثير من القصائد
المشهورة (كالبردة) و (الهمزية) و (المضربة) للبوصيري و (بانت سعاد) لكعب بن زهير ،
و (لامية المعجم) للطبرائي وغيرها .

وثانيها الشيخ محمد قسم الردوخي السندجي ، فقد كان هذا الشيخ مع جميع علماء هذه
الأسرة الشريفة ، كأخيه الشيخ سعيد وأبنائه ، مولعين بصورة خاصة بعلم الحكمة والكلام ،
فانهم مع تبصرهم في جميع العلوم الإسلامية كانوا ميالين إلى هذين العلمين ومهروا فيها بحيث
انحصرت تأليفهم فيها . اقتبس المفتي نزعة أدبية من شيخه الأول ، فكان المفتي شاعراً
وناثراً ، وأديباً ولفسوفاً كما قال :

لور بحسب الحسب المر... علا فوق معالي كنت بالعلم وبالشه... ر على العالم عالي
وأقتبس نزعة كلامية من شيخه الثاني ، فكان عالماً كلامياً ، ومجادلاً قوي الحججة ، عظيم
البرهان ، ذكي الجنان ، لا بلحقه فيها إلا القليلون ، وإنه ما ناقش أحداً إلا أغمه ، ولا جادل
عالماً إلا أزمه ، كما قال :

فسكري دقيق في المعلوم لأنه دارت عليه رحي الجدال منيفاً^(١)

واقتبس باقي المعلوم الاسلامي من شيوخه الآخرين باتقان وإمعان ، فكان يجمع روافد علم وخزانة أدب .

وبالجملة كانت نشأة المفتي في كردستان بلاد العلم والدين والأدب ، وأخذ العلم والأدب عن رجالها المعروفين ، وتثقف بالثقافتين العربية والفارسية ، وعرف لغتهما وأمرارهما فحفظ منها أشياء كثيرة ، كما وعى كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب والفرس وحوادثها حتى صار علماً من أعلامها ودعامة من دعائم آدابها ، ومع هذا فلم يكن منقطعاً للشعر والأدب حسب بل كان يشغل بتدريس المعلوم والافتاء والتحقيقات العلمية كما ذكرنا سابقاً .

إن المفتي لم يكن يحفلُ بقرض الشعر إلا إذا جاشت في نفسه الماطفة القوية ، وسنح لذهنه الخاطر البديع ، ومما سما بشعره وزاد في بهائه وإشراقه أنه لم يكن ينظم إلا لنفسه ، ولا يترجم إلا ما يختلج في صدره ، لذا كان شاعراً مقللاً يقتصر أكثر الأحيان على بيت أو بيتين أو ثلاثة أو أربعة ، إما بالعربية وإما بالفارسية وإما بالسكردية وإما بالتركية ، اللهم إلا أن تبث بعض الأسباب إلى التطويل فكان يطيل نوعاً ما ، ومن أطول قصائده التي عثرت عليها ما نظمها في رثاء الملا سليمان الحضري^(٢) سنة ١٢٦٠ هـ = ١٨٤٤ م وكتبها الملا عبد الله ابن الملا سليمان في ظهر كتاب المطول المخطوط المحفوظ حالياً في كركوك في مكتبة الرحوم الملا علي حكمت . يقول الملا عبد الله قبل كتابة القصيدة : (من بنات أفكار الفاضل اللاوذعي محمد فيضي أفندي الزهاوي المدرس ببغداد مُد ظله في مرثية والدي الرحوم الملا سليمان المتوفى سنة الف ومائتين وستين ، رحمه الله . ثم كتب في آخرها : حرر بقلم الحقيير الأثيم عبد الله الحضري المدرس بقورية كركوك سنة ١٢٦٠ هـ) وهذا هو أصل القصيدة :

ألا إنما الدنيا سجيتهما الغدرُ فليس لغرور بزخرفها عذرُ

(١) في الجمع بين الدقيق والرحي والدوران مراعاة النظير .

(٢) حضر : اسم قرية في ناحية (سهلكاو) في قضاء جم جمال بلواء كركوك .

فطاعها ود وباطنها قلى
ورغبتها غي ورهبتها هدى
وعزتها ذل وفرحتها أسى
وإن سالت لا ينلم الناس بأسها (١)
توالي وتولي النيل كظها وبمسلمه
هواها سبي الألباب وهي قبيحة
مع القبح عمر الخاطبين صداقها
مكارها أضعاف ما يشتهي بها
فحسوسها في الباطن الجوع والظما
سبعنا بأن الحق صر مذاقه
ومشعومها نقي وبشع مذوقها
وانشكو بما ليست بدار قرارنا
فأسعد بمن عنها نرحل سالفاً
وبدل بالفاني الخلد باقياً
كما ارتحل المولى سليمان ذلك الـ
بطول بقاه لم يقصر من التقى
ويشتاق أن لا تغرب الشمس هائماً
وأعلى قصور الخلد أولى بمؤمن
كسطن الثرى نخر على ظهره بما
ورق له حزناً فلو كان ناطقاً

وإدبارها خير وإقبالها شر
وطالبها عبد وهاربها حر
ومحتسبها سقم وثروتها فقر
تزور بأحيان وفي الحال تزور
تعود كعادتي قبل أن يأتي العصر
نعم ما لها حسن ولكن لها سحر
فأهي بالتحسنا ولم ينلها (٢) المهر
فضعف القوى نفع وقوتها ضر
وملحوسها في الظاهر البرد والحر
وعيش الدنيا مع أنه باطل صر
ومبصرها نكر ومسموعها هجر
قراءة اكفار فشكوتنا شكر
من الباقيات الصالحات لها ذخ
له آجلاً أجراً وفي العاجل الذكر
يتقى التقى الزاهد المابد البر
تقوم لياليه تصوم له النهر
ويكره في الإحياء أن يطلع الفجر
له طال في التقوى وفي الطاعة العمر
غدى ثابراً في بطنه ذلك الصدر
رثاء بما لم يرث صخر به الصخر

(١) الخلة : الصحيح « من بأسها » إلا أن باب فرح كثيراً ما يتعدى بحذف حرف الجر .

(٢) الخلة : هكذا ورد . وقد أراد تضمين « ومن يخطب الحسناء لم ينلها المهر » .

وفي لي البسكا في رزته وأمدني
ولو لم يحنني الصبر مت خجالة
خابلي هل قام القيامة إني
وأن ضياء الشمس في قلبها لظي
جاءت بدخان له الشمس سكورت
وأن سكون الأرض نابتة رجفة
وإن بكت الأرض السما في بكاهي
وعاد غزير الدمع من دماً نعم
لئن فات وهو الورد قابله سلماً
أعيذها أن يجسرعا لوفاته
سقت رحمة الرحان قبره دائماً (١)

ليسالي لم ينصر ولم يصبر الصبر
نفذلان صبري في مصيته نصر
يُخيل لي أن السماء بها قطر
وأن نجوم الزهر في كبدها جر
كما انكدرت فيها به الانجم الزهر
وأن الجبال الراسيات لها صر
فأعينها تجري وأدممها قطر
إلى النار يوم الحشر يتقلب البحر
لنساء ذاك الورد بعمده والعطر
فبالصبر في القرآن قد علق الأجر
وآنسه في لحنه المنو والغفر

وله قصيدة عربية في رثاء إسماعيل باشا والي (شهرزور) المتوفى سنة ١٢٩٢ هـ ذكر منها في كتاب (صفحات خالدة من الأدب العراقي) عشرة أبيات فقط لا طجة إلى إيرادها هنا .

إن المفتي كما كان شاعراً في الرثاء والمدح والتعريض ، كذلك كان شاعراً في المناجاة ، والفلسفة ، والإباء ، والنقد لبعض الأحوال الاجتماعية ، والفرام ، والذم ، والشكوى ، والمداعبات ، بل في أكثر المعاني المروفة ، والأفراض المألوفة . فمن مناجاته في بعض خلواته قوله :

يا رب تاهت في ثناك عقول
ماذا عسى فيك المقول تقول
إن الوجود ثني (٢) عليك بأمره
فثناء أهل الفضل فيك فضول
ومن أشعاره في الفلسفة قوله :

(١) المجلة : مكنا ورد الشطر مكسوراً .

(٢) المجلة : مكنا ورد العواب « أني » .

نحمد الخصال

وفوارة تروي عن الماء شيخها
لَمَنْ يَتَعَدَّى الطَّوْرَ مِثْلِي مَبْتَلًى
حديثاً صحيحاً مسنداً ومعتمداً^(١) :
بذل ونكس ليس يسلم من عفا
ومنها قوله :

مَنْ سَارَ يَمْشِي بِالْمَسَارِ مِنْ كَبَرٍ
أَعْنِي الَّذِي عَلَى ثَلَاثِ أَرْجُلٍ
آنَ أَوَانُ أَنْ يَصِيرَ رَاحِلاً
يَمْشِي عَلَى الْأَرْبَعِ يَمْشِي عَاجِلاً
ومنها أيضاً قوله :

مُعْظَمُ خَلْقِ اللَّهِ فِيهِمْ مَعْرُوفٌ
لَهُذَا تَحَاذَى بِالْعِيسَى النَّظَافِرُ
أي إن الذي ينظر إلى المخلوقات بنظر الاحترام سوف يلاقي منهم الاحترام ، ألا ترى أن
المنظار يُحترم دائماً ويوضع على العيون لأنه يعظم الأشياء ويكبرها . وعندي أن هذا المعنى

(١) الفوارة : منبع الماء ، وهي بحسب العرف أنبوب ينصب في وسط الحوض مرتفعاً عن سطح الماء
لسكي بفور منه الماء ساعداً . تروي : بالفتح من روى الحديث رواية نقله ، والرواية نقل الخبر عن العبد
حتى ينهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابي رضي الله عنه . الراوي : الذي يروي الحديث عن
غيره كالشافعي يروي عن مالك رضي الله عنهما . الشيخ : الذي يروي الحديث لغيره أو يلقبه عليه . الحديث :
قول النبي أو فعله . الصحيح : من الحديث ما اتصل بإسناده بأن يكون كل من رجاله سمع ذلك المروي منهما
روي عنه وأن يكونوا كلهم من الدرجة الأولى في العدالة والضبط ، وأن لا يكون فيه شذوذ ولا إعلال .
السند : هو ما أُصِيفَ إلى النبي بذلك روايته . المعنعن : ما دخل في إسناده كلمة (عن) ، ثم إن في الجمع
بين الحديث والرواية والشيخ والصحيح والسند والمعنعن مراعاة النظر ، كما أن في كلمة (تروي) إيهام
التناسب ، ذلك لأنها ولدت بين كلمتي (الفوارة) و (الماء) وهو الأمر الذي يوهم في بادئ الأمر أنها بالضم
من الأرواء المناسب لسابقه ولاحقه ، ومن البديع أن في آخر البيت الثاني مع آخر البيت الأول جناساً ملفقاً .
ويمعيني في وصف الفوارة ما قاله الشاعر (عبد علي) ابن ناصر الشهيد بأبي رمة الحوزي في كتابه الكبير
المخطوط : (السيرة المرضية) الموجود بخطه في مكتبي ، الذي يبحث عن الحوادث التاريخية والوقائع الجارية
في عهد والي البصرة علي باشا ابن أفراسياب باشا من سنة ١٠٣٣ هـ إلى سنة ١٠٥٤ هـ ويلقي الضوء على
عشرين سنة من الفترة المظلمة في أهم جزء من أجزاء العراق حيث قال :

رَأَيْتُ فَوَارَةَ فِي مَسَرِّلِ خَسْرٍ
تَبْكِي عَلَيْهِ بِسَاءِ الْعَاشِقِ التَّمَلُّلِ
تَذْهَبُ الرِّيحُ إِذَا هَبَتْ مَدَامَعَهَا
عَلَيْهِ حَتَّى تَرَوِي الْأَرْضَ بِالْبَلَلِ
هَبَّهَا يَكْشُهُ أَمْسَى لَكِنْ مَقْلَبُهَا
(لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرَفْ دَمْعاً عَلَى طَلَلِ)

غير مسبوق إليه .

ومنها أيضاً قوله :

لقد حُرم الأُملاك نيل خلافة

فما لهم ذنب سوى عدم الذنب

ومنها أيضاً قوله :

حفيدنا من أبنينا أحبُّ

الإبن قشر والحفيد لبُّ

ومن أرقامه في نقد بعض الأحوال الاجتماعية قوله في صورة الارشاد والموعظة مع شيء

من الاقتباس :

لا تدعُ في حاجة بازاً ولا أسداً

الله ربك لا تشرك به أحداً

يتبين من هذا البيت أن المفتي كان موحداً من أعماق قلبه بحيث لا يشوب إيمانه أدنى شائبة

من شوائب الاستغاثة بغير الله .

وللمفتي كثير من الأُسمار في نقد بعض الأحوال الاجتماعية وخاصة في قصيدته الفارسية

وباقى أرقامه الأخرى التي أوردناها في كتابنا الكردي (مفتي زهاوي) فلتجزي هنا

بهذا القدر .

يستنتج من هذه النقديات أن المفتي كان متأثراً ببيئة الذي عاش فيه ، وكان ناقماً على بعض

الأحوال الاجتماعية وربما بها وذلك مما جعله يشب قبل أوانه ، كما قال مع شيء من الاقتباس :

شيبَ رأسي في شبابي لا تمدوه تحبباً

إن هذا اليوم يوم يجعل الولدان شيباً

وجمله يعني الموت لكي يتخلص من هذه الدنيا المملأى بالنعصص والاكدار .

وللمفتي كثير من الأُسمار الغرامية الرقيقة تمتاز بعمان رائقة ، وألفاظ موسيقية ، وله أُسمار

في الطمن ، وأسلوبه فيه أسلوب حاد صريح ، فمثلاً يقول في الطمن على العالم الكبير (نصيرالدين

العلومي) صاحب كتاب (التجريد) في علم الكلام :

يا جامعاً بالسوء حسن كتابه

هلا خشيت عليك سوء الخاتمه

جمع النصير الحسن في تجريده

لكنه بالسوء أمسى خاتمه

ومن مداعباته أن الثلج أخذ يتساقط في الليلة التي كانت تسقط فيها الجردة الثالثة وفي صباحها قال المفتي مداعباً :

قالوا للمها قد أسقطت جراتها صدقوا وهذا الثلج بعض رماها
وللمفتي أشعار كثيرة أخرى قالها ارتجالاً بمناسبة خصوصية ، منها أن ابنه
جميل صدقي الزهاوي الذي كان يحبه حباً جماً لسكونه ذكياً وأديباً ومنكثاً ، ولسكونه أصغر
أبناءه ، ترك مجلس والده مدة من الزمن ، وكان يتردد الى مجالس جماعة من ذوي الشخصيات
الأخرى ، فتأثر المفتي من ذلك ، وكتب اليه مرة يدين فارسيين ذكرناهما في الكتاب الكردي .
ومنها أنه قُتل في بغداد القاضي الثاني المدعو (نجم الدين) ضجوة نهار الثلاثاء الحادي عشر
من ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ م وقد أحدث قتله ضجة عظيمة وأسفاً عميقاً في جميع
أوساط بغداد ، وذهب المفتي الى مجلس الفاتحة ، فقال عند دخول المجلس :

يا له من نجم سمد أفلا أفلا نبكي عليه أفلا ؟
ومنها قوله في جماعة من الحساد المعاصرين الذين حسدوه على ساعة ذهب أهداها اليه والي
بغداد (مدحت باشا) مع الاقتباس :

من ساعة أعطيتُها قد زلزلوا « زلزلة الساعة شيء عظيم »
إن المفتي كما كان شاعراً ، كذلك كان ناثراً أيضاً ، غير أنه كان يلتزم السجع ، ومن رسائله
ما كتبه من بغداد الى العلامة أبي الشناء الألوسي في استانبول ونقلها السيد الألوسي في كتابه
(غرائب الاغتراب) بحذفها فلا حاجة الى ذكرها هنا .

ومن نثره ما كتبه تقریظاً للقصيد الرائية لعبد الباقي أفندي العمري للمار ذكرها ، التي
قرضها بقصيدته السابقة ، ولقد نشر هذا التقریظ في ديوان عبد الباقي .

كان المفتي متوقفاً ذكاء ، متين الحافظة ، حاضر الجواب ، سريع الخاطر ، إذا نظم أطرب ،
وإذا نثر أعجب ، وكان مع الأديباء ذا فنون ، ومع الظرفاء ذا مجون ، ومع العلماء بجرأ لا يدرك
غوره وقعره ، وكان يجلس في مدرسته نهاداً ، وفي داره ليلاً ، ويضم نأديه مختلف الثقافات ،

ويحاطب جلساءه بلغاتهم ، فيتكلم معهم تارة بالعربية ، وأخرى بالفارسية ، وآونة بالكردية أو التركية ، فلا تجد أحداً إلا كان مإدحاً لأدبه ، ومكبراً لعلمه ، يقول (ملك الكلام) في كتابه المخطوط (سفرنامه) : « ما رأيت من العلماء أفصح وأبلغ وأجمع للفضائل من المفتي الزهاوي » . وكان يجتمع عنده العلماء والأدباء والشعراء يسمرسون السمر اللذيذ ، ويتحدثون الحديث اللطيف ، وكان له من الكلمات المستملحة والطرائف الأدبية والطرائف الشعرية والنثرية ما لو جمعت لكات نروة أدبية خالدة . ولكن يا للأسف كان نسيبها الضياع والتلف ، ولم يبق منها إلا النزر اليسير .

وكما كان المفتي شاعراً وعالمياً وأديباً ، كذلك كان خطيباً أرتجالياً مفوهاً ، قوي الحافظة ، متوقد الذكاء . يروي أنه عندما عزل السلطان مراد ، وجلس مكانه السلطان عبد الحميد وردت برقية سرية بهذا الصدد إلى والي بغداد ، وعلى أثر ذلك دعا والي كافة الأمراء والمعلماء والوجهاء وفاجأهم بالخبر ثم التفت إلى المفتي وطلب منه أن يلقي بهذه المناسبة خطبة ، فنهض من مكانه حالاً وألقى خطبة بليغة تناسب المقام ، استهلها بقوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إلك على كل شيء قدير » وبذلك بهت الحاضرون كأنهم لم يسموا هذه الآية الكريمة من قبل .

ويروي أيضاً أن خطيب جامع الخفافين مرض ذات مرة وكاف أحد طلابه أن ينوب عنه لقراءة خطبة الجمعة ، وكان المفتي يؤدي دائماً صلاة الجمعة في الجامع المذكور ، وفي سبحة يوم من أيام الجمعة التي قرر فيها الخطيب أن يخطب فيها بنفسه زاره عبد الباقي أفندي العمري ونهاه عن ذلك بحجة أنه بحاجة ماسة إلى الاستراحة لمدة أسبوع آخر ، فوافق الخطيب عليه ، وكاف أحد الحاضرين بإعلام الوكيل ، فتمهد عبد الباقي به ، إلا أنه لم يخبر الوكيل عمداً ، وكان يقصد بذلك أن لا يحضر الوكيل فيضطر المفتي حيثذاك إلى إلقاء الخطبة بصورة إضطرابية وارتجالية من دون سابق علم ، معتقداً أنه غير قادر على القيام بهذه المهمة ، وعلى أثر ذلك دعا كثيراً من الشخصيات البارزة لأقامة صلاة هذه الجمعة في الجامع المذكور ، فاجتمع فيه خلق كثير من

الوجهاء والأدباء، وحضر المفتي على عادته وكان غافلاً عن كل ما دبر عليه، وبعد الأذان انظر الحاضرون كثيراً فلم يحضر الخطيب، وحينئذ طلب عبد الباقي من المفتي أن يلقي الخطبة تكابة به، فتنبه المفتي ونهض حالاً وألقى خطبة ارتجالية بليغة بحث فيها عن الدنيا وزوالها، وفي أثنائها أشهد هذين البيتين لابن العربي واستشهد بهما وهما:

رأيت خيال الظل أكبر عبرة إن كان في علم الحقيقة راق

شخص وأشباه تمر وتنقضي وتبقى جيماً والمركب باقي

وكان المفتي يشير بيده إلى عبد الباقي العمري.

على أن قيمة المفتي ليست في شعره أو نثره أو خطاباته، بل إنما هي في علمه، فانه كان منار العلم وعلماء من أعلامه، نشر العلم في أوساط رفيعة، وأرجاء فسيحة، وأسس نهضة علمية عميقة وأذاق طلابه معنى التحقيقات والتدقيقات العلمية والفنية، وصرتهم على جودة الاحتراز وحل المشاكل العلمية، بحيث انتهت إليه في بغداد رئاسة العلم والتدريس والافتاء والمخاطرة، فقدرع فيها وساد أقرانه، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقاد، وعلمه الواسع، وسرعة الحافظة، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يسمع شيئاً لا يحفظه، ولم يكن قط يحفظ شيئاً فينساه. وله في المحافل حتى الآن مباحث مشهورة، وفي المجالس والشاهد كلمات مأثورة.

نظر في العقليات وعرف أقوال المتكلمين، وأحاط بأدابهم وبأسرار كلامهم، وبرع في جميع العلوم الإسلامية، ولا سيما علم الكلام والجدال، وكان يفوق أقرانه ويبرز على أهل زمانه، وقد جادل كثيراً من علماء إيران ومجتهديها، وكان النجاح حليفه دائماً، وكان ينصر السنة بدلائل ساطعة وبراهين قاطعة، وكان ولاية بغداد كثيراً ما يقيمون حفلات عامة لهذه المناقشات العلمية، وكانوا ينصبون سرادقات ويجمعون حشداً كبيراً من العلماء والأمرء والأدباء وذلك بمناسبة مجي، عالم، وفاضل أو مجتهد إيراني إلى بغداد ليدخلوا مع المفتي في المناقشة الذهبية، وكانت مناقشاتهم تستمر ساعات، وكان المفتي دائماً يخرج منها ظافراً، ولم يكن قط يخاف في الله لومة

لائم، ولا حيلة صائل كما قال :

إنا نقول الحق بالمحافل ونبطل الباطل بالدلائل
ولا نخاف لومة من لائم ولا نهاب صولة من صائل

وبالرغم من هذه المكانة العلمية السامية والمعلومات الواسعة التي يتحلى بها المفتي ، وبالرغم من هذا العمر الطويل الذي امتد نحو قرن واحد ، فهو لم يؤلف كتاباً يليق بمكانته الرفيعة ، وذلك لأمور منها ، أنه كان يعتقد أنه لا جديد في الدنيا ، وأن كل ما يكتب ويؤلف تكرر محض ، ومنها ، أنه كان يعتقد أن العلم مكنوز في خزائن السكتب ، وأن العلم هو فهم ما تركه السابقون وما على العلماء إلا الكشف عن هذه الكنوز بالبحث والدرس . ومنها ، أنه كان متهمكاً في التدريس وفي صرف ما وسعه لتنشئة العلماء والأدباء والمدرسين ، وكان يعتقد أن تأليف كتاب من العلماء ، أي تلميذهم ، أحسن بكثير من تأليف مئات كتب تبقى مهجورة في زاوية السكتات ، كما قال :

عاق تدريسي عن التأليف لكن ما أنا من فضل ربي متأسف
من تلاميذي ألفت كتاباً كل سطر منه في العلم مؤلف

نعم ، إن المفتي ترجم كتاب المكتوبات للإمام الرباني من الفارسية إلى العربية ، وهو كتاب كثير الصفحات واسع الأبواب والفصول ، يل بحر زاخر في علم التصوف والكلام ، يبحث عن مراتب التصوف وأحوال الصوفي ومقاماته المعنوية باصطلاحاتهم الخاصة وتعاييرهم الرقبة الغامضة ، واقد أبدع في الترجمة أي إبداع إذ قام بترجمة النثر بالنثر والنظم بالنظم على أحسن ما يراد .

كان المفتي الزهاوي صحيح البنية ، رفيع القامة ، كبير الهامة ، واسع العينين ، عريض الصدر ، قوي الأعصاب ، جميل الصورة ، لطيف الشكل في رقصة ألفاظ ، وعذوبة كلام وفصاحة وبيان .

محمد الخليل

ولما بلغ التسعين من عمره نظر يوماً في المرآة ، فرأى فيها شيخاً طاعناً في السن رقيق جلد ،
ووهن عظمه ، واشتعل رأسه شيباً ، ونحارت قواه ، عليه آثار الشيخوخة ، وعلائم الوداع
الأخير من الدنيا الغافية ، وتذكر بهذه المناسبة الحياة وملاذنها الصيبانية وقال :

بان لي في المرآة شيخ كبير عاش حتى تعرف الأحوال
قلت كم عشت ؟ قال تسعين عاماً قلت ماذا فعلت فيها فقال :
أكلت دفتها فضلات وشرباً أرقمتها أبوالا
وثياباً لبستها فاخرات جُدداً ونزعتها أسبالاً (١)

والحق أنه صور لنا في هذه الأبيات الأربعة لوحة طريفة ، وصورة دقيقة للحياة الدنيا .

إن المفتي عاش قرناً تقريباً ، خدم فيه العلوم الإسلامية ، والأدب العربي بشمره ونثره ، ونشر
فيه ألوية التدريس في السلطنة وكر كوك وبغداد حوالي ثلاثة أرباع قرن ، وتخرج من مدرسته
مئات العلماء والأدباء والمؤلفين والمؤرخين ، كما ولي الافتاء في بغداد مدة ثمان وثلاثين سنة
متوالية ، دافع فيها عن الإسلام والمسلمين دفاع الأبطال ، وجاهد في سبيل الحق ، وكافح أهل
البدع ، ولم يخف في الله لومة لائم ، فلا بدع أن قلنا إنه كان من أعلام مجدد القرن الثالث
عشر الهجري في التدريس والافتاء ونشر الثقافة الإسلامية ، ولم يزل في هذه الخدمات العظيمة
حتى تاهز المائة وأقدمه الدهر الذي لا يرحم أحسداً ، وفي آخر أيام حياته أصيب بوعكة ألمت به
أياماً قليلة ، وفي ليلة الاثنين ثالث جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م أسلم روحه
الطاهرة لبارئها ورجعت الى ربها راضية مرضية ، فاهتزت بغداد لموته ، وحضر تشييع جنازته
الوالي والمشير ، واحتشد آلاف من الأشراف والأعيان ورجال العلم والفضل والأدب ،
ودفن في مدرسته المشهورة بالمدرسة السلطانية .

(١) إن الشاعر جميل صدي الزهاوي ضمن أشعار والده هذه في قصيدته طويلاً ، يقول بعد البيت الرابع :

كل شيء مع الجديدين يعني ثم يبقى جلال ربنا فتعالى (كذا)

محمد فيض الزهاوي مفتي بغداد

مات المفتي وهو تقي تقي زاهد عابد ورع غيور على العلم والعلماء ، ورثاء كثير من
الأدباء والفقهاء ؛ منهم الوزير (سري باشا) في مجموعة تسمى (نظائر مجموعة) يعني
مجموعة الخطب ، ومنهم السيد أحمد الراوي الواعظ المشهور بابي الحلق الذهب ، ومنهم
السيد عبد الوهاب أفندي المسائب ، ومنهم العالم السيد عرقان أفندي المدرس
بمدينة السلطانية ما

محمد الخال

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

يُعد كتاب « أصول الهندسة » لأقليدس من أعظم الكتب المدرسية Text Books ، التي أثرت في تطور الرياضيات منذ حدود عام ٣٠٠ ق.م حتى اليوم . ومن العمومية بمكان أن نأني بمُثُل كثيرة على هذا النوع من الكتب التعليمية . فلو عددنا هذا الكتاب مثلاً من المصور القديمة ، لأمكن أن نعد كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي مثلاً من المصور الوسطي ، لأن منه نشأ اسم الجبر ، وانتشر موضوع الحساب الجبري . أما في المصور الحديثة بعد أن نشأت الحضارة الغربية ، فقد يختار المرء ما بين كتاب « الهندسة » لديكارث الذي أنبثت منه الهندسة التحليلية أو كتاب « الأسس Principia » لنيوتن الذي نجد فيه أول تصميم دقيق للكون ، وكتاب « البحوث » لسكاوس الذي نشره يوم كان في الرابعة والعشرين من عمره وتعرض فيه لخطوط الرياضيات العريضة ؛ أو ربما اختار كتاب « مقدمة في الجبر » لأويل الذي فيه خرج الجبر بالتجليل الرياضي فأقسم الثماني بضبط الأول وهكذا ولد التحليل الحديث . ويمتاز كتاب « الأصول » عن كافة هذه المكتب بكونه أول كتاب نجد فيه روح البرهنة الرياضية السليمة ، التي أصبحت فيما بعد ، منارةً للأظمة المنطقية في كثير من فروع المعرفة . فالفيلسوف سبينوزا مثلاً يحاول - في كتابه « الأخلاق » - أن يسرد مناقشاته وحججه الفلسفية بشكل نظريات مبنية على الفرضيات والتعاريف ومتراصة فيما بينها ترابط القضايا الهندسية المعروف لدى كل من درس مبادئ الهندسة المستوية . لذا أرى من المناسب أن أقف قليلاً عند كتاب « أصول الهندسة » لنعرف منشأه ومحتوياته وترجماته وأثره .

لا يُعرف على وجه التحديد متى نُشر هذا المؤلف ، كما لا يعرف شيء عن مولد مؤلفه

نظريّة التوازي وأثر العرب فيها

أقليدس أو موته . وكل الذي نعرفه أن إقليدس نشر كتابه هذا في حدود عام ٣٠٠ ق.م في مدينة الاسكندرية بمصر . فقد عاش إقليدس معظم حياته أستاذاً بجامعة الاسكندرية ، ولا نعرف له من المؤلفات شيئاً آخر . ولم يصل إلينا عنه أنه ابتدع هذه النظريات الواردة في كتابه ، لا بل إن قسماً كبيراً من المؤرخين لا يمتنونه بأكثر من جامع ومرتب ومنسق للمعلومات المذكورة فيه . ولكن الانصاف يجعل ذوي الأغلبية من الكتاب يشيدون بفضل في هذا العمل الأول من نوعه ، وهو الذي أصبح في أكثر من ألفي سنة كتاباً مدرسياً يستعمل في مدارس أوربة وأفريقية وآسية وحتى أمريكا ولو لوقت غير قصير . ويلاحظ أن الكتاب الأصلي بلغته الإغريقية لم يُتداول كثيراً منذ زمن بعيد ، وأن أقدم نسخة المتداولة هي ترجمته العربية . ولقد جاءت تراجمات عربية عديدة لهذا السيفر الذي يرجع إلى نصير الدين الطوسي ويوحنا القيس وثابت بن قرة والجوهري وغيرهم . وأقدم ترجمة الطوسي من أشهرها ولذلك سنعوّد إليها فيما بعد .

أما ترجمة هيث الإنكليزية التي نشرها في حدود سنة ١٩٢١ ، فقد نقلها عن الإغريقية مع شروح وافرة ومقارنة مسهب فيها بالتراجم العربية . وقد نشر هذه الترجمة في ثلاثة أجزاء . تعتبر تحفة كلاسيكية رائدة في تاريخ الرياضيات .

إن أول ترجمة إنكليزية هي التي كان قد قام بها إدوارد الباتي عن نسخة عربية وجدها في قرطبة . أما ترجمة هيث فهي أدق التراجم على العموم وأوثقها وأكثرها شيوعاً ، ولذلك سنرجع إليها دون غيرها كلما اقتضت الضرورة ذلك .

محتويات « الأصول » :

لقد بنى إقليدس « أصوله » على التعاريف والفرضيات كما يجب الحال مع أي نظام منطقي سليم . ومن دون الفرض لا يمكن البرهان ، لأن الإثبات المنطقي لا بد أن يرتكز على نقطة ابتداء مفروضة بغير مناقشة . وإلا فالحلقة المفرغة لا مناص منها . ووضع إقليدس إلى جانب

بعض التعاريف المتمثلة بالنقطة والخط والمستوي وحسود الخط والمستوي ، وكذلك الزاوية وأنواعها والأشكال وأجزائها ، عشر فرضيات استند إليها في اشتقاق نظريات الهندسة الاقليدية المعروفة ، ووضع هذه البديهيات في مجموعتين : الأولى سماها بالمفاهيم العامة Common notions والثانية دعاها بالبديهيات أو الصادرات Postulates كما أطلق عليها العرب الأقدمون .

وتتألف المفاهيم العامة من خمس فرضيات هي :

- ١ — الأشياء المتساوية لشيء واحد متساوية فيما بينها .
- ٢ — إذا أضيفت كميات متساوية الى أخرى متساوية تكون النتائج متساوية .
- ٣ — إذا طرحنا مقادير متساوية من أخرى متساوية تكون البواقي متساوية .
- ٤ — الأشياء المتطابقة متساوية .
- ٥ — الشكل الأكبر من جزئه .

وأما الفرضيات الهندسية فمدها خمس أيضاً وهي :

- ١ — من الممكن التوصل بين أي نقطتين بخط مستقيم .
- ٢ — يجوز مد قطعة المستقيم من جهتها إلى غير حد .
- ٣ — يمكن رسم الدائرة إذا علم مركزها ونصف قطرها .
- ٤ — جميع الزوايا القوائم متساوية .
- ٥ — إذا قطع مستقيمان بمستقيم ثالث بحيث كان مجموع الزوايتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع أقل من قائمتين فإن المستقيمين يتلاقيان في تلك الجهة من القاطع إذا مَدّا إلى غير حد .

وبعد أن قدم أقليدس هذه الفرضيات ، بدأ باشتقاق نظرياته الواحدة بعد الأخرى . ولسبب ما أراد أقليدس أن يعرف الى أي حد يستطيع أن يسير بالمفاهيم والفرضيات التسع الأولى ومن دون الفرضية العاشرة التي أطلق عليها اسم الفرضية الخامسة أو فرضية التوازي . وقد توفق في اشتقاق ٢٨ نظرية فقط دون أن يلجأ الى استخدام بديهية التوازي هذه . ومن بين هذه

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

النظريات ، النظرية ١٧ وتنص على أن مجموع أي زاويتين في مثلث أقل من قائمتين ، وهي مكموس الفرضية الخامسة . أما نظرية ٢٧ فتقول بأنه إذا قُطع مستقيمان بمقاطع وكانت الزاويتان المتبادلتان الداخليتان متساويتين ، توازي المستقيمان . ومن الجدير بالذكر أن نقول إن أي مستقيمين ، على رأي أفليدس ، إما أن يتقاطعا فيكونا متقاطعين وإما أن لا يتقاطعا فيكونا متوازيين ، ولا ثالث لهماذين الاحتمالين . أما نظرية ٢٨ فتتنص على أنه إذا قطع مستقيمين مستقيمين وكانت الزاويتان الداخليتان الخارجيتان والواقعتان على نفس الجهة من المقاطع متساويتين ، أو كان مجموع الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من المقاطع يساوي قائمتين ، يكون المستقيمان متوازيين .

ومن السهل استخراج هاتين النظريتين ومن غير استعمال الفرضية الخامسة . أما لماذا تجنب أفليدس فرضية التوازي في البرهنة على نظرياته الثماني والعشرين الأولى ، فسيبقى ذلك لغزاً غير قابل للحل من الوجهة التاريخية . فقد يكون سببه نفسياً أو منطقياً أو فلسفياً . والذي يمكننا أن نقره : هو أن أفليدس لم يستعمل بديهية التوازي إلا في البرهان على نظرية ٢٩ وأنه لم يحاول أن يبرر هذا العمل بأي شكل من الأشكال ، مع العلم بأن عمله هذا لا يتطلب التبرير من الوجهة المنطقية البحتة .

وتنص نظرية ٢٩ من كتاب « الأصول » على ما يلي :

إذا قُطع مستقيمان متوازيان بمقاطع فإن الزاويتين الداخليتين المتبادلتين متساويتان ، والزاويتين الخارجيتين الداخليتين متساويتان ، وكذلك مجموع الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من المقاطع يساوي قائمتين .

وبدلاً من أن أسرد برهان أفليدس لهذه القضية الذي في استطاعة الفرد أن يذكره بسهولة، سأنتقل إلى تحليل الوضع الذي ترنّب على هذه النظرية واستعمال بديهية التوازي في إثباتها .

فرد البداية وعتب أفليدس مباشرة ، لم يرنح الرياضيون المهندسيون لعمل أفليدس هذا ، ولذلك حاولوا أن يجدوا له بديلاً يرضون عنه . وبإمكاننا أن نحدد موقف هؤلاء بواحد من

الأوضاع الآتية :

(١) اعتقد قوم أن فرضية التوازي ليست فرضية بحق ، وكان أولى بأقليدس أن يستنتجها من بقية فرضياته التسع ، وبذلك يضعها في قائمة النظريات . وهكذا حاول قسم غير قليل من الرياضيين أن يقوم بهذا العمل الذي لم يفعله أقليدس .

(٢) وظن قوم آخرون أنه في الإمكان البرهنة على نظرية ٢٩ من دون استخدام فرضية التوازي ، فان صح ذلك فستصبح هذه الفرضية لأعمل لها من الاعراب .

(٣) وحاول قسم ثالث من علماء الرياضيات أن يفيد من نقيض فرضية التوازي ، لاثبات الفرضية نفسها ، وذلك بواسطة خلاف الفرض أو الطريق غير المباشر في البرهان . وهكذا فقد أضاف هؤلاء الناس منقوض الفرضية العاشرة الى الفرضيات التسع ، واستمروا على اشتقاق نظريات جديدة عليهم يقومون على تناقض في النتائج أو تضارب في النظريات ، وبذلك يبررون صحتها ويثبتون في عين الوقت إمكان أستخلاصها . ماذا كانت النتيجة ؟

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال ، نود أن نشير ، ونحن في هذه المرحلة ، الى أن فرضية التوازي من بين الفرضيات الأخرى لا يمكن تحقق صحتها أو خطأها بصورة اختبارية إن نحن مثلنا الخط المستقيم بشمع من الضوء أو بخيط رفيع مثلاً . والمهم في هذه البديهية أنها تخص المستقيم بكمال طوله إذا تصورناه يمتد الى غير حد في طرفيه ، لأن قولنا : إن مستقيمين متوازيين ، إنما يعني أنها لا يلتقيان مهما أمتدا . ومن الواضح أن هنالك مستقيماً عديدة تمر من نقطة معينة ولا تقطع مستقيماً مُعطى ضمن أية مسافة ثابتة محدودة ، مهما كانت كبيرة . وبما أن الطول الأعظم الممكن أن تأخذه مسطرة حقيقية أو يأخذه خيط رفيع أو حتى شعاع الضوء الظاهر من خلال تلسكوب هو من المؤكد محدود ، وبما أنه من الممكن رسم ما لانهاية له من المستقيمت داخل أية دائرة محدودة من نقطة معينة بحيث لا تقطع مستقيماً معيناً داخل الدائرة ، فمن الواضح أن هذه الفرضية لا يمكن تأكيد صحتها بالاختبار العملي أو التجريبية . ولذلك فهي تختلف عن سائر فرضيات أقليدس التي تمتلك جميعها طابعاً محدوداً بسكونها تتعلق بأجزاء محدودة من المستقيمت

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

وبأشكال مستوية محدودة الامتداد . ولأن هذه الفرضية لا يمكن تحقّقها بالاختبارات العملية ،
يملكنا الشك فيها إن كانت قابلة للاستنتاج من بقية الفرضيات .

ولسكنها نعود إلى شرح بعض المحاولات المديدة التي بذلها رياضيون كفاءة في حل مغالقة هذا
السردفين وبطرق عظيمة متنوعة لمدة تزيد على ألفي سنة ، يحسن بنا أن نتذكر بعض العبارات
الهندسية المكافئة لفرضية التوازي التي يحق لنا أن نستفيض بها عن هذه الفرضية متى شئنا
ذلك . يقال لفرضية ف ١ إنها تكافئ الفرضية ف ٢ بوجود نظام من فرضيات أخرى ط إذا
كان ط + ف ١ يؤدي إلى استنتاج ف ٢ وكذلك ط + ف ٢ يؤدي إلى استنتاج ف ١ . وبهذا
المعنى نستطيع أن نثبت أن أيّاً من العبارات الآتية يكافئ فرضية التوازي :

(١) لا يمكن رسم أكثر من مواز واحد لمستقيم مفروض من نقطة خارجة عنه .

(٢) مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين .

(٣) البعد بين مستقيمين متوازيين ثابت لا يتغير .

(٤) إذا قطع مستقيم أحد مستقيمين متوازيين فإنه يقطع الآخر .

(٥) المستقيمتان الموازيان لنفس المستقيم تكونان متوازيتين فيما بينهما .

(٦) يوجد زوج من المثلثات المتشابهة .

(٧) من الممكن إمرار دائرة بثلاث نقاط لاتقع على استقامة واحدة .

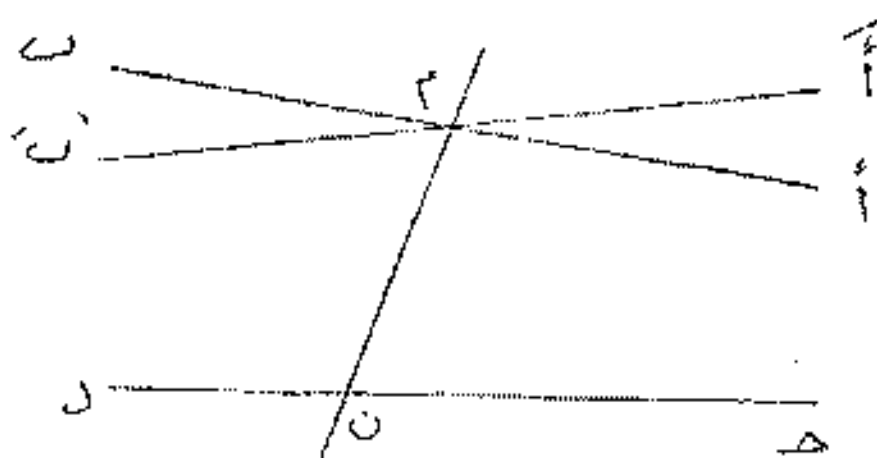
(٨) إذا احتوى الشكل الرباعي على ثلاث زوايا قوائم فإن زاويته الرابعة تكون قائمة أيضاً .

هذه هي أشهر النظريات التي تكافئ بديهية التوازي الاقليدية ، وهي جزء صغير من عدد

ضخم لهذا النوع من العبارات الهندسية . وكمثال ، دعنا نثبت العلاقة التكافؤية ما بين فرضية

أقليدس والعبارة الأولى في القائمة المذكورة أعلاه والسماة بفرضية بليفيير ، التي تنص على عدم

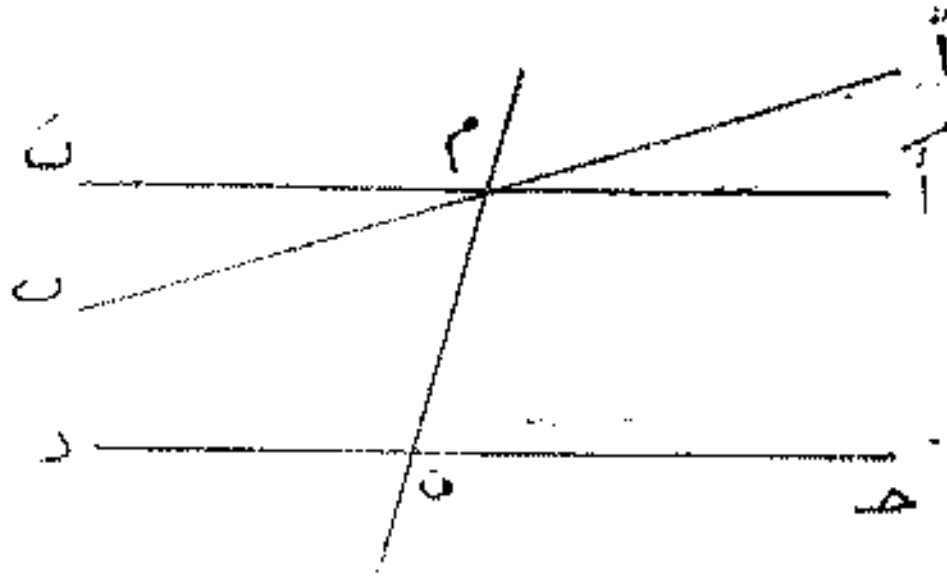
إمكان رسم أكثر من مواز واحد لمستقيم من نقطة خارجة عنه .



(الشكل ١)

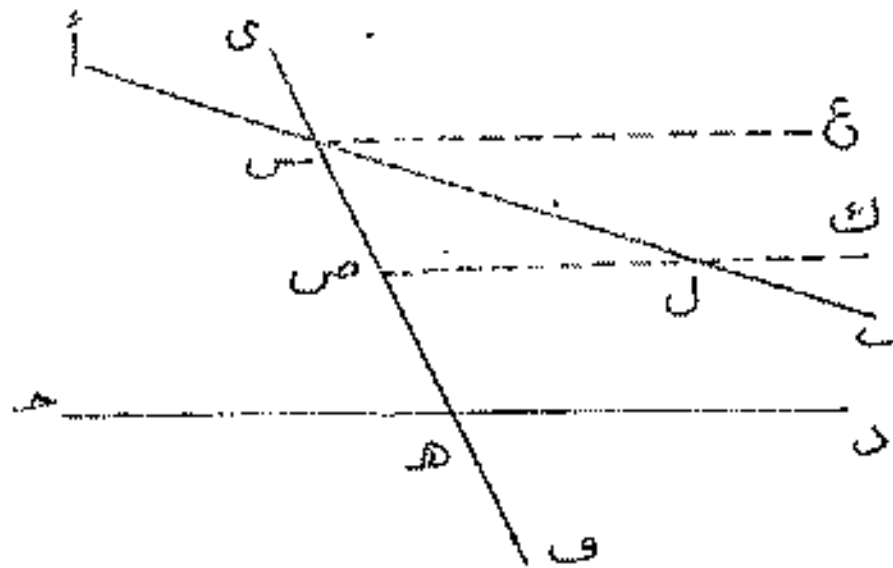
نفترض أن AB ، CD مستقيمان وقد قطعنا بالمستقيم MN بحيث كان مجموع الزاويتين AMN ، CNM أقل من قائمتين . سنثبت أن AB و CD يتلاقيان في هذه الجهة من القاطع MN . من نقطة M ، ارسم AB' بحيث يكون مجموع الزاويتين AMN ، CNM AB' يساوي قائمتين . فبموجب نظرية ٢٨ من « كتاب الأصول » يكون أن موازياً للمستقيم CD (الشكل ١) . فلو افترضنا عدم إمكان رسم أكثر من مواز واحد للمستقيم CD من نقطة M — حسب فرضية بليفيير — كان عند ذلك واجباً أن يلاقي المستقيم AB' المستقيم CD ، وبذلك ثبتت فرضية أقليدس الخامسة . ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن تلاقي هذين المستقيمين يجب أن يكون في الجهة التي فيها مجموع الزاويتين الداخليتين أقل من قائمتين ، وإلا تكون مثلث فيه الزاوية الخارجية أقل من واحدة من زاويتيها الداخليتين ، وهذا مناقض لنظرية ١٦ من « الأصول » . ومن أجل أن ثبت العكس وهو استخلاص نظرية بليفيير من فرضية أقليدس ، نفترض أن AB ، AB' موازيان للمستقيم CD من النقطة M (الشكل ٢) .

أي مستقيم MN يمر من M ويقطع CD يحدث زاويتين مجموعهما قائمتين . لذلك فكل من زاوية AMN + زاوية CNM ، زاوية AMN + زاوية CNM ، يساوي قائمتين ، وهذا تناقض فيجب لذلك أن ينطبق المستقيم AB على المستقيم AB' ، وبذلك يتم المطلوب . اذنت فرضية أقليدس وبديهية بليفيير متكافئتان من الوجهة المنطقية .



(الشكل ٢)

ولننظر الآن في علاقة فرضية أقليدس بالعبارة التي تنص على « وجود زوج واحد من المثلثات المتشابهة » وهي المسماة بفرضية جون والس . أما أن هذه العبارة يمكن استنتاجها من فرضية أقليدس في التوازي فهو أمر معروف عند كل من درس مبادئ الهندسة المستوية فوجد أن التشابه بين المثلثات يمكن إسناده إلى التوازي بين أضلاعها . أما عكس ذلك وهو أن يمكن استنتاج الفرضية الاقليدية من وجود زوج واحد من المثلثات المتشابهة فهو أمر لطيف .
ليكن المستقيمان AB ، CD مقطوعين بالمستقيم EF في النقطتين S ، H على التوالي (الشكل ٣) بحيث كان المجموع زاوية B س H + زاوية S H د أقل من قائمتين .



(الشكل ٣)

نحمد وأصل الظاهر

من الواضح أن زاوية γ من β أكبر من زاوية δ من δ ، فلو تحركت القطعة h من على المستقيم γ ، بحيث يكون المستقيم d ح ممثلاً بصورة محكمة بالمستقيم γ في نقطة h ، الى أن تتطابق النقطة h على النقطة g ، عند ذلك يأخذ المستقيم d الح الوضع من e ، لذلك فائتاء حركته هذه يجب على المستقيم d ح أن يقطع المستقيم γ ب كما في الوضع من k مثلاً . فلو رسمنا الآن ممثلاً على القاعدة من h مشابهاً المثلث من h ل ، وذلك ممكن بحسب فرضية والس ، فسيقطع المستقيم h المستقيم γ ب ويتم المطلوب .

إن هذا الإثبات الأخير ، في الواقع يهود إلى جون والس نفسه ، وقد قدمه إثباتاً لفرضية التوازي ولكنه نسي أنه يدور في دائرة من المنطق لأنه استخدم هذه العبارة التي هي مسورة أخرى من فرضية التوازي في إثبات فرضية التوازي نفسها .

كما قلنا سابقاً ، لقد رحب الرياضيون منذ البداية بفرضيات أفليدس إلا فرضية في التوازي ؛ فهم مع أنهم لم ينكروها اعتقدوا أن محلها الطبيعي هو في عداد النظريات ، لا مع البديهيات . لذلك حاول عدد غير قليل منهم أن يبرهن على صحة هذه الفرضية باستعمال الفرضيات التسع الباقية ، واتخذوا لذلك سبلاً متنوعة ، منها مباشرة ، ومنها غير مباشرة ، كطريقة خلاف الفرض أو إثبات نظرية ٢٩ من دون استخدام بديهية التوازي ، أو اشتقاق إحدى العبارات المكافئة للفرضية من بقية الفرضيات . وقد استمرت هذه المعركة الشديدة الصامتة ما يزيد على ألفي سنة ، وقفت بعدها فرضية التوازي كالطود الشامخ وقد أكسبتها هذه المدة نصيباً ، وزادتها قوة وثباتاً . وكان من نتائج هذه المعركة المربرة نشوء هذا الطابع الضبطي الناشف في الرياضيات عامة ، والرغبة في نقد الفرضيات وتجميعها وهو مما أدى الى ظهور موضوع أسس الرياضيات Foundations of Mathematics علماً قائماً بذاته ، وتفرعت منه أخيراً مواضيع أخرى هي المنطق الرياضي وعلم ما وراء الرياضيات Metamathematics وفلسفة الرياضيات . وكذلك وقد ولدت أيضاً الهندسة اللا أفليديسة ، وهي علم لا يقل أهمية عن تقييده الهندسة الاقليدية ، من حيث النظر أو التطبيق .

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

إن أول محاولة لإثبات فرضية التوازي قام بها بطليموس ، حيث قصد أن يستنتج نظرية ٢٩ بغير استخدام هذه الفرضية . وتتلخص محاولته بما يلي :

قال بطليموس : إن امتدادَي المستقيمين ، المقطوعين بثالث ، على جهة من القاطع ليسا أكثر توازياً من امتداديهما في الجهة الأخرى . فلو كان مجموع الزاويتين الداخليتين في إحدى الجهتين يقل عن قائمتين لكان هذا المجموع يقل عن قائمتين في الجهة الأخرى أيضاً . وهكذا يكون مجموع الزوايا الأربع أقل من أربع قوائم ، بينما هو في الواقع يساوي زاويتين مستقيمتين . ويمكن توليد مثل هذا التناقض لو فرضنا أن مجموع الزاويتين الداخليتين أكثر من قائمتين ، وهكذا استفتج نظرية ٢٩ .

وبدلاً من أن أبين المغالطة في هذه المناقشة التي أريد بها برهان النظرية ٢٩ ، سأترك ذلك لأنه ليس مما يصعب تبيانته ؛ وسأنتقل إلى بروكس بعد بطليموس حيث ترك محاولة في حدود عام ٤٠٠ ب . م . وكان بروكس قد أطلع على محاولة بطليموس فلم يقتنع بها وأراد أن يأتي بأحسن منها . لذلك أراد بروكس أن يتجنب هذه الفرضية بإعطاء تعريف جديد للتوازي ، فعرّف المستقيمين المتوازيين بأنها المستقيمان اللذان تكون الأبعاد بينهما متساوية . ولكنه لم يوفق للملاحظة أنه بهذه الخطوة قد حوّل الصعوبة من محل إلى آخر بدلاً من أن يحلها . فمذه الفرضية ، كما ذكرنا ، شكل ثان لفرضية أفليدس . ثم قام بمحاولة ثانية فعرّف الموازي كحل هندسي للنقاط التي تبعد بأبعاد متساوية عن مستقيم معلوم . إلا أنه في هذه المرة أثار مشكلة جديدة إذ عليه الآن أن يثبت أن هذا الحل الهندسي هو خط مستقيم . ولأنه لم يتمكن من إثبات ذلك فقد سلّم هذه الخاصية من دون برهان ، وهكذا لم يفلت من دائرة التوازي ففسر الماء بعد الجهد بالماء كما يقولون !

بهذا القدر من المعلومات حول نظرية التوازي نستقبل الحضارة العربية . وكما هو معلوم جيداً كان العرب في عصر الإسلام قد درسوا العلوم اليونانية وشغفوا بها ، وحفظوها ووسعوها في جوانب عدة وأضافوا إليها أشياء قيمة ، ثم نقلوها إلى أوربة ، وبذلك نقلوا أوربة من

الظلمات إلى النور . وكان كتاب « الأصول » من أشهر الكتب الاغريقية التي ترجمها العرب في مناسبات عديدة وفي ترجمات مذبذبة بشملقات وهوامش مع حواشٍ وإضافات . ومن أهم الترجمات التي قام بها نصير الدين الطوسي ، التي فيها برز اهتمامه وتضلعه من نظرية التوازي .

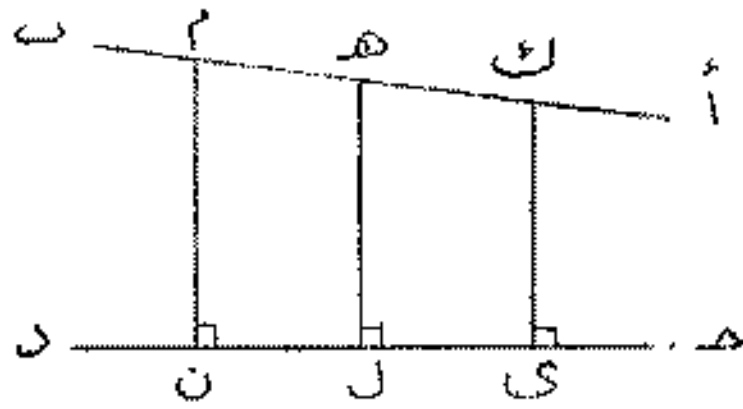
ولد محمد بن محمد بن الحسن أبوجعفر خواجه نصير الدين الطوسي عام ١٢٠١م في خراسان . وأدركته النية سنة ١٢٧٤م ببغداد . ولقد بدأ الطوسي حياته العلمية بدراسة مؤلفات أفلاطون وأرسطو وأرشميدس وبطليموس وأبولونيوس وأقليدس . واهتم بكتب ثابت بن قرة وقسطنطين لوقا والحجاج بن مطر والخازن وعمر الخيام . وقد ترك الطوسي ترجمتين لكتاب الأصول ، وبذلك أضافها إلى ترجمات ثابت بن قرة والحجاج بن مطر وغيرها . وبلغتنا طبعتان لترجمتي الطوسي الأولى في رومة عام ١٥٩٤م والثانية في طهران عام ١٨٨١م والثانية تتميز عن الأولى باحتوائها على الجزء من الرابع عشر والخامس عشر مضافين إلى الأجزاء الثلاثة عشر الأولى الموجودة في الثانية .

ومن ترجمته يلوح أنه كان أول من لفت النظر ، في دراساته لنظرية التوازي ، إلى النتيجة القائلة بأن مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين . ونجد في محاولاته لإثبات فرضية التوازي بذوراً حية لأفكار مهمة سُقيت فنمت وأثمرت فأينمت وكان قلوبها علم الهندسة اللا إقليدية . لذلك نرى جون والس الانكليزي وجيرو لامورسا كيري الايطالي يذكران في مؤلفيهما الخاصين بنظرية التوازي فضل الطوسي في هذه النظرية ومرجعها إليه في دراساتها للموضوع .

وفي محاولة نصير الدين لإثبات فرضية التوازي ، يفترض البديهية الآتية التي اعتقد أن الاحساس العام Commonsense يسندها ويبرر الاعتماد عليها وهي :

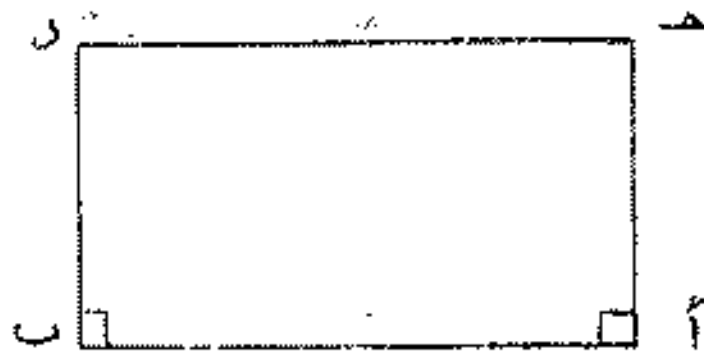
إذا رسم مستقيمان ab ، cd بحيث كانت الأعمدة m ، n ، h ، l ، k ، y ، ... الخ (الشكل ٤) المرسومة من أحدهما على الثاني تعمل مع ab زوايا حواد من جهة a وبالتالي منفرجات في جهة b فإن المستقيمين ab ، cd يتباعدان في جهة b ويتقاربان في جهة a ، وبذلك تقصر الأعمدة في الجهة الأولى ، وتطول في الجهة الثانية والعكس صحيح كذلك . بعد هذه الفرضية التي

نظرية التوازي وأثر العرب فيها



(الشكل ٤)

سلمها بغير سؤال ، اتخذ شكلاً كان من حسن حفظه أن يشتهر ويثبت دوراً مهماً في دراسة التوازي . ويتألف هذا الشكل (الشكل ٥) من إقامة عمودين متساويين من طرفي قطعة مستقيم ا ب وعلى نفس الجهة منه مثل أ ح ، ب د وأخذاً ح د ب د ثم اكمل الشكل الرباعي بوصل النقطتين ح ، د . وبالاستناد الى فرضيته المذكورة في أعلاه وبطريقة خلاف الفرض يتوصل إلى أن



(الشكل ٥)

الزاويتين أ ح د ، ب د ح قائمتان . إذ قال : لأنه لو أمكن أن تكون الزاوية أ ح د حادة لكان ب د أقصر من أ ح حسب فرضيته ، وهو خلاف الفرض . وكذلك لا يمكن لهذه الزاوية أن تكون منفرجة . وهكذا فقد اتفاد في استدلاله إلى أن كلاً من الزوايا الأربعة قائمة ، وبذلك يكون المثلثان الناشئان من وصل ا د متطابقين وهو الأمر الذي ينتج عنه أن مجموع زوايا كل منهما قائمتان ، وهذا معناه أنه توصل الى إثبات لفرضية التوازي على ما يظهر .

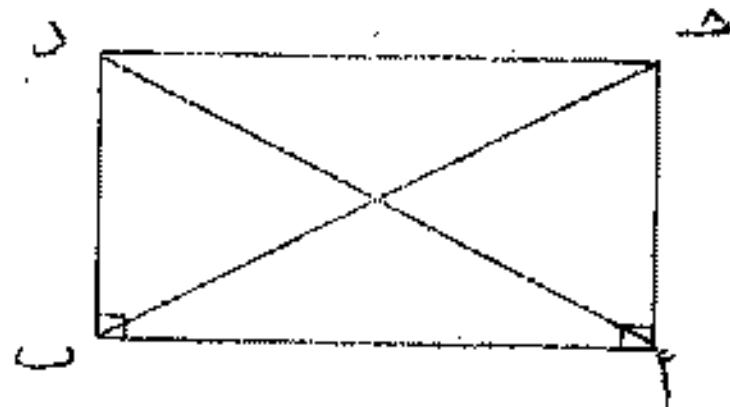
ومن المهم أن نذكر ، مع أن هذه المحاولة لم تنجح كثيرها من المحاولات التي قام بها أناس كفاة ، أنها ولا شك وضعت حجراً أساسياً في بناء مقدمة الهندسة الاقليدية . فقد استفاد

ساكيري من هذا الشكل الذي ابتدعه الطوسي ، ولكثرة ما استعمل ساكيري هذا الشكل سمي فيما بعد « برباعي ساكيري » وكان أحق أن يسمى برباعي الطوسي بشهادة ساكيري نفسه .

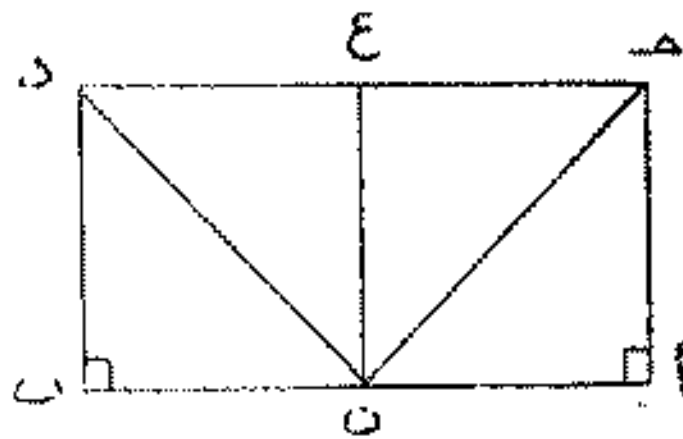
لقد كان ذلك كل ما كان معروفاً من أعمال العرب في نظرية التوازي حتى عام ١٩٣٥ م حينما نشر المؤرخ الرياضي المعروف ديفيد أوجين سميث بحثاً في المدة الأولى من المجلد الثالث من مجلة سكريتا ماثماتيكا Scripta Mathematica . ففي هذا البحث أشار سميث إلى مخطوطة عثر عليها في طهران في أثناء جولاته في الشرق الأوسط . وفي ذلك يذكر أن هذه المخطوطة ألفها نصير الدين الطوسي وهي واحدة من مجموعة رسائل بعنوان « المفاتيح » تحتوي على رسائل تعود إلى رياضيين عرب وإفريق وفارس ، ومؤرخة بعام ١٣٨٧ م أي زهاء حوالي ١١٤ سنة بعد موت الطوسي . وفيها يذكر الطوسي أنه ينقل عن كتاب يرجع إلى الشاعر المشهور والرياضي الفلكي المعروف عمر الخيام . وبذلك يسجل نصير الدين أن الخيام واحد ممن وضعوا حجراً أساسياً في نظرية التوازي . وإلى ذلك الوقت لم يكن معروفاً عند مؤرخي الرياضيات أن الخيام قد اشتغل بنظرية التوازي أو بفرضية أقليدس على الخصوص . وحتى هذا اليوم ، لم نشر بعد كتب تاريخ الرياضيات إلى أعمال الخيام في التوازي بالرغم من النتيجة التي نشرها سميث .

ولد عمر بن إبراهيم الخيام عام ١٠٤٤ م وتوفي عام ١١٢٣ م . وهو معروف عند العرب شاعراً أكثر من كونه عالماً حتى أطلق اسمه على نوع معين من الشعر عُرف « بالخياميات » . ولكنه في الحقيقة قد أبدع في الجبر ، فدرس الخواص الجبرية للأقطوع المخروطية ، واستخدم ذلك في حلول بعض الأصناف من معادلات الدرجة الثالثة . وزيادة على ذلك فقد اشتغل بعلم الفلك وله تقويم فيه وآثار فلسفية أخرى .

أما رسالته في التوازي التي أشار إليها المؤرخ ديفيد سميث فهي تتألف من سلسلة من القضايا يريد بها البرهنة على فرضية التوازي الخامسة .



(الشكل ٦)



(الشكل ٧)

يفترض الخيام قطعة المستقيم $أ ب$ وقد رُسم عليها العمودان $ح أ$ ، $د ب$ بحيث كانا متساويين
 ثم يبرهن على أن زاوية $د ح أ =$ زاوية $د ب$ (الشكل ٦) وذلك بأن يطابق بين المثلثين $ح أ ب$ ،
 $د أ ب$ فيستنتج أن زاوية $ب ح أ =$ زاوية $أ د ب$. ثم يطابق بين المثلثين $د أ ح$ ، $ب د ح$ ويستنتج
 تساوي الزاويتين $ب ح د$ ، $أ د ح$ وهكذا يحصل على أن زاوية $أ ح د =$ زاوية $ب د ح$.
 ويثبت في القضية التالية أن العمود المقام من منتصف $أ ب$ (الشكل ٧) ينصف $ح د$ ويكون
 عموداً عليه وذلك بتطابق المثلثين $ح أ ن$ ، $د ب ن$ أولاً ثم المثلثين $ح ن ع$ ، $د ن ع$ ثانياً .
 وأخيراً في قضيته الثالثة يبرهن الخيام على أن الزاويتين $أ ح د$ ، $ب د ح$ المتساويتين يجب
 أن تكون كل منهما قائمة ، وذلك بالاعتماد على العبارة القائلة : بأن المسافة بين المستقيمين المتوازيين
 ثابتة لا تتغير .

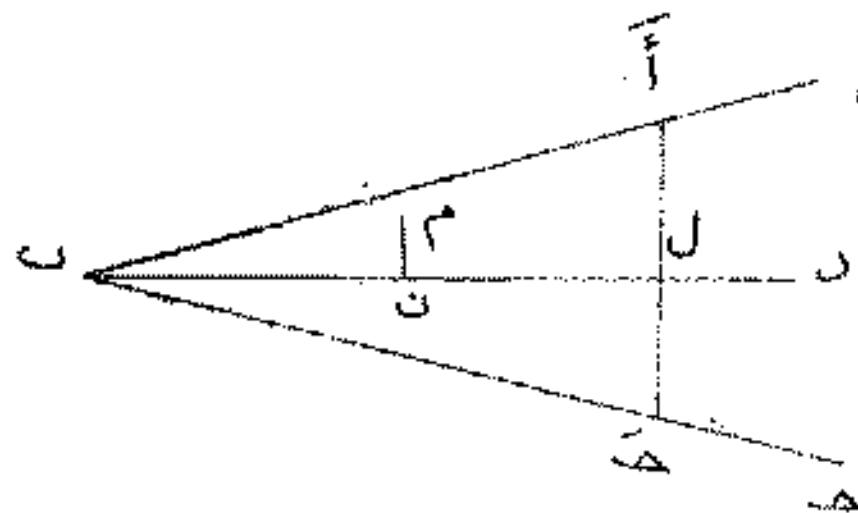
ومن غريب المصادفات أن يظهر العدد الرابع من السقة الثالثة — نيسان (أبريل) ١٩٥٨ —

من مجلة العلوم التي تصدرها دار العلم للملايين بيروت في هذا الأسبوع حاوية مقالا فيه ينقل كاتبه ويشرح مقالة الخيام التي نحن بصددھا ، التي سبق أن كشفھا المؤرخ سمث عام ١٩٣٥ م كما قلنا آنفاً ، وبذلك كفتاني هذا المقال ، الذي أصبح بمتناول القراء الآن ، مؤونة الشرح المفصل لهذه المخطوطة التي لم تكن معروفة من قبل . ولكني قبل أن أنتقل الى نقطة أساسية في كلتي هذه أود أن أشير إلى أن سمث قد قارن في خطوط عريضة ما بين سلسلة نظريات الخيام التي نوهنا بها وسلسلة من نظريات ساكيري فأبان أن السلسلتين متشابهتان في وجوه عدة ، ومتطابقتان حتى في البراهين في أحيان كثيرة . وهكذا يتبوأ الخيام محله ما بين أقليدس وساكيري بين علماء نظرية التوازي .

ويلوح كذلك أن هذا كل ما هو معروف من أعمال العرب في بحوث التوازي ، إلا أنني قد عثرت قبل سنوات قليلة في مكتبة بلعبتون بجامعة كولومبيا على مقالة هندسية ينسب فيها كاتبها برهاناً لفرضية التوازي الى أثير الدين الأبهري المتوفى سنة ١٢٦٤ م . وتبين لي أن هذه الرسالة ليست معروفة عند مؤرخي الرياضيات لا بل ليس معروفاً عندهم أن الأبهري ، وهو من المفكرين العرب ، قد اشتغل بالرياضيات وفي بديهية التوازي ذاتها . لذلك سأكرس الباقي من هذه الكلمة في شرح محاولة أثير الدين الأبهري لإثبات فرضية التوازي .

يحاول أثير الدين أن يثبت أولاً القضية الآتية :

المستقيم العمود على منتصف زاوية من نقطة مفروضة عليه ، يقطع ضلعيها .



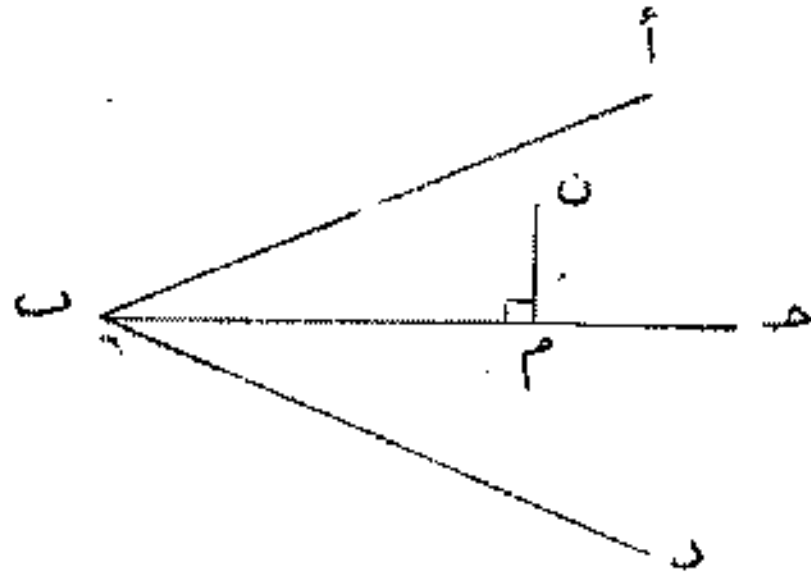
(الشكل ٨)

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

فالفروض الزاوية $\angle \text{أ ب ح}$ ، والمستقيم ب د منصف لها . أخذت النقطة ن أباً كانت على المستقيم د ب وأقيم منها العمود ن م . والمطلوب إثباته أن ن م يقطع المستقيمين أ ب ، ح ب . من الواضح أن هنالك مستقيمتين عموديتين على د ب وتقطع المستقيمين أ ب ، ح ب وهي ولا شك المستقيمتان التي يصل كل منها بين نقطتين تقعان على أ ب ، ح ب ، وعلى مسافتين متساويتين من نقطة ب . ولانبات أن ن م يقطع ضلعي الزاوية نقول : إنه لو صح أن يكون ن م غير قاطع لها ما أمكن لأي عمود آخر مرسوم من نقطة ل التي هي أبعد عن ب من نقطة ن أن يقطع أ ب ، ح ب وذلك واضح من حصول المثلث ل ب أ وفيه تصبح زاوية م ن ب الخارجية مساوية لزاوية أ ل ن الداخلية لأن كليهما قائمتان ، وذلك غير ممكن بموجب نظرية ١٦ من كتاب « الأصول » . لذلك لا يمكن لعمود أن يعقب م ن وأن يقطع ضلعي الزاوية أ ب ، ح ب . وهكذا فالأعمدة التي تقطع ضلعي الزاوية تتلو بعضها بعضاً ، بينما الأعمدة التي لا تقطع تكون فيما بينها نظاماً متراصاً ، لا يفصل بعضها عن البعض أي عمود من النوع الذي يقطع . لنفرض الآن أن آخر الأعمدة من النوع الأول الذي يقطع ضلعي الزاوية هو م ن مثلاً (الشكل ٨) . فلانبات عدم إمكان ذلك أيضاً يكفي أن نأخذ نقطتين أ ، ح أبعد من نقطتي تقاطع آخر الأعمدة ، وهو م ن ، مع ضلعي الزاوية بحيث يسكون بعداهما عن رأس الزاوية متساويين . وبما أن الخط الواصل بين هاتين النقطتين سيكون عموداً على ب د ، فقد وجدنا عموداً آخر يتلو العمود م ن ويقطع ضلعي الزاوية ، هو خلاف الفرض القائل بأن م ن هو آخر الأعمدة من هذا النوع . بذلك يتم الأبهري برهان نظريته . وسوف أترك مناقشة هذا البرهان ، وتبيان أوجه النصف أو المغالطة فيه لأتابع بقية المحاولة . فبعد ذلك أنتقل أثير الدين في إثباته إلى فرضية أفليدس ، فطبق عليها قضيته السابقة . ومن أجل ذلك لاحظ احتمالات ثلاثة هي :

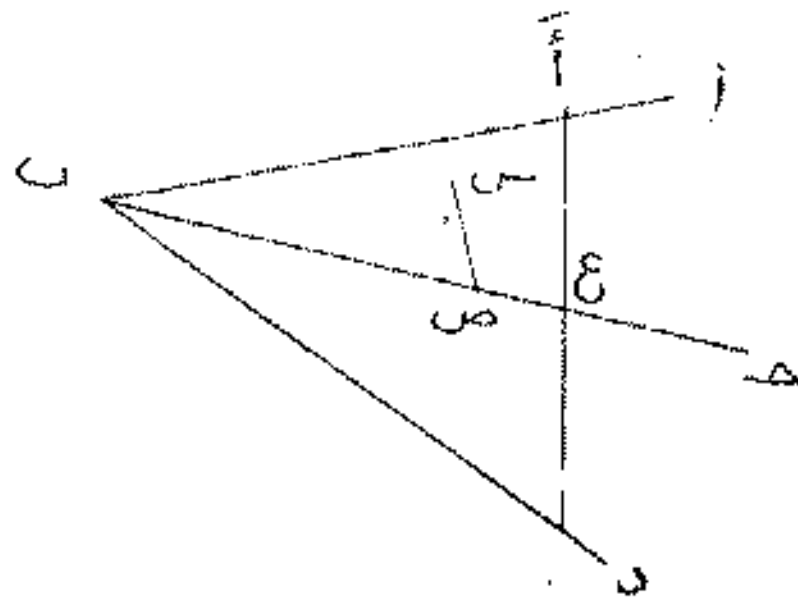
(١) إذا كانت إحدى الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع — حسباً تنص عليه فرضية التوازي — قائمة والأخرى حادة فعندئذ ترسم مستقيماً مثل ب د يصنع زاوية مع ح ب تساوي زاوية أ ب ح . فحسب نظريته المذكورة اعلاء يقطع المستقيم العمود م ن

ضلعي الزاوية أ ب د ، وبذلك يتلاقى المستقيمان م ن ، أ ب في جهة القاطع ح ب التي فيها زاوية
ن م ب + زاوية أ ب م أقل من قاعدتين (الشكل ٩) .



(الشكل ٩)

(٢) أما إذا كانت كل من الزاويتين حادة مثل الزاويتين أ ب ح ، س ص ب الناشئتين من قطع
المستقيم ح ب للمستقيمين أ ب ، س ص ، فزعم أيضاً مستقيماً مثل ب د (الشكل ١٠) بحيث
تسكون زاوية ح ب د تساوي زاوية أ ب ح . لنأخذ نقطة مثل ع على المستقيم ح ب النصف
للزاوية أ ب د . إن العمود المقام من نقطة ع على ح ب يقطع المستقيمين أ ب ، د ب بموجب
القضية السابقة . فمئذ يجب على المستقيم س ص أن يقطع أ ب ، وإلا فإنه يقطع العمود ع أ

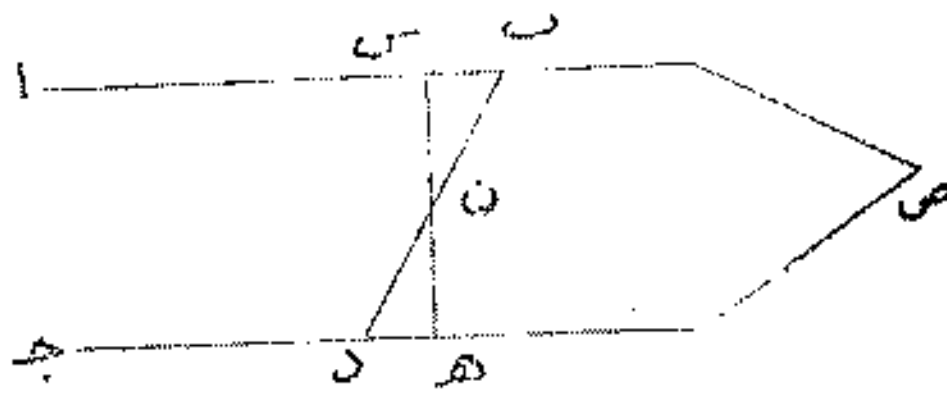


(الشكل ١٠)

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

وهذا مستحيل لأن الزاوية الحادة $س ص ب$ تصبح خارجية بالنسبة للمثلث المتكون والذي فيه زاوية $أ ع ب$ قائمة .

(٣) تبقى الآن الحالة الأخيرة وفيها إحدى الزاويتين حادة والأخرى منفرجة .
نفرض المستقيمين $أ ب$ ، $د ح$ وقد قطعها المستقيم $ب د$ بحيث كان المجموع زاوية $أ ب د +$
زاوية $ب د ح$ أقل من قائمتين ، والزاوية $أ ب د$ حادة ، بينما الزاوية $ب د ح$ منفرجة (الشكل ١١)



(الشكل ١١)

ننصف $ب د$ في $ن$ وننزل $ن ه$ عموداً على $د ح$ ، فتكون زاوية $د ن ه$ حادة بموجب نظرية
١٧ من «الأصول» . وبما أن زاوية $أ ب د$ حادة كذلك ، فيجب على امتداد المستقيم $ه ن$ أن يلاقي
المستقيم $أ ب$ في نقطة مثل $س$ وذلك بتطبيق الحالة الأولى ، لا يمكن لزاوية $ب س ن$ أن تكون
قائمة والا لتطابق المثلثان $ب س ن$ ، $د ه ن$ وكانت نتيجة ذلك زاوية $س ب ن =$ زاوية
 $ن د ه$ وبالتالي زاوية $ن د ح =$ زاوية $ن د ه =$ زاوية $س ب ن +$ زاوية $ن د ح$ وهذا غير
ممقول لأن أحد طرفي المساواة يساوي قائمتين بينما طرفها الثاني أقل من قائمتين . وكذلك فلا
يمكن للزاوية $ب س ن$ أن تكون حادة لأن ذلك يؤدي بالمستقيمين $أ ب$ ، $د ه$ أن يتلاقيا من
الجهة الثانية في نقطة مثل $ص$ وذلك حسب الحالة الأولى . وهكذا تكون زاوية $ب د ح$ خارجية
بالنسبة للمثلث $د ب ص$ فيجب أن تكون أكبر منها بموجب نظرية ١٦ من «الأصول» ، وهذا
متناقض للفرض القائل : بأن مجموع زاوية $أ ب د +$ زاوية $ب د ح$ أقل من قائمتين ، بينما نجد
والحالة هذه أن زاوية $أ ب د +$ زاوية $د ب ص =$ قائمتين وبذلك يجب أن تكون زاوية

د ب ص أكبر من زاوية ب د ح . وهكذا نستنتج بأن زاوية ب س ه منفرجة وتكون زاوية
 أ س ه حادة . وب تطبيق الحالة الأولى يتلاقى المستقيمان أ س ، ح د في الجهة الثانية ويتم المطلوب .
 ومع أن البرهان الذي قدمه الأبهري غير مضبوط منطقياً كغيره من البراهين التي تنكسرت
 على صخرة فرضية أفقليدس ، فمما اجتته تنطوي على عمق ، وتمتاز بطابع الابداع الأسيل . فلم
 يسبق أن لاحظ أحد قبله العلاقة ما بين فرضية أفقليدس وقضية الأبهري المذكورة في صدر
 محاولته ، وبذلك أضاف نظرية مكافئة لها . ويظهر عمق هذا البرهان بجلاء أكثر حيناً نعلم بأن
 أحد الرياضيين الانكليز نشر « برهاناً » لفرضية أفقليدس مشابهاً لبرهان الأبهري عام ١٨٩٨ م
 أي بعد الأبهري بما يقرب من ٧٠٠ سنة ، وذلك في « مجلة الرياضيات البحتة والتطبيقية »
 وبغير تحويل يذكر . هذا مع علمنا بأن المشكلة كانت قد انتهت قبل هذا التاريخ بزهاء ٣٢
 سنة ، حين ولدت الهندسة اللا أفقليدية ، وثبت عدم إمكان اشتقاق فرضية التوازي من بقية
 فرضيات أفقليدس ، فقد بُنيت الهندسات اللا أفقليدية على نظام من الفرضيات يضم فرضيات
 أفقليدس كلها ، عدا المباشرة التي استعاض عنها بنقيضها وهو : من الممكن رسم أكثر من مواز
 واحد لمستقيم من نقطة خارجة عنه ، ويسمى هذا الفرع من الهندسة اللا أفقليدية بالهندسة
 المذبذولية Hyperbolic Geometry . ثم اخترعت هندسة أخرى لا وجود فيها ولا معنى
 للتوازي ولذا لا يمكن رسم أي مواز لمستقيم معلوم من نقطة مفروضة خارجة عنه ؛ وتسمى هذه
 بالهندسة الإهليلجية Elliptic Geometry وبقي لبترامي الإيطالي أن يثبت عام ١٨٦٨ م عدم
 التناقض ما بين هذه الهندسات أو ما بينها وبين الهندسة الأفقليدية ، وبذلك انتهت مشكلة
 التوازي ، وثبت عدم إمكان استخلاص هذه الفرضية من بقية الفرضيات الأفقليدية ، وأنها
 ونقيضها سريان .

وفي الختام نقول إن الأسس التي شقها أفقليدس ، وزاد في حفرها بروكس والطوسي
 والخيام والأبهري ، ملأها بالحجارة العلية ساكيري ولا مبرت وليجنندر ، ثم شيد عليها
 غاوسي وبوليا ولوباجيفسكي وريتان وكلاين وهيربرت بناء الهندسة الشامخ بعلقاته الثلاث ؛

وبذلك طويت صفحة قصة لا أجد لها وصفاً أجمل من عبارة الأستاذ كايزر التي قال فيها : -
« أقول كان من حسن حظ إحدى فرضيات أفليدس - فرضيته الخامسة - أن تكون
خاتمة العصر ، فهي أشهر وأعمق مهمة أطلقت في جوف تاريخ العلوم » .

محمد واصل الظاهر

المراجع

1. Boyer, C., The Foremost Textbook of Modern Times; Proceedings of the Internal Congress of Mathematicians, Cambridge, Mass., U.S.A., (1950) ; P 748.
2. Bonola, R., Non-Euclidean Geometry ; Dover Publications, (Combined with the books of Bolyai & Lobachevski) ; (1911) ; PP. 1—180.
3. Callahan, J. J. ; Euclid or Einstein, The Devin-Adair Company, N. Y. , (1931) ; PP. 57—137.
4. Courant, R. and Robbins, H. ; What is Mathematiss ? Oxford University Press, London, (1946) ; PP. 214-226.
5. Wilder, R., Foundations of Mathematics, John Wiley and Sons, Inc., N. Y., (1952) ; PP. 3-49, 264-285.
6. Wolfe, H., Introduction to Non-Euclidean Geometry, The Dryden Press, N. Y., (1945) ; PP. 1-150.

القتال في الإسلام

المقدمة

(١) ليس الإسلام دين قتال كما يدعي المستشرقون خطأ أو عمداً لغرض معين في أنفسهم بل هو يأمر بالقتال كضرورة للدفاع عن النفس ؛ إذ ليس المذلل والاستكانة في الإسلام مكان . كانت معارك الرسول حرب فروسية بكل معنى الكلمة ، الغرض منها حماية حرية نشر الإسلام وتوطيد أركان السلام . فلم ينقض عهداً ، ولم يمثل بمدو ، ولم يقتل ضميماً ولم يقاتل غير المحاربين .

وكم أتمنى أن يقرأ هذا البحث غير المسلمين - مهما بلغت درجة عداوتهم للإسلام ، ليطمئنوا مع المسلمين - مهما بلغت درجة تعصيمهم للإسلام ، إلى أن القتال في الإسلام ينطبق على أرقى وأحدث النظريات العسكرية المثالية وقوانين الحرب والحياد الإنسانية ، بل إن هذه النظريات والقوانين تعجز في كثير من الأحيان عن السمو إلى المستوى الرفيع الذي وصلتته تعاليم القتال في الإسلام .

معنى القتال في الإسلام

(٢) هو قتال العدو ، لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة في القتال .

معنى شرع القتال في الإسلام

(٣) كان القتال محرماً على المسلمين قبل الهجرة ؛ فلما اشتد عداؤهم قريش ، وأخرجوا الرسول وأصحابه من ديارهم وأموالهم ؛ هاجر المسلمون إلى المدينة ، فنزلت أول آية في القتال : « أذن

القتال في الإسلام

للذين يقاتلون بأنهم ظالموا وأن الله على نصرهم وتقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » . لقد خرج الرسول غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه الى المدينة ، وبذلك بدأ القتال (فعلاً) في الاسلام .

أهداف القتال في الإسلام

٤ (حماية حرية نشر الدعوة .

ليس من أهداف الحرب في الإسلام (نشر) الدعوة ، بل (حمايتها) ، لأن نشر الدعوة بالقوة ممناه الاكراه : « لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » . ولكن هدف الحرب في الإسلام هو حماية حرية نشر العقيدة وتأمين حرية انتشارها بين الناس وسد الاعتداء الخارجي على بلاد المسلمين : « وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . إن الحرب في الإسلام حرب دفاعية ، لا يبدأ المسلمون بالاعتداء على أحد ، ولا يقاتلون إلا مكرهين على القتال ، ويعتبرون الحرب كفاح شرف لا يجوز أن يلتجئ المماربون فيها الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف : احترام للمهد ، والترفع عن الخيانة ، ومواساة الجرحى والمرضى والأسرى والعناية بهم وعدم التعرض للنساء والأطفال والشيوخ .

٥ (توطيد السلام .

تكون الأمة بغير جيش قوي عرضة للضياع ، إذ يطمع فيها أعداؤها ولا يهابون قوتها ، فإذا كان لها جيش قوي أحترم العدو ارادتها ، فلا تحدته نفسه بالاعتداء عليها ، فيسود عند ذلك السلام : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل يوف اليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا (لاسلم) فاجنح لها ... » .

أنواع القتال في الإسلام

٦ قتال المسلمين للمسلمين

هذا النوع من القتال ، هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين ، فقد فرض القرآن حالة

لمحمود شيت خطاب

بغى وخروج عن النظام العام تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض ، أو بين الرعية وراعيا فوضع لها تشريعا من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدتها وعلى الهيئة الحاكمة سلطتها وهيبتها ، وبقي المجموع شر البغي والتمادي : « وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا ، فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي (تبغي) حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله ، لعلكم ترحمون » . هذه الآية تفرض حالة اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين ولا يستطيع حلها بالوسائل السلمية ، فتلجأ كل منها إلى القوة ، فتوجب هذه الآية على الأمة ممثلة في حكومتها ، أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق ، وتحاول الإصلاح بينهما فإن وصلت إلى ذلك عن طريق المفاوضات وأخذ كل ذي حق حقه ، فقد كفى الله المؤمنين شر القتال ، وإن بغت إحداهما على الأخرى وأستمرت على العدوان وأبت أن تخضع للحق وتنزل على حكم المؤمنين ، كانت بذلك باغية خارجة على سلطة القانون ، متمردة على النظام ، فيجب على جماعة المسلمين قتالها حتى تخضع وترجع إلى الحق . إن القصد من هذا التشريع هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم فتح المجال لتفرقها .

(٧) قتال المسلمين لغير المسلمين

شرع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان وحماية حرية نشر الدعوة ، وإن القرآن حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار وأدلال الضعفاء وتوخى به أن يكون طريقا إلى السلام والأطمئنان وتركز الحياة على موازين العدل والإنصاف .

وليس الجزية عوضا ماليا عن دم أو عقيدة ، وإنما هي مشاركة في حمل أعباء الدولة . ولا توجد آية في القرآن تدل أو تشير إلى أن القتال في الإسلام ، هو لحل الناس على اعتناقهم ، وقد نص القرآن بوضوح على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسخطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن

القتال في الإسلام

تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .
وأقرأ هذه الآية الكريمة ، وهي من أواخر القرآن نزولاً ، وهي تحدد أيضاً علاقة المسلمين
بغيرهم : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل
لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتوهن
أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ؛ ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين » .

من ذلك يفهم أن علاقة المسلمين بغير المسلمين هي : قسط ، وتعاون ، ومساهمة ...
فما أهمها من علاقات ؟ وما أقواها ؟

تنظيم القتال في الإسلام

٨) تقوية المعنويات

يعمل الإسلام على تقوية معنويات المتقاتلين في سبيل الله ، فيعدهم بمضاعفة أجر العاملين
وثواب المجاهدين ، لأنهم يقاتلون في سبيل إنقاذ الضعفاء والبر بالإنسان ومقاومة الجبروت
والظلمين ، ولأدخال عوامل الشر والافساد : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا
بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . وما لكم
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا
من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً . الذين
آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ؛ فقاتلوا أولياء الشيطان ،
إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » .

يستأصل الإسلام جميع النواحي التي ينهت من قبلها الجبن والخور ، ويحث المؤمنين على
الجهاد في سبيل الله والحق ، في سبيل الخير والسمعة ، فلا آباء ولا أبناء ولا الأخوان
ولا الأزواج ولا العشيرة ولا الأموال ولا التجارة التي يخشى كسادها ولا المساكن ، لا شيء
من ذلك كله يصح أن يحول بين المؤمنين وما تقتضيه محبة الله ورسوله من تفجئة وجهاد :

نحوذ شيت خطاب

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتمسكوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

بمثل هذا الأسلوب القوي ، يحارب الاسلام عوامل الضعف وزعات الخوف ، ويفرس في نفوس الامة خلق الشجاعة والتضحية والاستمهانة بزخرف الحياة في سبيل الحق ونصرته : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

لقد توخى الاسلام تقوية الروح المعنوية ، وما إمدادات المجاهدين بالملائكة إلا لتطمئن قلوب المقاتلين ، أي لتقوية معنوياتهم على أصح وأوثق أقوال المفسرين .

٩) القوة المادية

يبحث الاسلام على إعداد ناحيتين : القوة والرباط .

القوة : تتناول العُدَد والعُدَد ، وهذا معناه ما عرف وما يعرف من آلات الحرب ووسائل النقل ومواد الأذمة والقوانين وكافة القضايا الادارية الأخرى .

والرباط : معناه ما عرف أيضاً من تحصين الحدود والغور والاماكن الواهنة تجاه العدو . يستهدف الاسلام من الحث على اعداد هاتين الناحيتين ، تأمين السلم والاستقرار ، وذلك لارهاب العدو ، حتى لا تحذته نفسه باستغلال ناحية من نواحي الضعف والتخاذل : « وذل الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

كما يبحث الاسلام على إنشاء المعامل الحربية لصنع الأسلحة ، ويذكر بالحديد بصورة خاصة ، للاستفادة منه للأغراض العسكرية : « وأنزلنا الحديد فيه (بأس) شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسوله : إن الله قوي عزيز » .

القتال في الاسلام

١٠) التنظيم العملي للقتال .

أ - الاعفاء من الجندية .

أسباب الاعفاء من الجندية في الاسلام محصورة في الضعف ، ويشمل المرض والمعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق .

لم يجعل الاسلام من أسباب الاعفاء من الجندية حل الشهادات العلمية ، ولا الانتساب الى الجامعات ، ولا حفظ القرآن الكريم ، ولا دفع البدل النقدي ، ولا البسوة لحاكم كبير مما عهدناه في عصور الضعف والانحلال ، بل كان العمل في عصر النبي والمصور التالية له على عكس ذلك ، وما كان التكثير في جمع القرآن ، الا الخوف من أن يذهب بذهاب القراء الذين كانوا أكثر القوم إقداماً وبسالة في حرب اليمامة ، وكان إقدامهم وجرأتهم على اقتحام صفوف الأعداء سبباً في أن يستحسّر القتل فيهم : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ، إذا نصحوا لله ورسوله » .

ب - إعلان الحرب .

يحذر الاسلام انتهاز غفلة العدو أو أخذه على غرة غدرأ : « وأما تخافن من قوم خيانة ، فانذروهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

إن المسلمين لا يخونون أحداً ولا يغدرون بأحد ، ويملنون الحرب صراحة على أعدائهم ، ثم يشرعون بعد ذلك في القتال .

ج - الدعوة للجهاد .

حذر الاسلام التباطؤ في تلبية داعي الجهاد والتعافل عنه : « يا أيها الذين آمنوا ، ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله ، إن قلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . ألا تنفروا يعضدكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئاً ، والله على كل شيء قدير » .

د — عقاب المتخلفين .

عاقب الاسلام المتخلف عن الجهاد مقاساً بنفسياً ، اذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجته ، كما يهجره المسلمون جميعاً ويقاطعونه وينظر اليه المجتمع نظرة احتقار وازدراء : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا » .

يتوب الله عليهم بمد كل هذا العقاب ، ليتوبوا ولا يعودوا الى التخلف مرة أخرى .
إن عقاب المتخلف يقتصر عليه فقط ولا يشمل أهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى ، إذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته حتى أهل قريته في بعض الأحيان ، بحجة أن هؤلاء يجب أن يسلموا المتخلف أو ينسأهم العقاب .

هـ — تطهير الجيش .

يأمر الاسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخسلاف ، حتى يكون الجيش كله مؤمناً بمقيدة واحدة يعمل لتحقيقها ويبدل كل ما يملك في سبيلها ، وبذلك ينال الفوز في الحرب : « لو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً » .

و — أساليب القتال .

ينظم الاسلام مواضعه الدفاعية ، ويوزع وحداته بين تلك المواضع : « وإذا غدت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال » .

ويبتكر القتال بأسلوب « الصف » الذي لم تكن العرب تعرفه حينذاك ، بل كانت تقاتل الكفر والفر : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

إن أسلوب الصف يتفق مع أساليب القتال في العصر الحاضر ، فهو يؤمن العمق والاحتياط ، ليستطيع القائد معالجة المواقف التي ليست في الحسبان .

القتال في الاسلام

ز — الضبط .

يحث على السمع والطاعة للقيادة العامة ، والثبات في المواقف ، وتجنب أسباب الأخفاق ، والاعتصام بالله واليقين : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وأصبروا أن الله مع الصابرين » . كما حذر الاسلام من الفرار ويمن سوء عاقبته : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار » ، ومن يرأهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

ح — السكن .

حذر الاسلام من إذاعة الأسرار العسكرية ، وجعل إذاعتها من شأن المنافقين ، وطلب الرجوع بها إلى القيادة العامة ، كما طلب من المسلمين أن يثبتوا فيما يصل من أنباء قبل الزكون إليها والعمل بها : « لكن لم ينته المتنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ، لنغريبك بهم ثم لا يجاوزونك إلا قليلاً » .

ويقول القرآن : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردود إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

ط — الهدنة والصلح .

أمر الاسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب إذا جنح إليها الأعداء وظهرت منهم علامات الصديق والوفاء : « وإن جنحوا للسلم فأسلم » فأجنح لها ، وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم . وأن يريدوا أن يخدعوك فحسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

ي — الأسرى .

خير الاسلام القائد بين أن يمن عليهم ويطلقهم من غير فدية أو مقابل ، أو يأخذ الفدية منهم من مال ورجال ، وذلك على حسب ما يرى من المصلحة : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أحنتموهم فشدوا الوثاق ، فأمّا منّاً بما وأما فداء » .

لـ — المحافظة على اليهود .

حث الاسلام بسورة خاصة على المحافظة على اليهود ، وأوجب الوفاء بها ، وحرّم الخيانة فيها والعمل على نقضها ، وأرشد الى أن يكون القصد منها إحلال الأمن والسلم محل الاضطراب والحرب ، وحذّر أن تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقية بالضعفاء : « وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة » .

(١١) شروط القبول للجنسية .

لا يقبل في جيش المسلمين إلا من تتوفر فيه الشروط التالية : —

أ — البلوغ .

اعتبر سن البلوغ السادسة عشرة كما هو الحال في أكثر الدول في الوقت الحاضر . ولا يقتصر التجنيد على الرجال البالغين ، بل يشمل النساء البالغات أيضاً ، وقد استصحب الرسول النساء في غزواته ، بل كان يصحب معه أزواجه بالاقتراع .

ولم يعترض أحد على مشاركة النساء في الحرب على عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، فلما جاء العباسيون ظهر من الفقهاء الجامدين من أضافوا إلى شروط الخدمة العسكرية شرطاً خامساً ، وهو (الذكورة) ؛ فحرموا الجيش عنصراً فعالاً يزيد في عدده ومعتوباته .

ب — الاسلام .

ليدافع عن بلاد المسلمين عن عقيدة واخلاص .

ج — السلامة .

تتمتع الجندي بالصحة الكاملة والمقل السليم ، ومن أسباب المعجز عندهم العمى والمرض الزمن والمريض الزمين هو الذي طال مرضه .

القتال في الاسلام

د - الافدام .

وهو أن يكون قوي البنية ، عارفاً بالقتال ، قادراً على استخدام سلاحه ، متعملاً مشاق السفر ، غير جبان .

١٢ - النفير .

يقسم النفير الى قسمين تبعاً للحالتين :

أ - في حالة الدفاع .

أي عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين ، فعند ذاك يكون النفير عاماً ، فلا يستطيع التخلف عن الجهاد مسلم ، الا يرى بالتفائق ، ويماقب أشد العقاب .

إن الجهاد في هذه الحالة فرض عين كما يعبر عنه الفقهاء . والنفير العام ، معناه : دعوة جميع القادرين على حمل السلاح للمشاركة في الحرب .

ب - في حالة التمرض .

أي في حالة دعوة قسم من الأمة للفتح ، وعند ذاك يكون النفير خاصاً ، وفي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية كما يعبر عنه الفقهاء . والنفير الخاص معناه : دعوة بعض القادرين على حمل السلاح للمشاركة في الحرب .

الخاتمة .

١٣ - أوضحنا بمجل القتال في الاسلام فيما سلف ، ومن كل ذلك يتضح أن الاسلام يدعو للقتال من حيث هو ضرورة لحماية حرية التوحيد : توحيد الله وتوحيد الناس ، ولتوطيد أركان الاسلام . إن الاسلام لا يؤمن بالحروب التي تثيرها المصيبة العنصرية ، كما يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والبحث عن الأسواق والخامات واستعباد المرافق والرجال ، كما يستبعد الاسلام تلك الحروب التي تثيرها حب الأثجاد الزائفة أو حب المغنم الشخصية .

إن السلم في الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء

محمود سعيد خطاب

عقيد دكن

المراجع

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — صحيح البخاري .
- ٣ — محمد شلتوت : القرآن والقتال .
- ٤ — محمود الالوس : سفرة الزاد لسفرة الجهاد .
- ٥ — جمال الدين عياد : نظم الحرب في الاسلام .
- ٦ — محمد أبو زيد : هدى الرسول .
- ٧ — محمد الفزالي : فقه السيرة .
- ٨ — القاضي أبو يوسف : الخراج .
- 9 — Said Amir Ali : The Sprit of Islam.
- 10 — Muir : Life of Mahomet.
- 11 — Margalioth : Mohammad.
- 12 — Moulvi : Quran and war.
- 13 — Hamidullah : The Battelfields of the Prophet Muhammad.

في معاني أسماء الأصوات

في « كتاب الأغاني » للأصمغاني

بقلم المستشرق فارص

(مع نبذة في تاريخ الفصاحم المستشرقين بالموسيقى العربية)

نوطته :

لم يبقَ باب من أبواب المعارف العربية والإسلامية إلا طرقه المستشرقون ، فنشروا عنه ما يروني ، الغلة ، وأفاضوا حتى لم يُبقوا زيادةً لسَزيد ، إلا الموسيقى العربية ، فقد كان حظهم فيها ضئيلاً ، وحذرهم من تفحصها شديداً حتى تناولها الأستاذ الدكتور « هنري جورج فارص » ودرسها دراسة متفرغ عبقرية قبلت الغاية ، فعدت في هذا المصنف إماماً وحجة .

ولصدود المستشرقين عن ولوج هذا الباب ، أسباب كثيرة وجيهة ، منها : قلة ما كشف عنه من الوثائق وما أُلّف من كتب عربية ، أو بكلمة أخرى : قلة ما بقي منها ، تلك القلة التي لا تُعري الباحث المتتبع . فالمعلومات قليلة جداً ، وأغلب الكتب العربية قد ضاعت ، ويكاد يكون ما سلم منها موزعاً في متاحف أوروبا مخزوناً غير منشور ؛ كما أنّ جلّ من ساهم في هذا الباب من المستشرقين ، كان إما مؤرخاً وإما رياضياً . ولم يتسنّ لأحدهم الجمع بين المسكتين ، فضلاً عن الاطّاعة بالنظرية الموسيقية ، ولهذا لم تُفر نتائج بحوث المستشرقين العايرين أحداً من متأخريهم ولم تشجّعهم . ومهما كان بحث المؤلف تاريخياً صرفاً ، فلا بد أن يضطره السياق إلى الاعتماد على النظريات الموسيقية العربية التي كثيراً ما تكون متناقضة متنافرة لا يمكن حصرها كما تُحصر قواعد العلوم الأخرى .

فكان جلّ ما نشر عن الموسيقى العربية قبل فارص ، من دراسات في مختلف اللغات

الأوروبية ، بموزع الاحاطة والتفرغ التام لذات الموضوع ، مضافاً الى اضطراب المعلومات وتصنيفها وخطل استخدامها في مناسباتها مع قلة اكتراث في الأغلب بإيراد الشواهد والنصوص (١) .

كان يشفع لاصحاب هذه النواقص أمور ثلاثة . أولاً : فقدان الدليل الصحيح الى التطبيق العملي الموسيقي ، أي ضياع الوسيلة الى الترجمة الصوتية للموسيقى العربية ، لأن التدوين الموسيقي العربي كان قد وُضع على أساس الوصف والترتيب الزمني لاعلى الدرجة . وثانياً : جهل ذوي الأغلبية الساحقة من المستشرقين باللغة العربية (٢) مع قلة التراجم العربية للموسيقية الى اللغات

(١) تلك حقيقة لا شك فيها ، وهي أن جميع المستشرقين الذين بحثوا في الموسيقى العربية كانوا ناقصي السكافية حتى يحيى ، « فارسي » الذي قام بسد هذا النقص بصورة مدهشة . فقد ملأوا كتبهم ذات المجلدات الضخمة بأغلاط عجيبة ونقلوا واكتسبوا من دون تحجب ، ومنهم الساذج : فيتس Fétis وكيفار Gevaert ودوكوردري Du Goudray وكيزويتز Kiesewitz وحتى كوسسكارتن Kosegarten ، وهؤلاء كلهم أخطأوا حدفاً لقد الأستاذ « جول راوونيت Prof. Jules Rouanet » محرر مادة « الموسيقى العربية » في دائرة المعارف الموسيقية اللافيزيك . - A. Lavignac : Encyclopedie de la Musique et Dictionnaire de Conservatoire في باريس بين سنوات ١٩١٣ - ١٩٢٢ م بثلاثة مجلدات . على أنه وقع في اغلاط أشد هولاً وأصعب اغتافاراً ممن انتقد هو عليهم فاضاف واحداً الى المتخططين كما سنرى في المصنفات التالية لهذه .

(٢) خبر مثال أفنديه ، الأستاذ « راوونيت » الذي ورد ذكره سابقاً ، فقد كان يسيء أنه يجمل العربية ، من تخطيطه الظاهر في إيراد بعض الأسماء في الفصل الذي كتبه في الموسيقى العربية في دائرة معارف لافيبيك الموسيقية وهذه طائفة منها للذكرى والتاريخ :

« جامع الألمان ، مقاصد الألمان ، كنز الألمان » (وهي أسماء كتب موسيقية للموسيقار عبد القادر بن غربي العراقي من رجال القرن الرابع عشر الميلادي) ضياعها بالفرنسية كما يأتي على التوالي - Djami el elham, Mekacid el elham, Kinz el elham ، الفارسي الذي لا يعرف مؤلفات عبد القادر بن غربي لا يسمه إلا أن يقرأها « جامع الإلهام ، ومقاصد الإلهام ، وكنز الإلهام » هكذا .

و « لسان الدين بن الخطيب » أثبتته : Sissan ed din Ibn Al-Kateb والفارسي . بقرؤه سيسان الدين ابن السكاتب ! هكذا .

ومن هذا القبيل :

عبد الله بن جدعان (أثبتته كما يأتي) Abdallah fils de Gohdars فيقرأ : عبد الله بن كوهدار

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للأصمغاني

الأجنبية وسقم ما ترجم منها . وثالثها : عدم وحدة التأليف والانتظام في المؤلفات التاريخية والأخبارية العربية ، وقلة احتفال مؤلفيها بتنسيق موضوعاتهم ، وهو الأمر الذي يجعل الباحث في حيرة دائمة وفي شك دائم من كل فكرة تمتد إليها يده .

ونحن أبناء هذه الأمة ، لم نجد الحافز ، على ما يبدو لي ، حتى الآن لتتسلم تراثنا العربي من أيدي هؤلاء المستشرقين ونكتب فيه عوضاً عنهم ، وذلك لأن ثقافتنا المدرسية على اختلافها ، وأساليب التبعات العلمية ما زالت متأخرة عندنا بصورة عامة ، لا تشجع المؤلف على التأليف ولا تزوده قابلية في البحث . فنحن مضطرون إلى نقل ما توصل إليه علماء الغرب في علومنا ، ومنها علم الموسيقى العربية . وكان من حسن حظ العالم العربي أن انتبه أبناءؤه إلى المؤلفات الأستاذ فارص فشرع في ترجمتها . وقد كنت السابق ، إن كان للسابق فضل ، فترجمت له جزء الموسيقى العربية في كتابي « تراث الإسلام ^(١) » مع بعض التعليقات عليه وقد وقعت في ترجمتي وتعليقاتي بأغلاط كثيرة تداركتها في ترجمتي لكتابيه (تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي) ولم تطبع بعد . وها أنا ذا أقدم الآن ترجمة رسالة من أنفس = جيلة بن الأيهم (أثبتت كما يأتي) Djabala fils d'Aghan فقرأ : جيلة بن الأغان .

بهر (* * *) Babs فقرأ : بهز .

غناء التدب (* * *) Nayeab فقرأ : نيب .

الغريض — اسم مفعول — (أثبتت كما يأتي) El Sharidli فقرأ : الشريدل .

ابن أبي عتيق — كذلك — (* * *) Ibn Ali Atik فقرأ : ابن علي عاتيك .

المعصم — اسم خليفة — (* * *) El Motaca فقرأ : الموتاسا .

ابن بانة (عمرو) (* * *) A fils de Danah فقرأ : ابن دانه .

منصور بن زلول (موسيقي) (الهجاء : أمل مراد الكاتب الفاضل منصور زلول ، فزلول لقب له) . (أثبتت

كما يأتي) Mansour Ibn Shaeffen فقرأ : منصور بن شيفن .

الزير بن دحان (موسيقي) (أثبتت كما يأتي) Sobier Ibn Abdullak-er-Rahman فقرأ : سوبير بن عبد الله الرحمان .

وعشرات غيرها من التسميات المفلوطة المؤسفة التي كان يجب أن لا يقيم فيها مستشرق عالم يكتب في دائرة معارف كبيرة .

(١) تراث الإسلام ج ١ ص ٢٩ - ٤٥ المطبعة العصرية بالموصل ١٩٥٤ م . (ملاحظة المترجم)

رسائله في موضوع بقي مصدر حيرة لأدباء العرب وعلماء الغرب طوال ألف سنة . وأقل الاعتراف بفضل هذا الرائد العظيم في الموسيقى العربية ، هو أن نعرف شيئاً من حياته ومجهوداته في هذا المضمار ، وهي مجهودات إذا قيست بالسنين بلغت زهاء نصف قرن ، وإذا وزنت بما نتج فكرياً بلغت ما يزيد على خمسة وعشرين كتاباً في الموسيقى العربية ، فضلاً عن عشرات المقالات والبحوث في المجالات ودوائر المعارف .

هنري جورج فارمر : Henry George Farmer

ولد فارمر سنة ١٨٨٣م من هنري جورج وميري آن فارمر في مدينة بير^(١) Birr من أعمال إيرلندا ، وعند ما بلغ سن الحلم أعد نفسه ليكون موسيقياً محترفاً ، ولكنه نبذ فكرته هذه ودخل جامعة كلاسكو وهو في سن متقدمة من شبابه . فدرس اللغة العربية سنتين (١٩١٩ - ١٩٢١م) دراسة تفرغ وعمق ، على أيدي أساتذة من المستشرقين ، وأتقن العربية والفارسية ، ونال درجة الدكتورية وأصبح عضواً في الجمعية الآسيوية الملكية^(٢) (١٩٣٠ - ١٩٣٣م) . وكان سنة ١٩٣٢م رئيساً للوفد الإنكليزي إلى مؤتمر الموسيقى العربية المقود في القاهرة . برز بين أعضائه بعمقه الفيزيوسية اطلاعه في النظرية الموسيقية العربية وتاريخها ، وساهم مساهمة فعالة في مقررات ذلك المؤتمر ، إلى جانب أساطين المستشرقين المشتغلين في الموسيقى أمثال : (البارون كاراديفو) من فرنسا و (الدكتور كرت ساخس Dr. Curt Sachs) من ألمانيا و (الأب المستشرق كولانكيت الفرنسي ، من لبنان) . واختير زميلاً لمعهد بحوث ليفرهولم Leverhulme سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٥م ومحاضراً في موضوع الموسيقى بجامعة كلاسكو سنة ١٩٣٤م . أصدر الدكتور فارمر ، في سن السادسة والعشرين ، أول مؤلفاته الموسيقية قبل أن يتعين اتجاهه العربي الاستشراقي وهو « تاريخ الجوق الموسيقي للفيلق الآلي الملكي » . وفي عام ١٩١٢م أصدر كتاب « نشأة الموسيقى العسكرية وتطورها . Memoires of the Royal Artillery Band » . وبعدها تحول فجأة إلى الموسيقى

(١) كانت قبلاً تسمى « بارسن تاون » Parson Town (ملاحظة المترجم) .

(٢) وهي جمعية علمية تأسست في انكلترا بعيد منتصف القرن السابع عشر (ملاحظة المترجم) .

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للأسيهاني

العربية فكتب فيها الكثير جداً طوال نصف قرن .

أخرج سنة ١٩١٥م كتابه « الموسيقى العربية وآلات الطرب العربية The Music and the Musical Instruments of the Arabs » . وفي سنة ١٩٢١م نشر كتابه « التأثير العربي في نظرية الموسيقى The Arabic Influence on Musical Theory » وكان هذا البحث أول مسخرة في بناء صرح شهرة الاستاذ فارص في عالم الاستشراق العربي ، ومن قوله فيه : « إنه كشف به عن بعض الدلائل القاطعة المستقاة بمنابة واختيار من وثائق لا يتطرق على سحتمها الشك عن تأثير الموسيقى العربية في النظرية العامة للموسيقى » . وقد أثار كتابه هذا نقاشاً حاداً طريفاً ، فتصدى له جماعة من الباحثين في الموسيقى يسفهمون رأيه وينكرون كل تأثير للموسيقى العربية في النظرية العامة منهم الآنسة كاثلين شلزنجر Miss. Kathleen Schlesinger في بحثها المسمى « هل الموسيقى النظرية الأوروبية مدبنة للعرب Is European Musical Theory Indebted To The Arabs ? » . وفي سنة ١٩٢٥م أصدر كتاباً آخر باسم « المخطوطات الموسيقية العربية المحفوظة في المكتبة البودلية The Bodleian Library The Arabian Musical MSS. » ونشرت له خطبة ألقاها في جمعية الموسيقيين بحث فيها عن « التأثير الروحي للموسيقى عند العرب » المسمى باليونانية (Ethos) بعنوان « The Influence of Music : From Arabic Sources » وكان بين سنوات ١٩١٩-١٩٢٥م لا يفتأ ينفع ويعيد النظر في كتابه « تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي » وهو الذي نال به درجة الدكتوراة فنشره سنة ١٩٢٨م باسم « A History of Arabian Music To The XIIIth. Century » . ونشر كتابه الشهير الآخر « حقائق تاريخية عن التأثير الموسيقي العربي Historical Facts For Arabian Musical Influence » سنة ١٩٣٠م ، وهو كتاب كبير يقع في زهاء أربعائة صفحة رد فيه مزاعم الآنسة كاثلين شلزنجر . وقد أتبعه سنة ١٩٣١م كتاب « دراسات في الملامى^(١) الشرقية Studies In Oriental Musical Instruments » وكتاب « أرغن الأقدمين من المصادر الشرقية : المعرانية

(١) الملامى : آلات الطرب ومفردتها ملامة وهي آلة الطرب .

والسريانية والعربية ، The Organ of The Ancients : From Eastern Sources (Hebrew, Syriac, Arabic) . وفي عام ١٩٣٣ م نشر كتاب « معلم عود مرها كشي قديم » An Old Moorish Late Tuter « وبمدها بسنة واحدة نشر كتاب « كتابات الفسارابي العربية - اللاتينية Al-Parabi's Arabic Latine Writing On Music » . ونشر سنة ١٩٣٧ م كتابه « اللامهي التركية في القرن السابع عشر . Turkish Musical Instruments in the 17th Century » . وأصدر سنة ١٩٣٩ م الجزء الثاني من كتابه « دراسات في اللامهي الشرقية » . وفي السنة نفسها أصدر كتاب « مصادر الموسيقى العربية : تطبيقات تاريخية The Sources of Arabic Music : An Annotated Bibliography » . وفي سنة ١٩٤١ م نشر كتاب « موسى بن ميمون في السماع Maimonides, on Listening to Music » . وترجم سنة ١٩٤٢ م ، ونشر الجزء الخاص بالموسيقى والغناء من كتاب (المقد الفريد) لابن عبد ربه ^(١) بعنوان « Music ; The Priceless Jewel » . وأصدر سنة ١٩٤٣ م كتاب « سمعية السكاون ^(٢) في التأثير الموسيقي Sa'adyah Gaon on the Influence of Music » . ونشر في سنة ١٩٤٦ م كتاب « غناء ألف ليلة وليلة The Ministrelsy of Arabian Nights » . وفي عام ١٩٥٣ م ^(٣) أصدر كتاب « دراسات شرقية أغلبها موسيقى الصبغة Oriental Studies; Mainly Musical » . ومما تحسن الإشارة إليه أن الأستاذ فارمر كتب أيضاً لدائرة المعارف الإسلامية (لندن ١٩١٣-١٩٣٨ م) موضوعات في موسيقى العرب تضيئ عن المحصر منها مواد : « غناء ، طبل ، طبل خانة ، طنبور ، أرغن ، رباب ، عود ، مزمار ، معزف ، موسيقى ، دف ، نوبة ، بوق » فضلاً عن ترجمته لسير عدد كبير من معني العرب ومؤلفهم في الموسيقى .

(١) لم يترجم كتابه المقد الفريد الى أية لغة اجنبية حتى الآن .

(٢) راجع التعريف بسمعية السكاون في الحواشي التالية لهذه .

(٣) ان الجانب الأكبر مما سأمرده من معلومات عن الأستاذ فارمر ، اقتبسته من رسالة شخصية وجه

بها الي بتاريخ ٧ شباط سنة ١٩٥٦ من المدينة التي يقيم بها الآن في انكلترا (غلاسكو) .

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للإصمغاني

وكتب الأستاذ فارمر أيضاً ، الفصل الخاص بالموسيقى ، في كتاب « نظرات في الفن الفارسي The Survey of Persian Art » الذي نشره « آرثر أوفام پوپ » Arthur Upham Pope (طبعة أكسفورد سنة ١٩٣٨ م) . كما كتب عدة موضوعات في معجم (كروف) عن الموسيقى والموسيقيين Grove's Dictionary of Music and Musicians منها : « الموسيقى العربية زمن الخلافة ، الموسيقى العراقية ، الموسيقى الفارسية ، الموسيقى المغربية ، الموسيقى البربر ، موسيقى الاسلام ، الموسيقى المراكشية (صراكشي أسبانيا) ، الموسيقى التركستانية ، الموسيقى السريانية ، الموسيقى المصرية وموسيقى الصوفية والندراويز » الخ .

وهو الآن متفرغ للكتابة في مواضيع الموسيقى الاسلامية لدائرة المعارف الاسلامية التي ستصدر باللغة الأردنية . هذا إلى جانب مقالات وبحوث عديدة في الموسيقى العربية نشرها في مختلف أدوار حياته في المجالات التالية أسماؤها :

Musical Standard, The Musical Times, The Music Review, Music And Letters, The Journal of the Royal Asiatic society, The Transactions of the Glasgow University, (Oriental Society), Islamic Culture (Hyderabad).

ورسالته الأخيرة التي ترجمها الآن ، صدرت سنة ١٩٥٥ م باسم « أسماء الأصوات في كتاب الأغاني الكبير »^(١) .

آثار المستشرقين في الموسيقى العربية قبل فارمر :

سبق الدكتور فارمر عدد من المستشرقين بحثوا في النواحي التاريخية والفنية والعلاقات العالمية للموسيقى العربية ، وبحث بعضهم في تأثيرها في موسيقى الغرب ، ولكن أغلبهم لم يكن متخصصاً متفرغاً . وسأحاول أن آتي في الأسطر الآتية إلى سرد ما وقفت عليه من تأليفهم

(١) أعلمني أنه أصدر كتاباً في الموسيقى الأوروبية خلال سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م منها : كتاب « التأليف للموسيقى في العصور الخالية Making of Music in the Olden Days » وكتاب « كوست هاندل وغيرها من تطورات الموسيقى العسكرية Handel's Kettledrums and other papers on Military Music » وكتاب « الموسيقى العسكرية Military Music » وكتاب « الفارس زفرताल Cavaliere Zavartal » وكتاب « تاريخ الجوق الموسيقي لفرقة الملكية الآلية ماين ١٧٦٢ - ١٩٥٣ م » .

خروجيس ففتح الله

وآثارهم ليتسنى للقاري فرصة المقايسة بأعمال الأستاذ فارسي ، الذي سيدو ولا غرو ، مكتسباً ميدان التأليف في الموسيقى العربية منذ عرفه عالم التأليف والاستشراق ، وأمل هذه المقارنة هي جل ما يمكن أن تقدمه في الوقت الحاضر من مكافأة حسنة واعتراف بالجميل للأستاذ الجليل .

* * *

كان أندريه Andres الإسباني أول من قدم ، من المستشرقين ، أثراً موسيقياً بعد (هربان) ^(١) ، بتصنيف مؤلف كامل عن الموسيقى العربية ، أصدره سنة ١٧٨٧ م بعنوان « صحائف من موسيقى العرب Cartas sobre le Música de los Arabes » . وفي سنة ١٨٣٩ م ألّف « بوركستال » ^(٢) كتاب « الموسيقى العربية والفارسية » طبع في فيينا بعنوان Literatur : der Arabische und Persische Musik.

ونشر « كوسكارتن » ^(٣) جزءاً من كتاب الأغاني للأصهباني باللغة اللاتينية مع تعليقات فنية وتاريخية ذات قيمة علمية صدر سنة ١٨٤٢ م بالعنوان Alii Ispahanensis liber : Cantilonarum magnus Arabice editus adjectaque translatione adnotationibus-que illustratus ab J.G.L. Kosegarten.

ونشر المؤلف نفسه في مدينة (بون) سنة ١٨٤٤ م كتاباً في الموسيقى العربية باسم « المؤلفون المسلمون في نظرية الموسيقى » Die Moslemischen Schriftsteller

(١) Herbin (١٧١٦ — ١٧٩٥ م) مستشرق فرنسي ألف في أصول اللغة العربية وله معجمان عربي فرنسي وفرنسي عربي ، كتب عدة من الرسائل والبحوث في الموسيقى العربية عند قدماء العرب لم تنف على شيء منها .

(٢) Purgstall (١٧٧٤ — ١٨٥٦ م) مستشرق نمساوي معروف ، درس الآداب الشرقية في جامعة فيينا ثم أصبح مدرساً وأستاذاً فيها . ألف عدة كتب في العرب منها تاريخ الفلاسفة وتاريخ آداب العرب ومما ترجمه إلى الألمانية ديوان النقي .

(٣) Kosegarten (١٧٨٢ — ١٨٦٢ م) مستشرق ألماني ، درس العربية في غريفالذ في باريس وتلمذ على دي ساسي المستشرق الشهير ، وأصبح معلماً للغات الشرقية في فيينا ، نشر عدة كتب عربية منها « كتاب الموسيقى الكبير للفرابي » .

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للأصمغاني

« Über Theorie der Musik » .. ونشر « كايستوت » Kiesewtter كتابه « الموسيقى العربية من مصادرها Die Musik, der Araber nach original quellen » في لايبزك سنة ١٨٤٢ م . وطبعته جمعية الشرق الاميركية رسالة بقلم إيلي سميث Eli Smith « رسالة في الموسيقى العربية A. Treatise on Arabic Music » سنة ١٨٤٧ م . وأصدر الباحث الاسباني سوريانو فورنيس Soriano Fuertes كتاباً عنوانه « الموسيقى العربية الاسبانية Musica Arab-Espanola » نشر في برشلونة سنة ١٨٥٤ م .

وفي كتاب عن « تاريخ الموسيقى Geschichte der Musik » مؤلفه أمبروزي A. Ambros ظهر في برسلو سنة ١٨٦٢ م ، بحث عن الموسيقى العربية اطلعنا على ترجمته الانكليزية ، وطبع المستشرق سلفادور دانييل Salvador Daniel عام ١٨٦٢ م في الجزائر كتابه « الموسيقى العربية La Musique Arabe » . كما أتى وقفته أيضاً على كتاب « الموسيقى العربية » سلكها بالموسيقى اليونانية والألحان النربغورية La Musique Arabe, ses rapports avec la Musique Grecque et le Chant Gregorien . طبع في الجزائر عام ١٨٧٩ م . والمستشرق الروسي كريستيانوفتش Christianowitch كتاب قيم في الموسيقى العربية باسم « نبذة تاريخية في الموسيقى العربية القديمة Esquisse Historique de la Musique Arabe aux Temps Anciens » طبعه في كولون عام ١٨٦٣ م مزيئاً برسوم للفلاهي العربية . وأصدر المستشرق المعروف بارييه دي مينسار^(١) أول دراسة فنية لحياة موسيقار عربي وهو إبراهيم بن المهدي Ibrahim, fils de Mehdi ، نشره في المجلة الآسيوية سنة ١٨٦٩ م ثم طبعه كتاباً .

وفي هذه المجلة نُشرت مقالات وبحوث عن الموسيقى العربية في غاية الأهمية . فمثلاً نشر الأستاذ كوستان دي پرسفال^(٢) مقالاً مطولاً باسم « ملاحظات عن الموسيقيين العرب

(١) Barbier De Meynard مستشرق فرنسي نشر عدة كتب عربية وترجم الأجزاء الثلاثة الأولى (من أصل أربعة) لمروج الذهب للمسعودي إلى الفرنسية .

(٢) Gaussin De Perceval (١٧٥٩ - ١٨٣٥ م) مستشرق فرنسي وأستاذ في معهد الدراسات الشرقية الفرنسي وعضو في المجسم العلمي للكتابات والفنون الجميلة .

خروجيس فتح الله

« Notice sur les musiciens Arabes » سنة ١٨٧٣ م . ونشر فيها سنة ١٨٨٤ م « دراسة
 لثلاثة موسيقيين عرب Etude sur Trois Musiciens Arabes » بقلم سسي . هوارت
 C. Huart . وكتب المستشرق الفرنسي كيار^(١) ، كتاباً في الموسيقى العربية باسم
 « نظرية خاصة في العروص والموسيقى » نشره سنة ١٨٧٦ م . ونشر البارون
 كارا دي فو في المجلة الآسيوية أيضاً بحثاً في « الصلات الموسيقية : أو رسالة تُسرفه الدين ،
 (الشرفية) لصفى الدين عبد المؤمن البغدادي سنة ١٨٩١ م باسم « Le Traité des Rapports
 Musicaux, ou d'épître Scharaf Ed-din, par Safi Ed-din 'Abd el-Mumin Albag-
 dadî. (Carra de Vaux) » وهو مستشرق معروف بتبعاته الرياضية والفلسفية العربية . وألف
 جي . دولفين G. Delphan وإل . كوين L. Guin الفرنسيان كتاب « ملاحظات حول
 الشعر والموسيقى العربيتين في الجزائر بالمغرب » طبعاه في باريس سنة ١٨٨٦ م بعنوان : « Notes
 Sur la Poésie et la Musique Arabes dans le Maghrib Algérien » .
 وكتب المستشرق الإيطالي ب . تريبدو كتاب « دراسات في الموسيقى العربية
 P. Tripodo: Lo Statod delgi studii sulla musica degli Arabi » طبع في روما سنة
 ١٩٠٤ م . ونشر الأب كولانكيت في المجلة الآسيوية مجموعة مقالات متسلسلة على جانب من الأهمية
 في الموسيقى العربية بعنوان « دراسة في الموسيقى العربية Etude Sur la Musique Arabe » نُشر
 ما بين سنوات ١٩٠٤ — ١٩٠٦ م . ونشر الأستاذ ميتجانا R. Mitjana سنة ١٩٠٦ م تبعة عن
 « الاستشراق الموسيقي والموسيقى العربية L'Orientalisme Musical et la Musique
 Arabe » نشره في مجلة العالم الشرقي Le Mond Oriental . وكتب لافاج La-Pfage كتاباً
 عن الموسيقى العربية يشمل كل ناحية من نواحيها الفنية والفاريجية واللاهية وأغانيها بثلاثة
 مجلدات ، نشره في تونس سنة ١٩٠٥ م باسم « La Musique Arabe: Ses instruments, ses
 chants, facicules » .

* * *

(١) Gauyard (١٨٢٤ — ١٨٨٤ م) مستشرق فرنسي درس العربية في معهد فرنسا وله عدة كتب

وبحوث استشرافية .

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للأصمغاني

لم يسكن هؤلاء المؤلفون منصرفين بكليتهم إلى الناحية الموسيقية ، دلت على ذلك مؤلفاتهم وبحوثهم الأخرى ، لسكن عالم الإستشراق لم يكن عقيماً بأشكال الأستاذ فارص ، لأنه أنجب بشخص الأستاذ لاند J. P. N. Land والأستاذ جول راوونيت باحثين متفرعين للموسيقى ، وهو أمر قد يحملنا على اغتفار الكثير من الثمرات الفنية والتاريخية فيما كتبه الأخير منها . وهذه طائفة من الكتب التي ألفها الأستاذ « لاند » في هذه اللغات : الفرنسية والانكليزية والهولندية والألمانية . .

(١) بحوث في تاريخ الكوثر العربية — طبع ليدن سنة ١٨٨٤ م .

Recherches sur l'histoire de la Gamme Arabe.

(٢) ملاحظات حول التطورات الأولى التي طرأت على الموسيقى العربية .

Remarks on the Earliest development of the Arabic Music.

(٣) بحوث في التدوين الموسيقي عند العرب والفرس — طبع ليدن سنة ١٨٨٥ م .

Over de Toonladders der Arabische Musick.

(٤) عن السلام الموسيقية في الموسيقى العربية — طبع أمستردام سنة ١٨٨٠ م .

(٥) نماذج من النغم والالحان الإسلامية في القرون الوسيطة (مجلة الموسيقى الدورية) .

Tonschriftversuche und Melodieproben aus dem Muhammeden hon Mittelalter (Vierteljahrsschrift für Musik wissenschaft.

أما آثار الأستاذ « راوونيت » فهي الكتب والبحوث الآتية : —

(١) بحث نشره في مجلة « ميركور موزيكال » Mercure Musical سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م

« المدخل في تاريخ الموسيقى العربية » Esquisse pour une histoire de la Musique Arabe

(٢) الغناء الشعبي العربي — نشره في سنة ١٩٠٥ م في مجلة « ريفيو موزيكال » Revue

« Musical Le Chanson Populaire Arabe .

(٣) كتاب معالم الموسيقى العربية والغربية (بالتدوين الموسيقي الحديث) طبع في

جرجيس فتح الله

الجزائر سنة ١٩٠٥ م بالاشتراك مع (R. N. Yafil)
Eépertoire de Musique Arabe et

Muàre (Notation Modern)

(٤) الموسيقى العربية (مناقشة في مؤتمر المستشرقين الدولي بالجزائر سنة ١٩٠٥ م)

طبع في الجزائر (Conférence au Congrès des Orientalists
La Musique Arabe (d'Alger, 1905) .

هذا غير ما ساهم به في الموسيقى العربية في معجم لافينياك الموسيقي كما سيأتي بيانه .

* * *

نما أردنا ذكره من الجهود العلمية للمستشرقين في هذا الميدان ، سيلحظ القاري ، ولا شك ،
أن تأليف الباحثين والمستشرقين في الموسيقى كاد يقف تماماً في مفتتح القرن العشرين ، وأن
الاستاذ قارمر كان ربان السفينة الاوحد خلال النصف الأول من هذا القرن ، وسيد الميدان
الذي لم ينازعه فيه أحد . وأن ما آلفه إلى الآن يكاد يكون مكتبة صغيرة وسيكون حكمك على
هذا العالم الجليل من كتابه الذي نقلناه في الصفحات التالية قلى الترجمة :

أسماء الأصوات في كتاب

« الأغاني » الكبير

THE SONG CAPTIONS IN THE KITAB

AL-AGHANI AL-KABIR

لاجرم لقد استأهل كتاب أبي الفرج الاسماني (٨٩٧ - ٩٦٧ م = ٢٨٤ - ٥٣٥٧ هـ) الشهير ،

ثناء المؤرخ العربي العظيم « ابن خلدون » حين فقه به « ديوان العرب » . هذا الكتاب الذي

لا يعدله كتاب ، والغاية التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها ، والجامع لأشتات كل فن

من الفنون ، إنما هو سجل بالأغاني والمغنين ، والموسيقيين والشعراء والمأزفين منذ عهد الجاهلية

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للأصبهاني

حتى القرن العاشر الميلادي ، فضلا عن كونه أئمن التواريخ طرآ . جمع مؤلفه ما فيه من أخبار من مؤلفين لم يكتب لمؤلفاتهم النجاة من غائلة التدمير البربري الجائع للكتبات . أما وأن الأصبهاني كان على دراية تامة بعلم الموسيقى ، فهذا ما يستخلص من عنواني كتابين آخرين من تأليفه وهما « كتاب في النغم Book About Melody » و « كتاب أدب السماع Book of Music » . في حين تتناول مكانته ، بوصفه مؤرخاً من الثقافات ، بإيراده المنسقى المتسلسل من الأنساب ، كأسانيد لأخباره ، تلك الأسانيد التي كانت أهميتها عنده تعدل أهمية سلسلة السند الطويلة إذ يتسابق إلى إيرادها مدونو حديث الرسول (ص) .

ويدلّ عنوان كتابه ، على أنه كتاب للأغاني كبير الجرم ، وهو الحق يقال ، أكبر كتاب وضعه كاتب في مثل هذا الباب . فقد سلخ في تأليفه خمسين سنة كاملة . على أن ما يهمنا منه الآن ليس أخباره بل « أغانيه Songs » ولا سيما تلك التي قال عنها في كتابه ، إنها كانت تغني مما اعتاد نغمته في كتابه باسم « أصوات ، وصوت Vocal Pieces » . كل صوت من هذه الأصوات يرد في كتاب الأغاني يكاد يكون غير عاطل عن العنوان أو الاسم ، نغمته رأساً جملة مركبة من عدة كلمات تتضمن ، الإيقاع أو الطريقة Rhythmic modes أو الأصابع Melodic modes مما يؤدي به الغناء . ويبدو ، مع هذا ، أنه لم يتسنّ لأحد خلال السنوات الألف المنصرمة ، أن يعبط اللثام عن سرّ التركيب الدقيق لهذه النغم (٢) Modes ، حتى آلت النتيجة إلى أن المستشرقين في العلوم العربية ما اشتهوا أن وجدوا أنفسهم في الوضع الذي سار إليه أصر المستشرقين في العلوم العبرانية عند بحثهم في أصوات المزامير ، بفارق واحد ، هو أن هؤلاء الأخيرين قد يئسوا ، على

(١) في وصف هذين الكتابين انظر الصفحات ٣٦٨ - ٣٨٠ من كتابنا الموسوم « مصادر الموسيقى

العربية (طبع ١٩٤٠ م) .

(٢) إستعملت هنا لفظة « النغم » لما يقابل كلمة Mode التي أوردتها المؤلف في المتن لأنها أقرب إلى مفهوم السياق مما اتخذت لغيره ، ذلك لأن الأستاذ فارسي دأب على استعمال هذا الاصطلاح الغربي الدلالة على أكثر من ستة مفاهيم في مختلف كتبه الموسيقية ومنها : (طريقة ، لحن ، شد ، جمها شدود ، دور ، غناء ، مقام) الخ ... (ملاحظة المترجم) .

ما يبدو ، من حل مشكلهم فتكسوا على أعقابهم مستسلمين .

وفي الواقع أن المستشرقين لم يهتموا قضية حل هذا المشكل ، ففي عام ١٩٠٦ م نشر المرحوم الأب « كزافييه موريس كولانكيت ^(١) » حلولا للامابع مستخدماً دليلاً من رسالة ابن النجيم ^(٢) ، وقام بنشر هذا الحل في المجلة الآسيوية . معقباً مقاله باقراره انه لم يكن مطمئناً الى النتيجة اطمئناناً تاماً ، قال :

« هنالك حلول أخرى ممكنة ومرضية كذلك ، لكن هذه وتلك ، قد تثير اعتراضات هنا وهناك » .

إن ترجمة الاب كولانكيت لهذه الأسماع Modes والنغم Notes التي بناها على شد الإوتار ، برهنت على أهمية رأي ، على أنني ناقشته شخصياً في المشكلة عندما كنا في القاهرة سنة ١٩٣٢ م بحضور اجتماعات مؤتمر الموسيقى العربية ، عرضت عليه نظاماً آخر لهذه الأسماع Melodic Modes وبين يدي وأثناء ذلك ، رسالة ابن النجيم ، فشايئني في رأيي وعلق بقوله :

« إنها تبدو تفسيراً مقولاً في ظاهرها » .

ثم إن « جول راوونيت » تصدى لهذا الموضوع في الفصل الخاص بالموسيقى العربية La Musique Arabe من دائرة المعارف الموسيقية للأغنياء ^(٣) ، ولكنه قام بنقل حلول

(١) المجلة الآسيوية Journal Asiatique العدد (١٠) سنة ١٩٠٦ م ، ص ١٦٦ - ١٦٨ . (ملاحظة المترجم) :

إن الأب كولانكيت (١٨٦٠ - ١٩٣٤ م) مستشرق لبناني السكنى ، فرنسي الأصل ، كان أستاذ علم الطبيعيات في كلية الطب الفرنسية ببيروت منذ سنة ١٨٩٨ م . أُنخب سنة ١٩٣٢ م رئيساً للجنة السلم الموسيقي العربي في مؤتمر الموسيقى بالقاهرة . وله بحوث عربية قيمة . توفي في لبنان Pero Xavier Maurice Collangettes .

(٢) يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور (٨٤٦ - ٩١٢ م = ٢٤٢ - ٣٠٠ هـ) الشاعر الموسيقي البعلبكي صاحب كتاب (النغم) الذي نشره الأستاذ محمد بهجة الأثري عن نسخته الفريدة في المتحف البريطاني وقد اعتمدناها في بحثنا هذا .

(٣) (ط . باريس ١٩٢٢ م ج ٥ : ص ٢٧٠١ - ٢٧٠٤) Lavignac : Encyclopedie de la Musique (la Musique Arabe) .

في معاني أسماء الأصوات في «كتاب الأغاني» للإصمعياني

الأب كولانكيت ليس إلا . أما «الايقاعات أو الطرائق» فقد تصدى لها كاتب البحث بتفصيل في كتابه الموسوم «سمعية الكاون : في التأثير الموسيقي Sa'adyah Gaon on the Influence of Music» المطبوع عام ١٩٤٣ م^(١) . في هذا الكتاب شرحتُ بأسهب وتطويل الاصابع التي ذكرها ابن الكندي (ت . حوالي ٨٧٤ م = ٢٦١ هـ) ، وسمعية الكاون (ت . ٩٤٢ م = ٣٣١ هـ) ، والفارابي (ت . حوالي ٩٥٠ م = ٣٣٩ هـ)^(٢) ، والخوارزمي (عاش فيما بين ٩٧٦ - ٩٨٧ م = ٣٦٦ - ٣٧٧ هـ)^(٣) ، وإخوان الصفا (أواخر القرن العاشر الميلادي) ، وابن سينا (ت ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ)^(٤) ، وأثبتتها كاملة بطريقة التدوين الموسيقي

(١) «الكاون» في اللغة العبرية لغة تعظيم وإجلال ، وتطلق عادة على رئيس المجتمع الديني اليهودي في بلاد السبي (سورا) - وكان (كاون) أحد (السوراثيم) ومركزه العراق بوصفه دار سبي اليهود ، تناف على مركز سوراثيم العراقي (٣٨) كلويم منهم ، الكاون رابي سمعية بن يوسف الفيومي (٨٩٤ - ٩٤٢ م = ٢٧٩ - ٣٣٩ هـ) ، الذي ترأس مجمع سورا سنة ٩٢٨ م = ٣١٦ هـ ، اغترف «سمعية» من علوم العرب الكثير ، وكتب بعض مؤلفاته بالعربية ، لغة العلم والثقافة عند اليهود آنذاك ، كما كانت اللاتينية لدى الغرب . والكتاب الذي نوه به مؤلف هذا البحث ، كتبه سمعية في بغداد باسم كتاب «الامانات والعقائد» نقله الى العربية يهوذا بن طليون المتوفى سنة (١١٩٠ م = ٥٨٦ هـ) . ففي نهاية المقالة العاشرة منه يبحث عن الموسيقى وتأثيرها ، قريب المفهوم جداً من اتجاهات العرب في فهمها تماماً فقرأه في كتاب أحياء العلوم للفرازي ورسائل اخوان الصفا ، لا يدع مجالاً للشك في أمر المصدر الذي استقيت منه . (ملاحظة المترجم) .

(٢) الفارابي (٨٧٠ - ٩٥٠ م = ٢٥٧ - ٣٢٩ هـ) أبو عبد الله محمد بن طرخان الفيلسوف والموسيقي النظري العربي ، التركاني الأصل ، وصل اليانا من كتبه في الموسيقى «كتاب الموسيقى الكبير» وله «كلام في الموسيقى» و «كتاب الايقاع» .

(٣) الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد يوسف الخوارزمي ، مؤلف كتاب عظيم الخطر اسمه «مغناجيع العلوم» هو بمثابة موسوعة علمية عامة ، فيه فصل خاص بالموسيقى النظرية ، ذو قيمة كبيرة ، لتفسيره المصطلحات الموسيقية تفسيراً علمياً وتعريفها تعريفاً صحيحاً . (ملاحظة المترجم) .

(٤) لامن سبنا في كتابه: النجاة والشفاء ، فصلان كبيران في الموسيقى النظرية ، محفوظان في عدة مناحف أوروبية . إن الجزء الخامس منها في كتاب النجاة قد نشره سنة ١٣٥٣ هـ السيد عبد الله العلوي . طبعه في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الذي باسم «رسالة في الموسيقى» وسأقوم بنشرها في المستقبل القريب مع تصحيحها وشرحها بصورة علمية . (ملاحظة المترجم) .

الحديث^(١) أما تلك التي ذكرها الاصمهاني ، وابن خرداذبه^(٢) من قبله ، فلم أقصد شرحها في كتابي الذي أسلفت التنويه به ، على أنني سأتناولها بالبحث هنا .

تري ما كنه تلك الطرائق (الإيقاعات Rhythmic) الأصابع Melodic Modes التي زخر بها كتاب الأغاني الكبير للاصمهاني ؟ .

إن الطريقة أو الإيقاع : هو توالي ضربات صوت مقنن معلوم ، أو بعبارة أخرى (دروب) ذات أزمان مختلفة ضمن دور ينتظم جملة موسيقية . وابن خرداذبه (ت حوالي ٩١٢ م = ٣٠٠ هـ) الذي يخبرنا بأن « منزلة الإيقاع Rhythm من الغناء Music بمنزلة العروض Prosody من الشعر^(٣) » ، ربما قصد بالعروض البحر Metre . ولقد استعمل الملحنون الغربيون في القرون الوسطية « الأصابع » ، لكن الموسيقى منذ عهد « إحياء العاوم Renaissance » عادت غير مقصورة على أنماط ذات أشكال محددة مقننة . إن الأصابع هو تعاقب نغمات Notes ذات نبرات Intervals مختلفة ضمن فـسـدر من الزمن صيغت فيه جملة موسيقية . وكانت أمة الأغريق ، والكنيسة المسيحية في القرون الوسطية تستعملان الأصابع^(٤) أيضاً . لكن هذا النظام اندثر بتقدم المدنية الأوروبية ، ولم يبق له أثر إلا في موسيقى الصلاة المسيحية في الكنيسة . وحل محلها ما يدعى بـ Keys^(٥) التي بقيت محافظة على شيء من التركيب الاصبعي Modal

(١) المرجع السالف (المصادر ...) الصفحات ٨١ - ٨٩ .

(٢) أبو القاسم عبدالله بن خرداذبه الفارسي الأصل تلميذ إسحق الموصلي في الموسيقى والغناء ، والجغرافي المعروف بكتابه المسالك والممالك . كان في سامراء بين سنتي ٨٤٤ - ٨٤٨ م نادماً الخليفة ، لم يرضى اليما من كتبه الموسيقية غير كتاب أدب السماع ، « توجد منه نسخة فريدة في مكتبة حبيب أفندي الزيات . (ملاحظة المترجم) .

(٣) السموذي صاهج الذهب (الترجمة الفرنسية) باريس ١٨٧٤ م ، ج ٨ : ص ٩٧ .

(٤) تاريخ أكسفورد الحديث للموسيقى لندن ١٩٥٤ م ، ج ٢ : ص ١١١ و ٣١٨ .

(٥) إن أنصاف النغمات الاثني عشرة في الصنف (الأوكلاف) من السلم الموسيقي الأوروبي تساعد كل Mode من البعدين الكبير Major K. والصغير Minor K. على تخرج اثني عشرة حالة نغم ، وهذا أدى إلى أن يظهر في عالم الوجود اثنا عشر نغمة key كبيرة واثنا عشر نغمة key صغيرة . فهو والحالة هذه ، =

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للإصمغاني

Structure في شكلين من أشكالها ، في الوقت الذي أفرت فيه بكثير من امتداد نفوذ مبدأ الأصابع عليها .

وما نراه في كتاب الأغاني على العموم ، عنوان صوت من الأصوات ، فيه نجد اسم المعنى والناظم والملمح متبوعة بمصطلحات تشير إلى إيقاعه وأصابعه مع ذكر عروض البيت الشعري أحياناً ، أو ذكر الأبيات الأخرى التي يمكن غناؤها على تلك (الطريقة) ، أو أي من الأبيات تنفس على (طريقة) أخرى .

واليك أنموذجاً اعتيادياً لا أكثر وروده في كتاب الأغاني ^(١) :

لا ... الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج . وله فيه لحنان : رمل Rhythmic Mode بالسبابة في مجرى البصر ، Melodic Mode ، عن إسحق الموصلي ، وخفيف ثقيل (أول) Rhythmic Mode بالبصر Melodic Mode عن عمرو بن بانه ^(٢) .

إن وصف هذه الأصابع بالنسبة إلى رواية إسحق الموصلي لها واضح بما فيه الكفاية ؛ إلا أن رواية عمرو ^(٣) بن بانه ليس فيها الكفاية من الإشارة إلى أصابع الصوت ، والأصمغاني نفسه عاب على عمرو بن بانه (ت ٨٩١ م = ٢٧٨ هـ) مؤلف كتاب « مجرى الأغاني » ، مسميته الموسيقية « Nomenclatur الناقصة » ، باعفاله ذكر الأصابع . وهو الذي شاهدناه في الفقرة التي اقتبسناها آنفاً . فعمرو ، يخبرنا عن « مجرى Course » الأصابع دون إخبارنا عن ماهية الأصابع بالذات ، وهو ما يشبه القول عندنا : إن اللحن من المقام الكبير Major key من دون إيراد درجة النغمة لذلك المقام . ولقد عيب على ابن بانه هذا ، لإطلاقه الأسماء المهجورة على

== وضع السلم الذي نكتب به الموسيقى الأوروبية في إصبعها : الكبير Major key والصغير Minor key . (ملاحظة المترجم) .

(١) كتاب الأغاني ط . بولاق سنة ١٨٦٨ م ، ج ١ : ص ٢٤ .

(٢) هو عمرو بن محمد بن سليمان بن رشيد تلميذ إسحق الموصلي في الغناء ، وأعيد مشايخي إبراهيم بن المهدي في المدرسة . غنى في بلاط المأمون واشتهر أيام المعتصم وندم المتوكل . (ملاحظة المترجم)

(٣) فارسي « مصادر ... » ص ٢١ ، ويسمى أيضاً « ابن بانه » .

الطرائق (الايقاعات) ووجه انتقاد مشابه ، على يحيى المسكي^(١) (ت حوالي ٨٢٠ م = ١٢٠٥ هـ)^(١) للسبب نفسه ، وكان مؤلفاً لكتاب في الأغاني^(٢) . إلى هذه النقائص والميوب ، يُعزى شيء قليل من الصعاب التي نقلناها في حل اللغيف المعقد من أسماء الأغاني في كتاب الاصمهاني . على انه يوجد ثمّ مئات من الأصوات الصحيحة التسمية في هذا الكتاب مما يشمل كل الايقاعات والأصابع المعروفة . ومن هذه الأصوات نستطيع أن نتدارس المشكلة دون كبير عائق .

إن « الايقاعات أو الطرائق » التي وردت عند الاصمهاني هي ، بوجه عام ، الآتية :

- ١ — ثَقِيلُ أَوَّل .
- ٢ — ثَقِيلُ ثَانِي .
- ٣ — خَفِيفُ ثَقِيلُ أَوَّل .
- ٤ — خَفِيفُ ثَقِيلُ ثَانِي .
- ٥ — رَمَل .
- ٦ — خَفِيفُ رَمَل .

(١) هو يحيى بن مرزوق مولى بني أمية ، قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته ، وكان يعني صريحاً ومخلصاً بمجلس المعتد مع الغنم فيقوم (ايقاع) بقضيب Wand على دواة . وكان من أساطين الغناء القديم . له كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها ، يشمل على نحو من ثلاثة آلاف صوت . ومع أن إسحق القرظلي كان يقدمه كثيراً إلا أنه كان يمينه ، كغيره من منقديه ، على نسبة بعض الغناء إلى المتقدمين من الفنانين بينما هو من عمله . (ملاحظة المترجم) . مجلة المجمع : إن كان يحيى المسكي قد توفي سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م فقد استحال أن يكون ممن يحضر مجلس الخليفة المعتد على أنه بعد منتصف القرن الثالث للهجرة .

(٢) غارمر : « مصادر ... » من ١٥ . يقول صاحب الأغاني : « ... وهذا عمرو ابن بانه وهو من تلاميذه ، أي من تلاميذ إسحق يقول في كتابه (أي بحري الأغاني) « الرمل الأول » و « الرمل الثاني » ثم لا يزيد في ذكر الأصابع والوسطى والبصر ولا يعرف بالمجاري التي ذكرها إسحق ... » . (ملاحظة المترجم) .

في معاني أسماء الأصوات في «كتاب الأغاني» للأصهباني

٧ - هَزَج .

٨ - خَفِيفٌ هَزَج .

ولنا أن نصيف إلى الجدول «الرمل الطنبوري» الذي قد يكون اسماً ثانياً للنوع الأخير من الجدول . على أن الأصهباني لم يأت إلى شرح طريقة واحدة من هذه الطرائق شرحاً علمياً ، وإن كان إسحق الوصلي قد ترك لنا فقرة تتعلق بالفرق بين «الثقيل الأول» و «الثقيل الثاني» مع خفيفيها . ثم إن ما أسماه إسحق «أولاً» دعاه إبراهيم بن المهدي ^(١) «ثانياً» ، وقد أثبت الأصهباني مشادات عديدة بينها في هذا ^(٢) الموضوع ، وكان هذا الخلاف سبباً لقياس اضطراب عظيم بين «الطرائق» .

هنالك معلومات ضئيلة لا تكاد تذكر ، يمكن التقاطها من كتاب مروج الذهب للمسعودي (ت ٩٥٦ - ٩٥٧ م - ٣٤٥ - ٣٤٦ هـ) كان الناطق بها ابن خرداذبه . يذكر هذا ، «الطرائق» ، كما أوردها الأصهباني ، وهو المتوقع منه لسكونه تلميذاً لإسحق الوصلي أيضاً كالأصهباني . ومن المؤسف حقاً أنه قد وجد في كل المخطوطات الستة لمروج الذهب التي اعتمدها مؤلف هذه الرسالة ، التي رجع إليها «باربييه دي مينار» من قبله ، فراغات بيضاء في صلب هذه الفقرة ، لا يمكن معها الوصول إلى وصف أكثر من خمس طرائق من أصل ثمان وهذه هي الفقرة مع فراغاتها ^(٣) :

(١) لم يكن إبراهيم بن المهدي (ت ٨٣٩ م - ٢٢٥ هـ) موسيقياً محترفاً . فهو حفيد أبي جعفر المنصور وابن الخليفة المهدي وأخو الخليفة الرشيد ، لكنه ترك للتاريخ ذكرى «عباس عاقل» فتان شغف بالموسيقى مع صوت رائع جميل أغانيه تجري على السنة العامة من سكان بغداد . لقد بلغ من عمق صوته أنه زعم لنفسه القدوة في الغناء على طبقة الآلة التي يستعملها ثم من ضعفها (أو كثافتها) ثم من طبقة الوتر الغليظ ثم من ضعفه . نوذي به خليعة بضمة أيام قبل دخول المأمون إليها بعد مقتل الأمين ، وذلك مما أحفظه عليه ، ولكنه عفا عنه وتركه موزع الوقت بين الممارسة الموسيقية والاستماع إلى المغنين . (ملاحظة المترجم) .

(٢) الأغاني ج ١ : ص ٦٢ .

(٣) المسعودي المرجع السابق ج ٨ : ص ٩٧ - ٩٩ .

جرجيس فتح الله

« ... (١) الثقبيل الأول : نَقْرُهُ ، ثلاثة ثلاثة : اثنتان ثقبيلتان بطيئتان ثم نقرة ^(١) واحدة . (٢) الثقبيل الثاني « فراغ . . » . (٣) خفيف الثقبيل الأول « فراغ ... » (٤) خفيف الثقبيل الثاني : نَقْرُهُ ، اثنتان مثوالتان وواحدة بطيئة واثنتان سرودوتان ^(٢) (٥) الرَّمَل « فراغ ... » . (٦) خفيف الرمل : نَقْرُهُ ، اثنتان سرودوتان وبين كل زوج وقفّة Pause ، (٧) الهَزَج : نَقْرُهُ ، واحدة واحدة متساويتان مُنْسِيكَة ^(٣) . (٨) خفيف الهزج : نَقْرُهُ ، واحدة واحدة متساويتان في نسق واحدة أخفّ قدراً من الهزج . ونقل لنا عن هذا الكاتب أيضاً قوله : إن جنس خفيف الثقبيل الأول يسمى (الماخوري) ، لأن إبراهيم الموصلي (ت ٨٠٤ م = ١٨٩ هـ) ^(٤) كان كثير الغناء في المواخير (الحانات) على هذه الطريقة . في أغلب الأحوال يمكن تسجيل هذه الطرائق بالعلامات الموسيقية الصوتية Mensural Notation التي بسطتها وأقيمتها حقها من الشرح في كتابي « سمعية السكاون في التأثير الموسيقي » . إن الأصابع Melodic Modes وجدت أول مدون لها وخالق في شخص ابن مسجّح (ت حوالي ٧١٥ م = ٩٧ هـ) ^(٥) وفي عصر إسحق الموصلي بعده بقرب ، ما لبث أن دب اضطراب عظيم في القيم السلمية لهذه الأصابع . يميز بعض هذا الاضطراب

(١) يعني وقفّة بين كل ثلاث ضربات .

(٢) أعني سرودوتين . (ملاحظة المترجم) .

(٣) أي منفردة . (ملاحظة المترجم) .

(٤) أبو إسحق إبراهيم بن ماهان (أو ، بدون الموصلي) المولود سنة ٧٤٣ م = ١٢٦ هـ . أصله فارسي لكنه نشأ في عرب بني تميم واستقر في الموصل ، ثم شغف إلى الري فأخذ الغناء الفارسي ، ثم أرسله عادل الخليفة هناك إلى بغداد حيث عظمي بالخدم على سائر موسيقيي عصره في بلاط الرشيد ، الذي أحبه حباً جماً وخصه بمناصبه فأصاب شهرة عظيمة واثروة أعظم . ويقلده « ابن خلكان » فعلى اختراع أصوات جديدة وينسب إليه وضع تسمة الحن (صوت) . (ملاحظة المترجم) .

(٥) كتاب الأغاني ج ٣ : ص ٨٤ . وهو سعيد بن مسجح ، ولي بني جهم . عبد أسود مسكي من فحول المغنين وأول من دون الغناء ونقل غناء الفرس والروم إلى الغناء العربي في العصر الأموي ولأجل ذلك طاف كل هذه البلاد . غني امام المدينة المنورة « عبد الملك » فاستحسن غناؤه وعادل عن عقابه . كانت وفاته أيام الوليد الأول . (ملاحظة المترجم) .

في معاني أسماء الأصوات في «كتاب الأغاني» للأصمغاني

إلى إتمام النغم الأنجمية في كيان السلم الموسيقي العربي الذي كان حتى ذلك الزمن سلماً فيثاغورياً^(١) بسيطاً سهل التناول. ومن تلك النغمات المدخيلة، نغمة «البعد ذي الثلاث الأصغر Minor Third» الفارسية (قياسها ٣٠٣ ذرة Cents) التي هي أحد قليل من النغمات العربية الفيثاغورية (قياسها ٢٩٨ ذرة Cents) بينما زاد في الارتباك نغمة «البعد ذي الثلاث الناقصة Neutral Third» (قياسها ٣٥٥ ذرة Cents) التي سميت بالزلزلي^(٢)، وقد لاقت انتشاراً وذبوحاً عظيمين.

وأما من كل ذلك، شيوخ استعمال الطنبور الخراساني، وهو الطنبور الطويل العنق الذي سميت دسماطين لوح أصابعه، بإدخال سلم جديد يبدو «بقية Limma»^(٣) (قياسها ٩٠ ذرة Cents) ثم بقية (٩٠ ذرة Cents) ثم كوما^(٤) Comma (قياسها ٢٤ ذرة Cents).

(١) من الحقائق الثابتة في علم الموسيقى، أنه مهما تعددت تقسيمات السلم واختلفت نسب الأنغام، فلا بد من وجود سلم قياسي يبين بواسطته القوارق الصوتية بين درجات سلم أو آخر. وكان السلم الفيثاغوري قائماً بهذه المهمة، (نسبة ال مدرسة الفيلسوف اليوناني فيثاغورس من القرن السادس ق. م). ويتألف من خمسة أبعاد طنينية نسبة كل منها ٩/٨ من الوتر ومن عشرين قيمة كل منها ٢٥٦/١٣ من الوتر، أي سبع نغم رئيسية. وأما العرب فقد استعملوا هذا السلم زمناً ثم أضافوا ال نغمة السبع الرئيسية، عشر درجات فرعية لتسهيل الدلالة على أنواع الأبعاد الموسيقية وللتقليل من علامات التحويل (البمول) التي يستلزمها التعبير عن سبائر نسب الأنغام فيما لو انحصرت على درجات السلم نفسه، واعتبرها كتاب العرب في نظرية الموسيقى أنغاماً أصلية أيضاً وهذا ما يقصده المؤلف. حتى أنك تجد في رسالة ابن المنجم ما يفيد ذلك. (ملاحظة المترجم).

(٢) منصور زلز الضارب الدوفي (٧٩١ م - ١٧١ هـ)، هو أخو زوجة إبراهيم الموصلي ومن أشهر ضاربي الطنبور والعود في العصر العباسي ولم يعرف في الغناء. وهو مخترع عود الشبوط الذي حل محل العود الفارسي القديم، وهذا السلم المنسوب إليه يسمى الآن «بيكاه» وقياسه ٢٢/٢٧. التاريخ الجديد لا كغورد في الموسيقى ج ١: فصل ١١ (ملاحظة المترجم).

(٣) الأيا، هو بعد من الأبعاد الصوتية دقيق الدرجة يسمى بالعربية (البقية) وهو أقل من البعد ذي النصف (أقل من نصف صوت) ونسبته الرياضية هي ٢٥٦/٢٤٣ (ملاحظة المترجم).

(٤) الكوما، وهو بعد دقيق جداً من الأبعاد الصوتية لا تكاد الأذن تميزه بين النغم، أو هو «نبرة» صوتية Interval صغيرة جداً بين نغمتين هما في الظاهر نغمة واحدة تحسب ونفاس بأشكال مختلفة. ففي =

ذرة Cents) (١) شاع هذا السلم وفضلته مدرسة الموسيقيين العربية الحديثة في دار الخلافة بزعامة « إبراهيم بن المهدي » الذي أدخل أيضاً بعض التجديدات في مبادئ الإيقاع كما سبق أن رأينا . ولكن « إسحق الموصلي » زعيم المدرسة القديمة ، اتخذ موقفاً صارماً ضد هذه التجديدات لأنها — كما قال الأصمهاني — كانت تتناول بالتغيير الجوهرى هيكل الموسيقى العربية القديم الاسامي وتميت بتقاليدها قاطبة (٢) . ولما كانت الموسيقى غير مدونة ، وإنما يتم حفظها أحياناً في الذاكرة ، وتنتقل من فم إلى أذن ، إذن كان الخطر من ضياعها أكيداً . ولهذا قرر إسحق الموصلي أن يصحح التركيب القديم للطرائق ، عن طريق الوصف السكلامي في كتابيه (كتاب الأغاني الكبير) و (كتاب النغم والإيقاع) وغيرها من كتبه (٣) . إن مساهمة إسحق الموصلي بمجهوده في ميدان الموسيقى العربية ، حظي بأسمى مدح من الأصمهاني الذي وضع كتابه على أسس إسحق ، قال عنه : —

« ... وهو (أي إسحق) الذي صحح أجناس Genres الغناء Musi وطرائقه Modes وميزه تميزاً لم يقدر عليه أحد قبله ... وهذا كله فعله إسحق واستخرجه بتمييزه حتى أتى على كل ما رسمته الأوائل مثل أفليدس ، ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى ، ووافقهم بتمامه ودعته فيما قد أفنوا فيه الدهور ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه » (٤) .

من المؤسف حقاً ، أنه لم يصل إلينا كتاب واحد من كلا هذين الكتابين لإسحق الموصلي ، وإن كان أغلب ما حواه أولها قد حفظه لنا الأصمهاني . وأما ما يهمنا — وهو التركيب الاسامي الدقيق للأصابع الذي بحثه المؤلف في كتابه الثاني — فقد أنقذه لنا تلميذه ابن المنجم (ت ٩١٢ م) في مخطوطة عدوانها « رسالة في الموسيقى » نستحقها الفريدة محفوظة في المتحف البريطاني (٥) .

== النظرية الطبيعية العامة للصوت يوجد ملينات كبيرة وصغيرة ، والفرق بينهما من النسبة بحيث أصبح مهلاً في التدوين العربي الحديث . لكن الرياضيين الموسيقيين اليونان والعرب حصروه وحسبوه . (ملاحظة المترجم) .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : (لندن ١٩١٣ م — ٩٣٨ هـ) ج ٣ : ص ٧٥٣ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد (القاهرة ١٨٨٧ م) ج ٣ : ص ١٩٠ .

(٣) فارص : مصادر ... ص ١٦ — ١٧ .

(٤) الأصمهاني : كتاب الأغاني ج ٥ : ص ٥٢ .

(٥) المخطوطات الشرقية : (رقم ٢٣٦١) ملف ٢٣٦ — ٢٣٨ . النظر مقالتي في معجم وكروف للموسيقى ==

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للإصمعياني

في تضاعيف ورقات هذه الرسالة تجد الحل الأول والأخير لمفهوم عناوين الأصوات الواردة في كتاب الإغاني للإصمعياني ، على أن التفسير والشرح ليس سهلاً . وليس يتم بمحض رجوعنا إلى ابن النجم واستقاء المعلومات المشودة منه ؛ ذلك لأن الأسماء الموسيقية العلمية لهذه الأصابع مرتبطة ارتباطاً جوهرياً وسينياً بتركيب العود ، حيث إن للدساتين Frets التي على عنق تلك الآلة القول الفصل في حل المشكلة كما يرى من الجدول الذي يبسط الأوتار والدساتين على العود :

الأوتار



الانف . مطلق

الانف . مطلق
الانف . مطلق
الانف . مطلق
الانف . مطلق

G	c	f	bb
A	d	g	c'
Bb	eb	ab	db
B	e	a	d'
c	f	bb	eb
			e'
			f'

سنة ١٩٥٤م، ج ١ : ص ١٨١-١٨٢ . (انتهت ملاحظة المؤلف) . إن هذا الكتاب لم يبق مخطوطاً فقد نشره الأستاذ محمد بهجة الأثري سنة ١٩٥٠م كما أسلفنا .

من الضروري أن نلاحظ بصورة خاصة ، أن أوتار هذا العود وسائر العيدين العربية كانت تحزق وتندسّن على أساس الأبعاد ذوات الأربع السكّالة Fourths عدة قرون . نقول من الضروري لأن « كاتلين شلزسكر » في مقالها المنشور بمجلة « ميوزيكل سستاندرد »^(١) ، قد تمسكت بالفكرة الخاطئة : أن المثنى والثلاث من الأوتار تحزق على البعد ذي الخمس ، كل واحد منها على حدة . وردت فكرتها هذه في جزء المقدمة من تاريخ أ كسفورد للموسيقى (لندن سنة ١٩٢٩ م)^(٢) ، ورغم احتجاجي عليها في كتابي « حقائق تاريخية عن التأثير الموسيقي العربي » (ط . ١٩٣٠ م)^(٣) ، فقد مضت راجية من الشطط في كتابها الموسوم « الناي Aulos الاغريقي » (ط . ١٩٣٩ م)^(٤) . إن التدوين الموسيقي لابن المنجم يصح كذلك تخمينات « ويلي آپيل Willi Apel » في كتابه « معجم هارفرد للموسيقى » (ط . هارفرد ١٩٤٤ م) في زعمه أن الفارابي (ت في حدود ٩٥٠ م) هو الذي أحف العرب بسلم جديد مبني على نبرة Interval البعد ذي الأربع Fourth (البم)^(٥) .

إن الخطوط العمودية في الشكل تمثل أوتار العود الأربعة ، وأسمائها مبتدئة بالأسفل ومنتهية بالأعلى في الدرجة : البم ، الثلاث ، المثنى ، الزير . وتم التسوية Tuning accordatura ببعد ذي أربعة اربعة ، أعني نبرة Interval من بُعد بأربع يفصل ما بين كل وتر من الأوتار بُعد قدره (٤٩٨ ذرة Cents) . أما الخطوط الأفقية - الخطوط المتفرقة - فتمثل الدساتانات الأربعة وأسمائها على الترتيب : السبابة والوسطى والبصير والخنصر . مشتقة من أسماء أنامل اليد الأربع التي تحس تلك الدساتانات ، أما الخط المزدوج الأفقي في الأعلى فيمثل الحلقة الخشب

(١) عدد ٦ شباط سنة ١٩٢٦ م ٤٤ - ٤٦ .

(٢) صفحات ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) صفحات ٢٨٠ - ٢٨٥ .

(٤) صفحات ٢٧٤ - ٢٩٠ و ٣٢٧ - ٣٤٠ .

(٥) م ٤٥ .

في معاني أسماء الأصوات في « كتاب الأغاني » للأصمغاني

أو العظم في أعلى عنق الآلة الوترية ، وتسمى بالعربية (الألف) وبالإنكليزية Nut . وعلى يسار ذلك يظهر في الشكل لفظة « مطلق » وضمت ثم تشير إلى نغمة مطلق الوتر Open string ، أي النغمة المتولدة من الضرب على الوتر دون ضغط على دستان ما بإصبع . إن هذين المصطلحين - كما هو واضح - هما اللذان عودانا تسمية الـ Melodie Modes بالأصابع أو الدستانات .

ولو ألقينا نظرة على الجدول السابق مبتدئين بالطلق Open string من (البم) وتر نغمة (G)^(١) ، ونحولنا إلى السبابة فنزلاً (دستان A) ومن بعدها الوسطى (دستان B)^(٢) أو البنصر (دستان B) والخنصر (دستان C) ، وهكذا حتى نصل إلى المثلث (وتر C) والمثني (وتر F) والذير وتر (bb) ، فإنا نحصل على سبعين من السلم الموسيقية يوجد في كل منها « ضعفان » (أو كثنان Two octaves) على وجه التقريب . بفهمنا هذا نكون قد خطونا أول خطوة في سبيل تحقيق معنى الأصابع أو النغم . وأما الخطوة التالية فقد بسطها ابن المنجم بنهاية الجلاء والإيضاح قال : -

« إن النغمات عشر ، ليس في الميدان ... (المروفة) أكثر منها » .

على أننا نرى في الواقع ، من الجدول المار ذكره ، عثاني عشرة نغمة يعزود ابن المنجم وجودها إلى الاغريق الذين توسلوا إلى هذا العدد من النغم بإضافة نغمات (الضعف :

(١) في التدوين الموسيقي الحديث الشائع بين الموسيقيين Notation يوجد أربعة أشكال من العلامات المروفة ، وهي العلامات الانكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وقد درج المشتغلون بالفن انعمي عندنا على استعمال النظام الايطالي منذ عرفوا التدوين الموسيقي الغربي وطلبوه على الألمان العربية (بعض تفرعاتهم) المعروفة بآلات الطرب العربية كالعود والطنبور والقانون ، ولم يشم التدوين الانكليزي ، ولذلك وجدنا الأحسن أن نورد الأسماء الإيطالية لدرجات السلم الأساسي الموسيقي في مقابل الأسماء الانكليزية لتقريب الفهم من القاري .

العلامات الانكليزية : G F E D C B A

العلامات الإيطالية : Sol Fa Mi Re Do Si La

(ملاحظة المترجم) .

(٢) إن إشارة (b) تعني (البطح Flat) أي النغمة الأصلية المدونة قبل الإشارة ناقصاً نصف نغمة واحد من درجتها (ملاحظة المترجم) .

الأوكتاف (الثاني الذي يقول فيه ابن المنجم إنه صورة طبق الأصل من الأوكتاف (النصف) الأول . على أنه يمود فيقول في موضوع معيار النغم Diapason : « إن الاختلاف بين إسحق ، ومن قال بقوله ، وبين أصحاب الموسيقى ، أن إسحق جعل النغم تسماً وجعل العاشرة نغمة النصف » .

ومما تحسَّس لدنيا من النغم العشر ووجد ما يسمى بالأصابع ، وهذه قسمت إلى جنسين Genres ، فهي كل جنس بالمجرى (المجاري) Courses ، مثال ذلك ، مجرى الوسطى ومجرى البنصر ^(١) . وعلى وجه التقريب في إمكاننا أن نشبه هذين المجرين ، وإن كان في تشبيهنا كبير افتشاح على الواقع ، بدوَانينا : الصغير Minor والكبير Major ؛ ذلك لأن نغمة المثلث الصغير هي التي تميز الأول ، بينما نغمة المثلث الكبير هي الطابع الذي يميز الآخر ، على أن هناك فروقا واختلافات أكثر جداً مما ذكرنا كما سيظهر لنا من الجدول الكامل للنغم .

استعمل ابن المنجم « ضعفاً أعلى » Higher octave لوصف الأصابع بجعل معلق وتر ^(٢) (مطلق المثني) « عماداً Basis » لنظامه ، مسمياً إياها « بالنغمة العمد The note of support » . ودونك النغمات الثماني للأصابع ، كما فسرهما ابن المنجم ، مع تدوينها بالعلامات الموسيقية الحديثة ^(٣) .

- | | | | | | | | | | | |
|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|---|-------|------------------------|
| f | g | a ^b | b ^b | c [˘] | d [˘] | e ^b | f [˘] | : | (١) | مطلق في مجرى الوسطى : |
| f | g | a | b ^b | c [˘] | d [˘] | e ^b | f [˘] | : | (٢) | مطلق في مجرى البنصر : |
| g | a ^b | b ^b | c [˘] | d [˘] | e ^b | f [˘] | g | : | (٣) | سبابة في مجرى الوسطى : |
| g | a | b ^b | c [˘] | d [˘] | e ^b | f [˘] | g | : | (٤) | سبابة في مجرى البنصر : |
| a ^b | b ^b | c [˘] | d [˘] | e ^b | f [˘] | g | a ^b | : | (٥) | وسطى في مجرأعسا : |

(١) مجرى الوسطى Minor Third ، مجرى البنصر Major Third . (ملاحظة الترجم) .

(٢) اتبعت في هذا حذاً ابن النجم بجعل معلق المثني Open F String عماداً Base ولسكني نقلت

العمد إلى مطلق البم Open B String في بحثي في معجم أكسفورد الجديد للموسيقى (١٩٥٥ م

ج ١ : فصل ١١) كي لا يختلط الأمر على القارئ ، فيلجأ إلى نغمة أخفض في مكان نغمة أعلى (ملاحظة المؤلف) .

في معاني أسماء الأصوات في «كتاب الاغاني» للأصهباني

(٦) خنصر في مجراها : $a \quad b^b \quad c^c \quad d^d \quad e^e \quad f^f \quad g \quad a$

(٧) خنصر في مجرى الوسطى : $b^b \quad c^c \quad d^d \quad e^e \quad f^f \quad g \quad a \quad b^b$

(٨) خنصر في مجرى البنصر : $b^b \quad c^c \quad d^d \quad e^e \quad f^f \quad g \quad a \quad b^b$

ونجد أحياناً أسماءاً مختلفة أخرى لبعض العناوين التي مرّ ذكرها ، منها :

(١) باطلاق الوتر في مجرى الوسطى (يساوي) المطلق في مجرى الوسطى .

(٤) بالسبابة والبنصر (=) السبابة في مجرى البنصر .

(٥) بالوسطى في مجرى الوسطى (=) الوسطى في مجراها .

(٧) بالوسطى والخنصر (=) الخنصر في مجرى الوسطى .

وما ورد خلاف هذا من التسميات والتفريعات ، فهي إما أن تكون اختصاراً للعنوان وإما خطأ . فمن العناوين المختصرة قولهم « بالوسطى » أو « بالخنصر » الأولى ربما كانت اختصاراً لعنوان « بالوسطى في مجراها » ، والثانية « بالبنصر في مجراها » رغم تقطع الأصهباني وحرصه على إيراد الكامل من الأسماء بالقياس إلى عمرو بن بانة .

ورجعنا إلى الجدول وإلى صفة الأصوات التي هي أكثر ذكراً ، التي تميز النغم ، نجد أن كل مبدأ Tonic يتقرر بأول كلمة من اسمه ، وأن المجرى Course ينسب إليه بأحدى الأصبعين : الثانية (الوسطى) أو الثالثة (البنصر) . يقول ابن المنجم : « الوسطى والبنصر على المثني الذي ينسب إليهما المجرىان متضادتان لا تألفان ولا يجتمعان في صوت ... » ^(١) على أن « الوسطى » و « البنصر » قد يستعاض عن واحدتها بالأخرى على البعد بالثلاث الأول First Tetracord ، بينما البنصر تبقى ثابتة غير متغيرة في كل بعد ذي ثلاث ثان Second Tetracord ، ما خلا في نغمة « الوسطى في مجراها » حيث تستعمل الوسطى على المثلث منها وإليها ^(٢) .

(١) نقلنا الفقرة الأصلية من كتاب ابن المنجم ، أما الترجمة الحرفية لما أورده المؤلف فهي : « عنده

استعمال الوسطى ، لا يمكن استعمال البنصر » . (ملاحظة للترجم) .

(٢) وهذا هو نص العبارة « .. وأما الاثنان الباقيتان من الأربع النغم المختلفة ، فهما الوسطى على الزبر »

في علامات الأصابع الثماني المبسوطة في الجدول أعلاه ، يلاحظ أن ستاً منها قد يصاد بجراها في نغمة أخفض من نغمت التضخيف وهي : السبابة والوسطى والبصير على المثنى . ذلك لأن البصير والساكنين على وتر الزير (bb) لا يمكن أن تمتد مسافة من العنق أكثر من نغمة (f) التي هي دسنتان لوحده ، أو نجد لا كمال الضعف Octave . ولما لم يكن ثم دسنتين لاخراج النغم (bb) ، (a) ، (ab) ، (g) ، كان من الضروري استعمال نغم لضعف أخفض على وتر مثنى (f) الذي يخرج لنا (bb) (a) (a) (g) . وليس في هذا التدبير عند العرب أي شذوذ أو خروج عن قواعد الموسيقى ما داموا يمدون النغمة وضعفها شيئاً واحداً من الناحية الموسيقية . وهم لا يبدون أيضاً تبايناً بين النغمتين إلا بزيادة في رهاقة الحس واختلاف الذوق^(١) ، وهم يلجأون إلى النظائر ببعض سداد وإحكام في الصنعة قائلين : إن النغم التي على وترى المثنى والمثلث نسمع بدقة وشدة بينا النغم التي على السبم والمثلث تحتاز « بحسارة وابن » .

ومع أن ابن المنجم يخبرنا بأن أغلب الأصوات Songs قد تألفت على هذه الأصابع^(٢) مما لا يخرج عن هذه النغم الثماني قط ، أو أقل في بعض الأحيان ، فنحن نعلم أنه قد استعمل في مناسبات نادرة جداً تسع نغم في تأليف لحن بـ « .. تأليف لطيف وحيلة رفيعة ... » . وهذا ليس كل شيء ، فالأصبهان يروي لنا أن الخليفة المعتمد (ت ٨٩٢ م = ٢٧٩ هـ) وابن طاهر

والبصير على المثلث وليس تألفان في موضع . فأما الوسطى على الزير فإنها تألفت مع الوسطى على المثنى في مجراها إلا في موضع واحد لا تألف معها فيه وهو منها إلى البصير على الزير ومن البصير على المثنى في مجراها . والموضع الذي تألفت معها فيه منها إلى الوسطى على المثلث ومن الوسطى على المثلث إلى البصير . (ملاحظة المترجم) .

(١) « وإن كانت هذه النغم بأعياها لأنها إذا اختلفت في السمع كانت أعجب إلى السامع وأحسن في سموعه » . (ملاحظة المترجم) .

(٢) « فجميع الذي تألف في غناء العرب .. ويكون فيه الغناء الثماني نغمت تدين مذهبهم في ذلك . و (رد) بعض النغم إلى بعض أكثر ما يبنى عليه الصوت منها النغمت الثماني كلها ، فكل هذا تألف غناء العرب ، وعليه تجري عامة أصناف الغناء » . (ملاحظة المترجم) .

في معاني أسماء الأصوات في «كتاب الأغاني» للإصمعياني

الخزاعي^(١) (ت ٩١٣ م = ٣٠١ هـ) ، الذي كان « من الفلاسفة في الموسيقى قد صنع ما عجزت عنه الأوائل من جمعها في صوت واحد النغم العشر كلها من غير توال »^(٢) . كثير من هذه الألحان ما زالت محفوظة في مدونات الموسيقيين العرب من ساحل الأطلنطي حتى نهر الفرات . وليس المقام المراكشي المسمى « حجازي المشرقى »^(٣) « الآ سورة من اصبع » (مطلق في مجرى الوسطى) لاسحق الوصلي . أما مقام « حجاز كار كردي » التونسي فهو أقرب شسبها بالاصبع المسماة (سبابة في مجرى الوسطى) لأبن المنجم .

ولنا حظ أخيراً أن كلّ لحن العرب ، باستثناء واحد ، يظهر أنها كانت شائعة معروفة لدى شعوب الشرق الأدنى في المصور الوسيطية . وربما كان « الاكتوينوس » البيزنطي و « الاخدياس » السوري ومقامات الغناء الروماني البسيطة ، فضلاً عن الألحان العربية ، قد نبطت كلها من معين واحد . وليس بعيداً ، من ناحية أخرى ، أن يكون ابن مسجج (ت ٧١٥ م) الذي يمزى إليه وضع قواعد الغناء العربي ، قد تلقاها ، أو استوحاها ، من المعلمين السوريين أو البيزنطيين ، أو تلك (الاسطوخوسية) الذين تلقى العلم على أيديهم ، على ما رواه الإصمعياني^(٤) . وعلى كل حال ، فلو بقينا نحن نجهل حقيقة الأمر فإلله يعلمها وحده ، على حد قول المسلم ما

مربى فنى الله

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن مادم المعتضد والمكشفي الخليفة . وهو موسيقي نظري ذكر له الأغاني كتاباً في النغم وعمل الأغاني الثماني وهو خير ما ألف في عصره . (ملاحظة الترجمة) .

(٢) كتاب الأغاني ج ٨ : ص ٤٢-٤٣ ، وج ٩ : ص ١٠ (وهو نهاية في الصنعة وناورها) .

(٣) إيرلانجيه : « الموسيقى العربية » باريس ١٩٤٩ م ، ج ٥ : ص ١١٣-١١٥ ، حوتان :

لحات في الموسيقى المراكشية باريس ١٩٤٩ م ، ص ١٨٠-١٨١ .

(٤) كتاب الأغاني : ج ٣ : ص ٨٤ .

مصطلحات صناعة النفط

التي اصطلح عليها المجمع سنة ١٩٥٨

التعريف

Crude Oil	النفط الخام
Gasoline	البترين
Motor Spirit	
Benzine	النفط البادر الخفيف
Light Straight Run Naphtha	
Heavy Straight Run Naphtha	النفط البادر الثقيل
Kerosene	الكيروسين
Gas Oil	زيت الغاز
Diesel Oil	زيت ديزل
Fuel Oil	زيت الوقود
Bunker «C»	زيت السفن
Reduced Crude	ثفل الخام
Visbreaking	كسر اللزوجة
Thermal Cracking	التفتيت الحراري (أو بالحرارة)
Catalytic Cracking	التفتيت بالآز
Topping	التكشيط
Skimming	
Distillation	التقطير
Deasphalting	فصل الزفت

مصطلحات صناعة النفط

Dewaxing	فصل الشمع
Filtration	الترشيح
Neutralization	المعادل (بوزن كتاب)
Fuel Gas	غاز الوقود
Flare Stack	المشواظ
Reflux	الرجع
Condenser	المكثفة (على وزن المزرعة)
Cooler	المبردة
Exchanger	المبدلة (على وزن المعالجة)
Reboiler	الغبيرة (على وزن المديرة)
Knock-out Drum	المنمة
Surge Drum	مدفقة الطوارئ
Processing	عمل (عملية)
Treating Unit	وحدة المعالجة
Combination Unit	وحدة الدمج
Blending	التوليف
Steam Stripping	الترع بالبخار
Fractionator	المجزى* (على وزن المعلم)
Hydrogenation	المدرجة (على وزن القملة)
Reforming	التهديب
Slop	الحثالة
Alkylation	الألكلة (على وزن القملة)

المجمع العلمي العراقي

Cooling Tower	برج التبريد
A. P. I. Separator	المفراز ، مفرقة م . ب . أ
Disposal Furnace	محرق الشوائب
Sour Water	الماء الحامض
Air Pollution	تلوث الهواء
Coking	التكويك
Reaction Chamber	حجرة التفاعل
Coalescing	الادغام
Absorber	المصّاص
Stabilizer	المثبت
Vacuum Tower	برج الخلو
Bubble Cap	طاقة الفقاعات
Accumulator	مخازن (على وزن كاشة)
Entrainment	التصريب
Catalyst	الآز (بتشديد الرأي)
Acid Sludge	سوافل الحامض
L. P. G. (Liquified Petroleum Gases)	غ . ب . س الذي هو في العربية مخترزل (غاز البترول المسيل)
Blow Down	الدمج
Asphalt Blowing	نفخ الزفت
Raffinate	المصالة
Extract	المخلصة
Octane Number	عدد الأوكتين

Octane Engine	فاحصة الأوكتين
T. E. L.	ر . أ . د الذي هو مختزل (رابع اثيلات الرصاص)
Shut-Down Turn-Around	وقف العمل
Orifice	النخروب
Cetane No.	عدد السبتيين
Special Spirit	الصفوة الخاصة
White Spirit	الصفوة البيضاء
Furfural	الفورفال (على وزن البرتقال)
Viscosity Index	دليل اللزوجة
Chiller	المقرس (على وزن المجلس)
Indicator	المشير
Recorders	المسجلات
Natural Gas	الغاز الطبيعي
Viscosity	اللزوجة
Spent Caustic	الكاوي الواهن
Steaming Out	السكسج بالبخار
Control Valve	صمام السيطرة
Adsorption	الامتزاز
Bleaching	التبييض
Percolation	التوشيل
Quenching	الاطفاء السريع
Sweetening	التطيب

المجمع العلمي العراقي

Mist Precipitator	المودقة
End-Point	نقطة النهاية
Flash-Point	نقطة الوميض
Fire-Point	نقطة الضرام
Gum	الصمغ
Batch Operation	العملية المتقطعة
Continuous Operation	العملية المتصلة

الاستكشاف

Exploration	الاستكشاف
Geophysical Methods of Exploration	طرق الاستكشاف الطبيعية الأرضية (طرق الاستكشاف الجيوفيزيائية)
Gravimetric Method	الطريقة الثقالية
Seismic Method	الطريقة الزلزالية
Magnetic Method	الطريقة المغناطيسية
Geological Exploration	الاستكشاف الجيولوجي
Oil or Gas Seepages	نز النفط أو الغاز
Topographic Map	خارطة تخطينة الأمكنة (خارطة طوبوغرافية)
Geological Map	خارطة جيولوجية
Areal Photographic Mapping	المسح من الجو
Anticline	الحنيرة (على وزن الصغيرة)
Syncline	القعرية
Dip	اليل

مصطلحات صناعة النفط

Strike	الضرب
Dome Structure	الترابك القبة
Structural Contour Map	خارطة منحنيات التراكب

الحفر

Drilling	الحفر أو التنقيب
Cable Drilling or Percussion System	الحفر بالدق
Rotary Drilling	الحفر الدوار
Derrick	برج الحفر
Draw-Works	مركز السبطرة
Rotary Table	اللوحة الدوار
Grief Stem or Kelly	قطعة
Swivel	المروود (على وزن المنجل)
Drill Pipes	أنايب الحفر
Drilling Mud	الرداغ جمع الردغة
Casing	الطلي
Coring	القيالة (على وزن القِطامة)
Electric Logging	الجلس الكهربائي
Christmas Tree	شجرة العمامات والأصمة
Fishing	التعبيث

الانتاج

Production	الانتاج
A Gas - Drive Field	المنطقة النابطة بالغاز (على وزن المزرعة)

A Water-Drive Field	المنفعة النابطة بالماء
Gas Lift	الأسعاد بالغاز
Repressuring	بمث الضغط
Gas Drive	الأزجاء بالغاز
Water Flooding or Water Injection	الافاضة بالماء
Reservoir Rocks	مناطق النفط
Permeability	قابلية النفاذ
Porosity	السامية
Paraffinic Base Crude	الحام البارافيني
Naphthenic Base Crude	الحام النفثيني
Mixed Base Crude	الحام المزجي
Asphaltic Base Crude	الحام الزفتي
Pipe Line	خط أنابيب
Cathodic Protection	الوقاية الكاثودية
Oil Tanker	ناقلة نفط
Oil Jetty	فُرصة نفطية

باب الكتب

البيروسي

تأليف العالم الأديب محمد الخيال قاضي السليمانية . يقع في ثلاثمائة وأربع صحائف متوسطة الطول والعرض ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٧ هجرية ، تصادف سنة ١٩٥٧ شمسية . ترجم فيه لعلامة عصره وأديب عصره وقطره الشيخ عبدالله بن الشيخ أحمد الشافعي الكردي البيروسي ، نسبة الى « بيتوش » قرية صغيرة في خيف الجبل المشرف على نهر الزاب الصغير شمال السليمانية في العراق ، في بقعة حباها الله تعالى بحمال الطبيعة ، ونضارة القيمة ، ووفرة المياه والورود ، وأصناف الفواكه والأزهار مما له أثره العميق في تكوين الذوق الأدبي ، واستقامة الفكر ، وسمو الخيال ، تلك العناصر التي يستمد منها الأدب غذاءه المعنوي .

والشيخ البيروسي إمام في الدين والأدب ، مَلَكَ ناحية البلاغة ، وقبض على زمام الفصاحة ، وتفنن في أبواب الأدب نثره ونظمه ، وجمع فيه ضروب الصناعات الأدبية ، وغاص في بحور الشعر فأستخرج لآلئه المكنونة ودرره المخزونة . وهو كردي الأصل ، عربي الثقافة ، لا يجاريه في أدبه وبلاغته إلا عدنانني مارس أصول الأدب ، وتفرغ فيه على شيوخه ، أو فحططاني ثوى في زبد ، بمى نواذر اللغة ، ويقتني فرائدها . فهو كردي العظم والاحجم ، عربي القاب واللسان ، كردي المولد والمرتع ، عربي الموطن والمربع ، لهذا كان مفتي العربية في مصره وفارس أدبها في عصره ، لا يشق له غبار ، ولا يخذله عثار ، ومع هذا لا يحجم عن الاعتذار اذ يقول :

وإن تجد شيئاً خلاف الأدب فالطبع كردي وهذا عربي

على أني لا أحمل قوله هذا إلا على مدافعة الدين والحساد أو التواضع بين العباد . كيف لا وهو يعتقد أن الأكراد فرع فحططاني ، ومن نجار عثماني ، وإن جدّه ماء السماء منيقيا ، إذ يقول في

مدح الأمير سليمان بك الشاوي المبيدي :

وإذا تخرت تخرت إذ لي نسبة فيكم فحق أن أقول أنا أنا
كرد ابن عمرو ينتمي لمزيقيا ماء السما جدي الذي سمك البنا

وتشهد لدعواه ديباجة شعره ، وغرر قصائده ، وجزالة قوله ، وبراعة نثره ، وعمهوبة أدبه .
والامام البيهقي من رجال العصر الثاني عشر وأوائل العصر الثالث عشر الهجريين ، إذ
كان مولده بين سنتي ١١٣٠ - ١١٤٠ هجرية في بيتوش ووفاته سنة ١٢٢١ هجرية في البصرة .
لقد صرف قاضي السلطنة جهداً عظيماً في إخراج مؤلفه (البيهقي) الذي أحيا به شخصية
عراقية يفخر العراق أن أنجب مثلها ، وأحتفل صبراً جميلاً أمر من الصبر في جمع ما حصل عليه
من آيات أدبها الفخيم ، وبيانات فضلها الجم ، من آفاق العراق ، ومن نجد وإمارات الخليج العربي
وغيرها من البلاد . فإن من يستوعب قراءة الكتاب يدرك ما بذله القاضي الفاضل من جهد متعب
ومثابرة ، وما أرهق نفسه به من ثبات ومصابرة ، حتى قدم للناس كتاباً يشهد للمترجم والمترجم
له بالسبق في حلبة العلم والأدب ، والفضل والأرب . جزى الله تعالى القاضي خيراً على عمله
الحسن ، وعصمه من الزلل والخطأ .

أفرغ المؤلف كتابه في قسمين : -

القسم الأول : بحث فيه عن نسب البيهقي ، وموطنه ، وبيته ، ومولده ، ونشأته ، ورحلاته ،
وزواجه ، ووفاته ، وعلمه وثقافته وأدبه ، وفقره وقناعاته ، وإيمانه ووفائه ، وشعره وشاعريته ،
ونثره ومؤلفاته ، وألفازه وأحاجيه .

والقسم الثاني : جمع فيه ما حصل عليه من أشعاره ، ورسائله ، وتقاريره .

وختم كتابه بتأبين موجز لتلك الشخصية العليمة الأدبية التي اكتشفها ونوّه بها ،
وأخرجها من عالم الجحود إلى عالم الخلود ، ومن أعماق النسيان إلى وجود الذكر والبيان ، والذكر
للإنسان عمر ثاني .

والكتاب لم يقتصر الفائدة منه على المعرفة بالهجرة الملامة البيهقي ، بل نجد في طياته تاريخ

النظم الدستورية في البلاد العربية

مشاهير من رجالات العراق ، وحوادث مهمة حدثت فيه ، ووقائع لم يُمن بذكرها إلا قليل من المؤرخين ، ونجد فيه أدباً عربياً عراقياً حياً أصيلاً عالياً متيناً ، فيه متعة ، وفيه لذة ، وفيه حكمة. ونجد فيه من مفردات اللغة العربية كل فصيح يتلقاه الأديب بالبرسر تلقيه للدينار ذهباً ، ويفرح به فرحته بمشوره على ما ضاع له من عقود ثمينة .

وقد ذيل المؤلف معظم صحائف كتابه بتعليقات مفيدة ، يفسر بها مجللاً ، أو يوضح غامضاً من شعر أو نثر ، أو يشرح معنى كلمة لغوية قد تكون غريبة أو قليلة الاستعمال ، أو يعرب كلمة قد يخفى إعرابها على أوساط الناس .

وما وعاه كتاب البيتوشي من نصوص نثرية أو شعرية يمثل الأسلوب الأدبي في العراق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين أحسن تمثيل .

وقد فات المؤلف أمور يستحسن التنبيه عليها . من ذلك :

- ١ — أنه اقتصر على مرد حكاية حال المترجم له وما قاله من شعر ونثر ، ولم يقف بمد ههنا موقف التحلل المستنبط لفلسفته وآرائه ، المستنتج لنظراته في الأدب ومسلكه فيه .
- ٢ — وأنه أغفل تفسير كثير من الكلمات التي تخفى معانيها على أوساط الناس .
- ٣ — وأنه لم يضبط بالشكل كثيراً من الكلمات الواجب ضبطها إغناءً للقاري عن مراجعات المعاجم .

والمصحة لله تعالى ولـ كتابه .

وبعد ، فالأولف محمود مشكور ، والمترجم له مغفور له مبرور إن شاء الله تعالى ما

النظم الدستورية في البلاد العربية

مجموعة محاضرات القاها الدكتور السيد صبري ، على قسم الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، التابع لجامعة الدول العربية . وقد قام العهد بطابعها على ورق مقبل يمد ٣٥٦ صفحة متوسطة الطول والعرض ، وهو في الواقع كتاب بحث في أنظمة الحكم

المروفة في هذا المعبر ، من النظام الديمقراطي والفاشي والبشقي . وفصل أشكال الدول من موحدة واتحادية وتماهدية . وأشكال الحكومات من مستبدة وقانونية ، وفردية وارشترابية ، وشعبية (ديمقراطية) ، وملكية دستورية ، وجمهورية . وأوضح وظيفة الدولة وفقاً للمذهب الفردي ، أي المذهب القائل : إن الغرض من قيام الدولة هو المحافظة على مصلحة الأفراد وحقوقهم فلا تتدخل الدولة في حقوقهم وتصرفاتهم إلا بقدر ما ينظمها ويصونها ، فدائرة تدخلها في شؤون المجتمع ضيقة ، كما أوضح وظيفتها وفقاً للمذهب الاشتراكي القائل : إن الغرض من قيام الدولة هو المحافظة على مصلحة المجتمع ، فتتسع دائرة تدخل الدولة في شؤون الأفراد بقدر ما يضمن مصلحة المجتمع ورقه . وشرح نظرية فصل السلطات في الدولة وتوزيعها ، واختلاف النظام بموجب توزيع تلك السلطات ، الى النظام المجلسي ، والنظام الرئاسي ، والنظام البرلماني ، ونظام المجلسين أو المجلس الواحد في النظام البرلماني ، وما يملكه رئيس الدولة من الحقوق في كل من هذه النظم الثلاثة . وبحث الانتخاب وطرقه المختلفة ، وأفصح عن نشأة الدستور وسيادته في الدولة . وبين أنواع الدساتير .

وبعد أن فرر المؤلف الابحاث الآتفة الذكر في القسم الأول من كتابه (محاضراته) عرض في القسم الثاني منه الى المقصود المهم من محاضراته وهو : شرح النظم البرلمانية في الدول العربية ، فهين ما ينطوي عليه دستور كل دولة من الدول العربية من قواعد وأسس بني عليها كيان الدولة ، وأسلوب حكومتها .

والكتاب عظيم الفائدة لا يستغنى عنه طالب المعرفة لنظم الدول العربية واتجاهاتها السياسية والمذاهب الاجتماعية التي قبلتها الشعوب العربية في بناء دولها .

وهو بمد ، حسن الترتيب والتبويب ، واضح البيان ، مع إيجاز غير مغل ، يدل على أن المؤلف أفرغ جهداً كبيراً في سبيل عرض ما يريده في محاضراته ، إذ ليس من السهل الحصول على ما بحث فيه وأراد بيانه من نظريات وقواعد ووقائع ، بهذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الفائدة الجامع لنظم الدول والحكومات .

المجازات النبوية

هذا ، وكان من المستحسن عند بحثه في القسم الثاني من كتابه الجامع للنظام الدستورية في البلاد العربية ، ان يقف موقف المقارن بين دساتيرها ، والمرجع لما يراه راجحاً من قواعدها وأسسها ، وأن ينقد ما يستحق النقد من أسلوب في نظام الدولة أو نظام الحكم فيها ، وألا يقتصر على مجرد سرد ما وقع وما حصل ، فإن ما نراه من اختلاف بين تلك الدساتير في نظام الدولة أو الحكم مشار مناقشة ، لأن الدول كلها عربية متفقة في التربية والطباع والآمال والغايات ، فيجدر بانظمة دولها وحكوماتها الاتحاد في الأسس والقواعد ، في سائر أساليب حكوماتها ، ومقومات دولها .

وكان من المستحسن أيضاً أن يقرر نظرية الدولة والحكم في الشريعة الاسلامية ، ومدى أخذ الدساتير العربية بها ، فإن لهذا أثراً مهماً في البحث ، وتنبهت الدول العربية إلى ألا تفعل آراءها ونظرياتنا في تنظيم دولها وأساليب حكوماتها ما

مسير القاضي

المجازات النبوية

تأليف الشريف الرضي ، الشاعر القدير ، العالم الجليل ، النقيب النبيل . علق على شرحه بجمع إشاراته ، وتجزئة مقاصده ، وتحقيق رواياته ، وضبط عباراته ^(١) الشيخ محمود مصطفى ، مدرس الأدب بكلية اللغة العربية في الجامعة الأزهرية بالقاهرة ، وطبع بمطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م .

قال الأستاذ الشيخ محمود ... رحمه الله ... في التمهيد - ص ٤ : « الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين ، وبعد فهذا كتاب المجازات النبوية ، يجمع كثيراً مما وقع في كلام رسول الله - ص - من جوامع الكلام . شرط فيه جوده ^(٢) السيد الشريف الرضي

(١) هذا ما ورد في أول الكتاب .

(٢) قال في أول الكتاب : « بشرحه الشاعر الملقب والعالم الجليل الشريف الرضي » . فهو أذن جامع وشارح .

أن يكون كل ما يأتي به من مختار كلامه - عليه الصلاة والسلام - شتملاً على مجاز طريف أو كناية دقيقة ، وقد أسهط طاع - رضي - بما وهب ^(١) من واسع العلم وغزير الفضل وحسن التبشيع لسكلام رسول الله أن يجمع من ذلك ثلاثمائة وستين حديثاً . وقد كنا قبل ذبوع الكتاب لا يكاد الأديب ^(٢) ، مهما بلغ من سعة الاطلاع ، يجمع من ذلك عشرة أو دونها .. فلما هذه الكثرة المستغيضة فأننا لم نعهد لها في غير هذا الكتاب ، ولا تغير هذا العالم الجليل ، الذي رأى من البرّ الجدة أن يذيع فضله على هذا النحو الذي نراه في كتابه . ولم يكتب - رح - بإيراد هذه الآثار سرداً لا تعقيب منه بل إنه جلي محاسن هذه الآيات بشرحها ^(٣) ، وبيان مبلغ البلاغة فيها ، ولقد جاء هذا الشرح فائدة كبرى المطلاع على الكتاب ، فهو لا يزال متنقلاً من تحقيق لغوي إلى تطبيق على علم البلاغة إلى سياق الشاهد من كلام العرب ، وأما ما يجنيه القارئ من الحذف والتوسع في الفهم والتعليق للأساليب على وجوهها المعتبرة في نظر البليغ فذلك أجلى ما يتجلى في هذا الشرح ، وأجدي ما يجديه المؤلف على الناظر في كتابه ، فانه يخرج من طول الممارسة للغة المختلفة ، من الأسلوب الواحد والموازنة بينها ، وتفضيل الفاضل منها والحكم على راجحها ومرجوحها ، يخرج من كل ذلك علامة صناع هي عدة الأدب في ممارسة كلام العرب والتذوق لمحاسنه . ونحن نرى المؤلف في هذا الباب قد برز أهم تميز ودل على قوة نقده التي لا تبارى ... » .

هذا بعض رأيه - رحمه الله - فيه وحسبه فضلاً أن يكون قوله باعثاً على التفكير وداعياً إلى تدقيق النظر ، ثم قال : « ثم إن المؤلف قد أخذ نفسه بالمران ^(٤) على هذا النوع من التأليف

(١) الفصيح « بما وهب له من واسع العلم » .

(٢) الفصيح « الأدب منا أو فينا » .

(٣) لا تليق هذه الفقرة بمثله فان التعقيب يشعر بالتواضع ، والآيات غير الآثار ، والفصيح « بلي جلي » ليعطف الفعل على الفعل « لم يكتب » .

(٤) لم يرد « المران » في كتب اللغة مصدرًا للفعل « مران على الشيء » مرهونة ومهونة ومرانة ، ولكنه ورد في كتابات الجاحظ وهو من الأدباء الفصحاء الثقات الأثبت ، قال في كتاب الجوان : « أخذت الملوك مصدرًا صالحاً فلما طال ذلك أعانها المران وحذف ذلك عليها بالدخلة » . ١ : ٢٨٥ طبعة عبد السلام هارون .

المجازات النبوية

دعاه إليه حبه لاظهار محاسن القرآن الكريم وكلام جده رسول الله ، فقد كثرت ^(١) ذلك مؤلفاته كثرة دلت على فضل اتجاهه ، وتعام توفره على ذلك النهج ، وأنه أولع بهذا النوع من البيان خدمة للدين وتديلاً على مقام رسول الله في البلاغة .

ثم قال : « الكتاب مطبوع منذ سنة ١٣٢٨ هـ بمطبعة الآداب ببغداد فهو متداول بمصر منذ ربع قرن تقريباً ، ولسكننا لم نوفق إلى اقتنائه ^(٢) إلا من أشهر قليلة ، فحين وقع في يدينا وتصفحناه عرفنا فضيلته ظاهرة ، واستجلينا محاسنه بارزة ، ولسكننا لم نرمه مخدوماً تلك الخدمة الواجبة لكتاب مثله حتى يتم النفع به لسكل قارى ، وإن لم تكن له في الأدب وفهم كلام العرب قدم ثابتة ، ذلك أن به إشارات لغوية تحتاج الى ضبط وتثبيت ، وفيه مناح علمية تحتاج الى شرح وتوضيح ، فيه كلام في المجاز والاسناد العقلي وكلام في آراء المعتزلة ، والشيعة ، وإشارات تاريخية إلى غزوات رسول الله ومواقفه الخطابية ، وفيه شمر لفحول الشعراء القدماء ممر به المؤلف ، ولم يرع حق الشادي في الأدب والعلم ، فلم يعلق عليه بشرح ولا بيان لمعاني مفرداته وتراكيبه ، كما أن فيه أحاديث من كلام رسول الله اقتصر فيها المؤلف على شاهده منها وهو العبارة المشتملة على نكتة المجاز أو الكناية ، فلم يحسن ، إتماماً لفائدة القارى ، إلا أن نأتي على كل ذلك شرحاً وتحققاً وتكميلاً على قدر عجزنا وقصورنا ، كما أننا وجدنا بعض نصوص الحديث قد اعتورها التبديل والاضطراب الذي شمل عبارات الكتاب متناً وشرحاً فراعنا أن يبقى كلام رسول الله نعلوه هذه السكك وتستره هذه الشوهدات ^(٣) .

وأنا أرى أن الشيخ محمود مصطفى - رحمه الله - على جميل سميه ، قد بالغ في وصف « عمله في الكتاب » كما قال في « ص ٩ » ، فأول بيت من بيوت الشواهد التي أوردها الشريف الرضي في الكتاب جاء في « ص ٢٢ » منه فيما هذا نصه : قال « الشاعر :

تكفيه فلذة كبُدانٍ ألم بها من السماء وروي شربه النُمر »

(١) لا يمت ما ألفه في ذلك بالكثرة فلجارات القرآنية وحقائق التخريل والمجازات النبوية هي ثلاثة كتب قبل الثلاثة كثرة ١٤

(٢) الفصيح « لم نوفق لاقتنائه » .

(٣) المجازات النبوية « التهيد ص ٩ - ١٠ » .

وقد اجتزأ الشيخ بأن علّق على كلمة « الغُمر » من البيت بقوله : « الغُمر يضم ففتح قدح صغير أو هو أصغر الأقداح » . أما قوله والروايات التي ورد فيها فلم يقل فيها - رحمه الله - شيئاً ، مع أن البيت هو أول بيوت الكتاب .

قلت : ذكر أبو العباس المبرد أن أياً من هذه الأقسام أعشى باهلة رثى المنتشر بن وهب الباهلي بقصيدة رائية هذا البيت منها ومطلعها :

إني أنتني لسان لا أُسرُّ بها من علو لا يحجب منها ولا يستخرُّ
إلى أن يقول :

تسكفيه فلذة كبدٍ إن ألمَّ بها من الشواء ، ويكفي شربه الغُمر^(١)
ففي هذه الرواية « كبد » مع إن الشرطية في مكان « كبدان » ، وفيها « تسكفي » بدلاً من « نروي » .

وقال أبو هلال العسكري : « والعرب تدم الشهوان الرغيب ولهذا قال أعشى باهلة يمدح المنتشر بقلة الأكل :

تسكفيه حرّة فُلْدٍ إن ألمَّ بها من الشواء ، ويُروي شربه الغُمر^(٢)
وذكره الشريف المرتضى أخو الرضي قال : « واختلف أهل اللغة في الأفلاد ، فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ، ويقال : أعطني فلذاً من الكبدة وفلذة من الكبدة قال أعشى باهلة :

تسكفيه حرّة فُلْدٍ إن ألمَّ بها من الشواء ، ويُروي شربه الغُمر^(٣)
ثم ذكر القصيدة في الأمالي أيضاً^(٤) . وخطأ بها عبد الملك بن مروان في نسخته يبين منها

(١) السكامل ٣ : ٢٨١ ، ٢٨٥ طبعة الدار الجاهلية بالقاهرة .

(٢) جهرة الأمثال ٣١ طبعة الهند « وقد جاء فيها البيت مصحفاً كما يأتي : يسكفه خوة غداً لم بها ... » .

(٣) أمالي المرتضى ١ : ٦٦ الطبعة الأولى .

(٤) ١٠٥ - ١١٣ .

المجازات النبوية

الى ليلي الأَخِيلِيَّة . وجاء في ديوان الأعشى :

تَكْفِيهِ حَزَّةً فَإِنَّهُ إِنَّمَا بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شَرِّهِ الْقُسْرُ^(١)

فهذا التحقيق أو بعضه هو أقل ما يراد ممن يقول ذلك القول ، وقد أردنا أن نصرب به مثلاً ، لأننا إن استمررنا على هذا النحو من المؤاخذه والتعقيب طال النقد حتى يكون مملاً .

وفي الحق أن الشيخ محمود مصطفى أمليح كتاب « المجازات النبوية » بكل ما في قدرته الأدبية ، وقد تواضع — رحمه الله — بقوله : « على قدر عجزنا وقصورنا » كما نقلنا آتفاءً لأن المعجز والقصور لا يصلحان ولأنه من أولي الفضل المصلحين . وقائمه أشياء عدة تستوجب الإصلاح ولم يفتن لما فيها من العوار وهي :

١ — عربان لا عربان

جاء في « ص ١٩ » من الطبع من كتاب المجازات هذا « فيسكون هذان الكتابان باذن الله كعتين يستضاء بهما » وعربان لم أسبق الى قرع بابها . والعربان : الأنف أو ما صلب منه ، ومن كل شيء أوله ، ويستعار للسيد الشريف ، وليس للعربان باب ولا مدخل ولا فناء ، وأنا أرى أن الأصل « وعربان لم أسبق الى قرع بابها » . لأن العربان هو فناء الدار وماوى الأسد . ومن يستطيع أن يقرع باب مأوى الأسد ؟ إنه استعار « العربان » لكتابه تشبيهاً لمسر البحث وصعوبته فيها بما في دخول العربان واقتحامه من السر والصعوبة .

٢ — الهموم المخلقة أو المخلقة لا المخلقة

جاء في الصفحة المذكورة « والأوقات الضيقة والهموم المخلقة » . المخلقة جاءت على وزن اسم الفاعلة من « أخلقت تُخلق إخلاقاً » . ولم تستعمل العرب رباعي « خلقت » على وزن « أفعل » ، فالأصل إما « المخلقة » من أخلق الثوب يُخلقه إخلاقاً أي أبلاه ، وأخلق وجهه بالسؤال أي أذهب حياته فصار كالشيء المخلوق ، فتسكون الهموم مخلقة للبشر على وجهه .

(١) الصبح النبوي في شعر أبي جبر الأعشى والأعشى الآخرين ، ص ٢٦٨ في مطبعة أدلف هلز هورن

الاستعارة ، وإما « الخُذْقَة » اسم فاعلة من « خَذَقْتُ تُخَذِّقُ تُخَذِّقًا » . قال الزمخشري في أساس البلاغة : « وأخَلَقْتُ الثوبَ : لبسته حتى يلي ... ويقال للسائل : أخَلَقْتَ وجهك » . وقال : « خَذَقَهُ بِخُذْقِهِ خَذَقًا ... وَخَذَقَهُ إِذَا عَصَرَ حَلِيقَهُ » .

٣ — خرجت قريش لا خرج قريش

وجاء في الصفحة « ٢٢ » : « وقد خرج قريش من مكة مُجَلِّبة عليه » ويُراد بقريش هنا القبيلة فلذلك يجب تأنيث الفعل . ولا يجوز تذكيرها لأنها لا يفهم أن الفعل مُسْتَد إلى رجل اسمه « قريش » وليست « قريش » جمع تكسير فيجوز تذكير فعلها كقولنا « قال العلماء » ولا شبه جمع التكسير نحو « نسوة » كقوله تعالى : « وقال نسوة في المدينة » . والدليل على إرادة المؤلف التأنيث قوله « مجلبة عليه » ومجلبة إليه .

٤ — أظهر الأشياء الملوكة لا الأسماء

وجاء في الصفحة « ٢٧ » قول الشريف الرضي : « والفرس من أظهر الأسماء الملوكة وأدناها على وفارة الثروة » . ولا أرى وجهاً للأسماء وأرى أن الأصل « الأشياء » فهي التي تملك لا الأسماء ، والقام يستوجب « الأشياء » لا « الأسماء » فليس البحث في الأسماء والأفعال ، وإنما قال الشريف ذلك في شرح الحديث النبوي « في الجنين عُزْرَة : عبد أو أمة » قال : « ولذلك سُمِّيَ أيضاً في لسانهم الفرس عُزْرَة لأنه من أنفس ما يملك » وكأن مخوى الكلام « أن العبد والأمة والفرس من أظهر الأشياء الملوكة ، وأدناها على وفارة الثروة ونفاعة النعمة ، لأن غيرها من الأعراض في الأثر لا يشتهر اسمها ولا ينتشر انتشارها » فلا عمل للأسماء الملوكة .

٥ — زانه زيتاً ومَحْنَه سَمْنًا

وجاء في الصفحة « ٢٨ » قول الشريف الرضي : « قوله — عليه الصلاة والسلام — عَسَلَهُ . وهو مأخوذ من العسل كما يقول القائل : عَسَلْتُ الطعام . إذا جعل فيه عَسَلًا ، وسمَّنتُهُ ، إذا جعل فيه سَمْنًا وَزَيْتَهُ ، إذا جعل فيه زيتاً ... » . وقد جعل الشيخ محمود مصطفى

المجازات النبوية

« سَمَنَهُ وَزَيْتَهُ » من الرُّبَاعِي المضعف العين ، والصواب أَنَّهُما من الثلاثي كالفعل « عَمَلَ »
 انوار في الحديث النبوي ، ومجيع كتابتهما « سَمَنَتْهُ وَزَيْتُهُ » وقد نقل الزُّعْمَرِي في الفائق :
 « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَمَلَهُ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عَمَلُهُ ؟ قَالَ : يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا
 مَالِحًا بَيْنَ يَدَيِ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مِنْ حَوْلِهِ ^(١) » . قَالَ الزُّعْمَرِي : « هُوَ مَنْ عَمَلَ
 الطَّعَامَ بِمَسِيْلِهِ وَبَعَسِيْلِهِ ، إِذَا جُعِلَ فِيهِ الْعَمَلُ ... » . وَلَمْ يَوْرَدْ الزُّعْمَرِي الرُّبَاعِي ، وَقَدْ قَالَ
 الشَّرِيف الرُّضِي ذَلِكَ قَبْلَهُ ، وَأَوْضَحَ الِاسْتِعْمَالَ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ ، وَمَنْ الْبَدِيهِي أَنْ يَكُونَ التَّمْثِيلُ
 بِالْثَلَاثِي أَيْضًا ، جَاءَ فِي مُخْتَارِ الصَّحَاحِ « زَاتِ الطَّعَامِ » : جُعِلَ فِيهِ الزَّيْتُ فَهُوَ طَعَامٌ مَمْرُوتٌ
 وَمَمْرُوتٌ ، وَزَاتِ الْقَوْمِ جُعِلَ أَدْمُهُمُ الزَّيْتُ وَبَابُهَا بَاعٌ . وَجَاءَ فِيهِ « وَتَمَنَّيَ الرَّجُلُ الطَّعَامَ ،
 مِنْ بَابِ تَصَرَّرَ : كَتَبَهُ بِالسَّمَنِ فَهُوَ طَعَامٌ مَسْمُونٌ وَتَمَنَّيَ أَيْضًا » ، أَمَّا الرُّبَاعِي المضعف مِنْهُمَا
 فَلَهُ مَعْنَى آخَرٌ ، قَالَ : « وَزَيْتُهُمْ تَزِيَّتًا : زَوَّدْتُهُمُ الزَّيْتُ » وَ « تَمَنَّيَ الْقَوْمُ تَسْمِينًا : زَوَّدْتُهُمُ
 السَّمَنَ » ، فَالصَّوَابُ « زَيْتُهُ وَتَمَنَّيَتْهُ » .

٦ — تَصَرَّرَانَ وَتَصَرَّرَانَ

وَجَاءَ فِي الْعَدْفَةِ « ٢٩ » قَوْلُ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ : « وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ... عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ —
 حِينَ أَنَاءَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ[عَبْدُ الْمَطْلَبِ ^(٢)] | بْنُ رُبَيْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَسْأَلَانِهِ
 عَنْ أَبِيهِمَا السَّقَايَةِ فَيَتَوَاكَلَا السَّكَّامَ ، فَقَالَ — ع — أَجْبِرْجَا مَا تَصَرَّرَانَ ... » . وَلَمْ يَذْكُرِ
 الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مَسْطُفَى — رَج — أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ أَوْرَدَهُ الزُّعْمَرِي فِي الْفَائِقِ ^(٣) ، وَأَنَّ فِيهِ
 « مَا تَصَرَّرَانَ » الرُّبَاعِي المضعف العين ، قَالَ الزُّعْمَرِي : « أَنَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْفَضْلُ بْنُ
 الْعَبَّاسِ وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ رُبَيْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ أَبِيهِمَا السَّقَايَةِ ^(٤) ،
 فَيَتَوَاكَلَا السَّكَّامَ ، فَأَخَذَ بَأَذَانِهَا وَقَالَ : أَخْرَجَا مَا تَصَرَّرَانَ . قَالَ : فَكَلَّمْنَاهُ ، فَسَكَتَ ... »

(١) الفائق ٢ ج ٢ ص ١٤٨ من الطبعة المصرية .

(٢) التتمة من الفائق ٢ : ٣ ص ١٧٩ من الطبعة المذكورة .

(٣) في الطبعة المصرية « السَّعَايَةِ » .

التواكل : أن بكل واحد أمره إلى صاحبه ويتكل عليه فيه ، نُصَرِّران : تجمعان في صدوركما ومنه قيل للأسير معرور لصريره وعنقه بالنسل ورجليه بالقيد^(١) ... » . وجاء في النهاية لابن الأثير الكبير « ومنه حديث علي : أخرجنا ما نُصَرِّرانه ، أي ما تجمعان في صدوركما » ، ذكرنا ذلك للدلالة على أن الشيخ — رح — لم يستفرغ الجهد كله في خدمة الكتاب بل بذل عامة الجهد وسائر .

٧ — التشوف أظهر من التشوق

وجاء في الصفحة « ٣١ » قول الشريف الرضي : « أهل العراق على توقع لوروده وتشوق إلى طلوعه فهم كالعنق الممتدة نحوه » . وهذا موضع التشوف بالفناء لا التشوق بالقاف ، قال الجوهري في السجاح : « وتشوّفتُ إلى الشيء أي تطلّعتُ إليه ، يقال : النساء يتشوفن من السجوح أن ينظرن ويتطاولن » وقال الرمحسري : « وهذه جارية تشوّفت للرجال : تشرب لهم ، وتشوّفت الأوعال : أشرفت من أعالي الجبل ، وتشوّفت فلان أمره : طمّح له » . فالتشبيه بالعنق الممتدة يقتضي التشوف لأن التشوف يمد عنقه في الأغلب .

٨ — عمر السكتاني لا السكتاني

وقال الشريف الرضي كما في الصفحة « ٣٢ » : « وقال لي أبو حفص عمر بن إبراهيم السكتاني صاحب ابن^(٢) بجاهد ، وقد قرأت عليه القرآن بروايات كثيرة ... » . ثم قال في (ص ١٨٢) : « سمعنا هذا الحديث من عمر بن إبراهيم بن أحمد القرقي ابن حفص السكتاني في جملة ما رواه لنا من الأحاديث ... » ، والصحيح أنه قال « السكتاني » نسبة إلى « السكتان » وأنه « أبو حفص » لا « ابن حفص » . قال الذهبي : « السكتاني أبو حفص عن البغوي وطهارة^(٣) » . وقال الخطيب البغدادي : « عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير بن هارون بن مهران أبو حفص

(١) الفائق « ٣ : ١٧٩ » . وفي هذه الطبعة المصرية « لصريره » بدلا من « صريده » وهو تصحيح .

(٢) سقطت الألف من المطبوع .

(٣) المشبه « ص ٤٣٨ » وفي الحاشية أنه « عمر بن إبراهيم » .

المجازات النبوية

المقريء المعروف بالسكتاني ، سمع أبا القاسم البغوي ... وكان ثقة ينزل ناحية نهر الدجاج ، وذكره محمد بن أبي الفوارس فقال : « كان لا بأس به ^(١) ... » . وذكر أنه ولد سنة ثلاثمائة وتوفي سنة « ٣٩٠ هـ » وترجمه ابن الجوزي في وفیات سنة « ٣٩٠ هـ » قال : « عمر بن ابراهيم بن أحمد أبو حفص المقريء المعروف بالسكتاني ... ^(٢) » . وقال شمس الدين بن الجزري في ترجمته : « عمر بن ابراهيم بن أحمد بن كثير أبو حفص السكتاني البغدادي ، مقريء محدث ثقة ... ^(٣) » .

وبما قلنا ثبت أنه « السكتاني » لا السكتاني ، ولم يُسرّه الشيخ محمود مصطفى عنايته وإنما ضبطه « السكتاني » افتتاناً ولم يرجع في الضبط إلى كتاب .

٩ - قرع ذروتها لا قرعها

وجاء في الصفحة « ٣٤ » قول الشريف : « يقال : طلع فلان الثنية إذا أوفى عليها وقرع ذروتها » . قرع هكذا بالقاف ، والصواب أنه قال « قرع ذروتها » لأنه لا يقال « قرع الذروة وأمثالها بل قرعها » قال الجوهري في الصحاح : « وفرعت الجبل : صعدته ... وقرعت في الجبل تفريعاً أي انحسرت وقرعت الجبل أيضاً : صعدت وهو من الأضداد » . وقال الرخشمري في أساس البلاغة : « وفرعت الجبل وفيه وتفرعت : صعدت » .

١٠ - شريح الحضرمي لا الحضرمي

قال الشريف الرضي كما في ص « ٤٠ » : « ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ... وقد ذكر عنده شريح الحضرمي : ذاك الرجل لا يتوسد القرآن » . والصحيح أنه قال « شريح الحضرمي » قال الرخشمري في الفائق « ٣ : ١٦٠ » : « ذكر عنده شريح الحضرمي فقال : « ذلك رجل لا يتوسد القرآن » وقال ابن الأباري : « وقال في حديث أحمد بن حنبل أبو جعفر محمد

(١) تاريخ بغداد « ١١ : ٢٦٩ » .

(٢) « ج ٧ ص ٢١١ » .

(٣) غابة النهاية في طبقات القراء « ج ١ ص ٨٧ » .

ابن غالب الضبي المعروف بالمتنم قال أخبرنا زكرياء بن عدي قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن السائب بن يزيد قال : ذكر عند رسول الله - ص - شرح الحضرمي ، فقال : ذاك رجل لا يثوسد القرآن ^(١) . وهو غير شرح بن يزيد الحضرمي الحضرمي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ^(٢) .

١١ - طيبُ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خدع

وقال الشريف كما في الصفحة « ٤٢ » : « يقال : خدع العار إذا قل ، والأصل فيه قولهم : خدع الرِّيق ، إذا تجف ، قال سويد بن أبي كاهل :

أبيضُ اللونُ لذيذُ طعمه طيبُ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خدع

هكذا أثبت الشيخ البيت أي رفع أبيض وذيذ وطيب ، و « إذ » و « خدع » بفتح العين ، ولم يستطع أو لم يجهد - رحمه الله - أن يبحث عن مورد ومصدر البيت ، وهو من قصيدة أوردت في الفضليات ، وسياق القصيدة يقتضي نصب الصفات المذكورة في البيت ، فقبل هذا البيت قول الشاعر :

حُرَّةٌ تجاوُ شَقِيقًا واضحا كشعاع البرق في القيم سَطَعَ
صقلته بقصيب ناضر من أراك طيب حتى نصع
أبيض اللون لذيذا طعمه طيب الرِّيق إذا الرِّيق خدع

١٢ - فكانَ هذه السنين تطمع

وجاء في الصفحة المذكورة قول الشريف : « فكانَ هذه السنين تطمع أهلها في الخصب والإصراع بكثرة أمطارها ثم تخلف الخبايل باتصال جديها وإمحالها » . هكذا أثبت « تطمع » على اعتبار أنه ثلاثي ، ورفع « الخبايل » . وليس ذلك بالصواب ، لأنه يريد شرح « السنين الخداعة » فهي تطمع أهلها إطلاعا ، وتخدعهم ، وهي « تخلف الخبايل » إخلافا أي تخلف

(١) الأضداد « ص ١٦٠ » .

(٢) غاية النهاية ١ : ٣٢٥ .

الظنون ، فالصواب نصب « الخايل » .

١٣ — ولم تُضْبِعِ الناقة لا « لم تُضْبِعِ »

وجاء قول الشريف الرضي ، كما في الصفحة « ٤٤ » : « يُقال : بُسرت الناقة وابُسرت اذا حمل عليها الفحل ولم تُضْبِعْ » . ولا محل للتضبيع وعدمه هنا ، ذلك لأن عدم التضبيع يدل على عكس المراد ، والصواب « ولم تُضْبِعْ » بالياء الموحدة بمد الضاد ، قال الجوهري في الصحاح : « والضبيع والضبعة : شدة شهوة الناقة الفحل ، وقد ضبعت بالمكسر تضبيعاً ضبماً وأضبعت أيضاً بالالف » . وقال : « وبسر الفحل الناقة وابسرها إذا ضربها من غير ضبعة » .

١٤ — الإرة للاختياز لا للاحتياز

وجاء في الصفحة عينها قول الشريف : « لأن الوطيس في كلامهم حفرة تحتفر فتوقد فيها النار للاشتواء ، وتجمع على وُطُيس فالت احتفرت للاختياز فهي إرة وتجمع على إرين » هكذا جاء للاحتياز والصواب « للاختياز » أي صنع الخبز واتخاذ ، ويعطف عليه الاشتواء قال الجوهري في الصحاح : « والإرة : موضع النار ، وأصله إرى ، والهاء عوض من الياء والجمع إرون مثل عزون » .

١٥ — القطة تُرَبِّبُ فراخها لا تُرَبِّيها

وجاء قول الشريف ، كما في الصفحة « ٥٢ » : « كالقطة التي بدأت باتخاذ المفحص لتبيض فيه وترتب فراخها فيه » . ولا أرى وجهاً لترتيب الفراخ في المفحص ، والصواب « لِتُرَبِّبْ فراخها » أي ترببها ، قال الجوهري في الصحاح : « ورَبَّ فلان ولده يَرْبُّه رَبّاً ، ورَبَّبه وترببه بمعنى أي رباه » .

١٦ — عَقَلَتْهُ عن القضاء لا « عَفَلَتْهُ »

وقال الشريف ، كما في الصفحة « ٥٤ » : « فكأنه - عليه الصلاة والسلام - شبهه الجسمي بالسجين من حيث تمت صاخبها من التصرف والاضطراب ، وعَفَلَتْهُ عن قضاء الآراب » . والصواب « وعَقَلَتْهُ » أي حبسته ومنعته ، وعاقته وربثته ، ولا محل للتغفيل ، قال السجني يحبس ولا يغفل تغفلاً .

١٧ - الكَتَدُ لا الكَبْدُ

وقال الشريف ، كما في الصفحة « ٥٥ » ، قال الشاعر :

مَرَجَ الدينَ فَأَعَدَدْتُ لَهُ مشرف الحارك محبوبك الكَبْدُ

والكَبْدُ لا توصف بأنها محبوبكة ، والفرس الجيد لا يَمَسُّ بالاشارة الى كبده لأنها عذو غير ظاهر ، فالصواب « الكَتَدُ » وهو مجتمع الكتفين وقيل الكاهل أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، فهذا هو الذي يوصف بالحبسك ، وقد ورد « الكَتَدُ » في رجز أورده الشريف في موضع آخر « ص ٦٢ » :

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجَمًا مِنَ الْأَسَدِ جبهته أو الخرات والكَتَدُ

وأراد به نجماً يقع موقع الكَتَدِ من أسد السماء ، ثم إن البيت لزهير بن أبي سلمى ، من أبيات جيمية لا دالية ، قال :

مَرَجَ الدينَ فَأَعَدَدْتُ لَهُ مشرف الحارك محبوبك التَّبَسُّجُ (١)

والظاهر أن الشريف الرضي خلط بين هذا البيت وبيت أبي دؤاد الأيادي :

أَرَبَ الدَّهْرَ فَأَعَدَدْتُ لَهُ مشرف الحارك محبوبك الكَتَدُ (٢)

١٨ - لم يُقَاتِلْ أَحَدًا لَا « لم يُقَابِلْ »

وجاء في الصفحة « ٥٧ » قول الشريف : « لأن نخرجه - عليه الصلاة والسلام - إلى نبوك من بعد لم يلق فيه كيداً ولم يُقَابِلْ أَحَدًا » . ولا محل للمقابلة وعدمها هنا ، فكيف يسكون الرسول - ص - لم يقابل أحداً بعد غزوة الطائف ؟! فالصواب « ولم يُقَاتِلْ أَحَدًا » لكي يكون تأكيداً لقوله - ص - : « وإن آخر وطأة وطأها الله يوج » أي آخر غزوة وفتال .

١٩ - كَأَضْرَامِ عَادَ لَا « كَأَضْرَامِ عَادِ »

وقال الشريف مستشهداً على الرَّمْدُ بمعنى الملاك قول الشاعر « ص ٥٩ » .

(١) ديوان زهير « ص ٣٤٢ » .

(٢) أرب من لسان العرب .

المجازات النبوية

صَبِيتُ عَلَيْهِمْ حَاصِي فُتْرَكَتْهُمْ كَأَصْرَامِ عَادَ حِينَ جَلَّلَهَا الرَّمْدُ
هكذا بسكسر الهجزة والضاد في «أصرام» والصواب «كأَصْرَام» جمع «صِرْم» قال
الجوهري في الصحاح: «والصُّرْم: بالسكسر الجماعة من الناس مجتمعة والجمع أصرام
وأصرام» ، فهو شسبهوم بجماعات عاد حين نزل عليها البلاء واجتاحها الهلاك ، ولا محل
للأصرام ولا للنار ، ثم إن الحاصب هي الريح الشديدة تثير الحصباء من شدتها ، وقد ذكر البيت
الجوهري في «رمد» من الصحاح وهو لأبي وجزة السعدي .

٢٠ — علي بن عيسى الرُّبُعِي لا «الرُّبُعِي»

وورد في الصفحة «٦٠» قول الشريف: «أنشدنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني وأبو
الحسن علي بن عيسى الرُّبُعِي» . هكذا «شيخنا» بالأفراد ، و«الرُّبُعِي» بسكسر الراء
وتسكين الباء ، والصواب «شيخنا» بالثنية لأنها اثنان ، و«الرُّبُعِي» نسبة إلى «ربعة»
القبيلة المشهورة ، أو «ربعة الأزد» جاء في أنساب السمعاني والباية: «الرُّبُعِي»: بفتح الراء
والباء وفي آخرها عين مهيمة ، هذه النسبة إلى ربعة بن زار وربعة الأزد ، فأما النسبة إلى ربعة
بن زار فقلما نستعمل لأن ربعة شعب عظيم ، فيه قبائل وبعلون وأنخاذ يستغني المنتسب بها
عن ربعة» . وفي المشتبه للذهبي «الرُّبُعِي»: عدة ومنهم أبو بكر الرُّبُعِي ... وبسكون
الواحدة [الرُّبُعِي] نسبة إلى ربعة الأزد ...» . وقد جاء في ترجمته عند ياقوت «علي بن
عيسى بن الفرج بن صالح الرُّبُعِي الزهيري أبو الحسن النحوي»^(١) . وبوجود «الزهيري»
استترجعت أن يكون من ربعة بن زار ، فهو زهير بن علس ... بن ربعة بن زار»^(٢) .

٢١ — المَيْسَّةُ المَاهِلَةُ

وجاء في الصفحة «٦١» قول الشريف: «المَيْسَّةُ المَاهِلَةُ» . بفتح الميم من

(١) معجم الأدباء «٥ : ٢٨٣» من طبعة صغليوت .

(٢) جهرة أنساب العرب * ص ٢٧٥ .

المبينة ، والصواب كسر الميم لأنها مصدر الحياة من الفعل الثلاثي « مات » .

٢٢ — كلمة غريبة لا عربية

وجاء في الصفحة « ٦١ » أيضاً قول الشريف : « وروي عن أمير المؤمنين علي — ع — أنه قال : ما سمعتُ كلمةً عربيةً من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله — ص — وسمعتَه يقول : مات حتف أنفه . وما سمعتها من عربي قبله » . وأنا أرى أن الأصل « ما سمعت كلمةً غريبةً ... » لأن المقام يقتضي القول في الكلام الغريب لا الكلام العربي مطلقاً ، ثم إن اعتبار أن الأصل « عربية » يوجب أن يكون الرسول قد تكلم بكل كلمة عربية نطق بها العرب وسمعتها منهم علي بن أبي طالب ، وهذا من المحال ، فقد تكون العرب تكلمت بلفظ لم يحتج إليه الرسول — ص — وسمعه علي بن أبي طالب منهم .

٢٣ — ممنوعة لا ممنوعة

وجاء في الصفحة « ٦٢ » قول الشريف : « فهمي — عليه الصلاة والسلام — عن نكاح المرأة إذا كانت ممنوعة في نفسها أو مطعمونها عليها في نسبها » . هكذا ضبط الشيخ محمود مصطفى « ممنوعة » بالضاد المعجمة ، والصحيح أنها بالصاد المهملة ، قال الجوهري في الصحاح : « غمسه يغمسه غمصاصاً واغتمسه أي استغمسه ولم يره شيئاً ... » ويقال للرجل إذا كان مطعموناً عليه في دينه إنه لغموص عليه . فلا موضع للغمص بالضاد المعجمة بله أنه لازم .

٢٤ — ويقول القائل : افلان كرش منشورة

وورد في الصفحة « ٦٣ » قول الشريف : « ويقول القائل افلان : كرش منشورة . إذا أراد أنه ذو كثرة من العيال وعدد من الأولاد » . وقد وضع الشيخ نفاثي التفسير بعد « افلان » فاضطرب المعنى ، والصواب أن تكون الجملة كما يأتي « ويقول القائل : افلان كرش منشورة » حتى يكون قوله جملة تامة ولعل ذلك من غلط الطبع .

٢٥ — تُنفَقُ حراثبه لا خزانته

وجاء في الصفحة « ٦٤ » قول الشريف : « وكذلك عيال الرجل وولده إليهم تنصرف مكاسبه ،

المجازات النبوية

وعليهم تنفق خزائنه » ، هكذا وردت « خزائنه » جمع خزينة ، والسكلام مسجوع ، فلا يجوز أن تسكون في القرينة الأولى « مكاسبه » وفي القرينة الثانية « خزائنه » فقد قال الشريف قبل ذلك : « لأنهم في الأنعام مستقر أعلافها ، ومريض لما يصل إلى أجوافها » . وأنا أرى خزائنه تصحيف « حرائبه » قال الجوهري في الصحاح : « وحريسة الرجل : ماله الذي يعيش به » ، تقول حربته يحربه تحرباً مثل طلبه بطلبه طلباً : إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء ، وقد حارب الرجل ماله أي سلبه فهو محروب وحريب .

٢٦ - نكبت الظراب ووخر الشبّال

وجاء في الصفحة « ٦٤ » أيضاً قول الشريف : « ولهذا القول وجهان : أن يكون شئهم بالذمل التي بقي القدم نكبت الظراب ، ووخر الشبّال وما في معنى ذلك » . وقد فسر الشيخ « الشبّال » بقوله : « الشبّال نبات واسل له شوكاً يؤذي » . والصحيح عندي « بقي القدم نكبت الظراب » لا نكبت الظراب ، قال الجوهري : « ونكبت الحجارة نكباً أي لثته » . وفي لسان العرب « نكبت الحجارة نكباً أي لثته » ، والنكبت أن ينكبت الحجر ظفراً ، أو حافراً أو منسماً ، يقال منكم منكوب ونكيب قال لمبيد :

وَتَكُوبُكَ السُّرُورُ لَمَّا هَجَرْتُ بِنَكْبٍ مَعِيرٍ دَائِي الْأُظْلُ

... ونكبت الحجر رجله وظفره فهو منكوب ونكيب : أصابه ، ويقال : ليس دون هذا الأمر نكبة ولا ذباح . قال ابن سيده : حكاه ابن الأعرابي ثم فسره فقال : النكبة أن ينكبه الحجر ، والذباح شق في باطن القدم ، وفي حديث قدوم المستضعفين بمكة : فجاءوا يسوق بهم الوليد بن الوليد وسار ثلاثاً على قدميه وقد نكبتة الحرة أي نالته حجارته وأصابته ... وفي الحديث أنه « نكبتت إصبعه أي نالته الحجارة » . وقد نقلنا هذه النصوص لنثبت أن النكبت هو الخاص بالحجارة ومنها الظراب جمع الظرب وهو ما نبت ، منها وكان طرفه حديداً . وليس في « النكبت » هذه المعاني .

أما « الشبّال » فأراه تصحيف « الشبّال » وهو كما في كتب اللغة نبات له شوك أبيض

طويل إذا ترع خرج منه مثل اللبن ، الواحدة منه سيالة . قال رجل من طيى^١ في قصيدة له :

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث نناهي^٢ طلحها وسيالها

وقال ذو الرمة « مثل صوادي النخل والسيال » . وقد يكون غير السيال ، إلا أنه غير الشباك الذي ذكره الشيخ . ولعله تصحيف كلمة آخرها باء لتناسب « الظراب » فتكون منها سجة .

٢٧ — التي آوى إليها لا « آوى »

وجاء في الصفحة « ٦٤ » أيضاً « قال صلى الله عليه وعلى آله : ألا إن الأنصار عبيتي التي آوى إليها ، ونعلي التي أطأ بها وكرشي التي آكل بها » . هكذا ضبط الشيخ « آوى » بفتح الواو ، والصواب كسرهما ، جاء في مختار الصحاح : « وقد آوى إلى منزله يأوي كرمى برمي أوياً على فمول وإواءاً على فعال ومنه قوله تعالى : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء » . ثم إنه من المقرر في الصرف أن « فَعَلَ يَفْعُل » يجب أن تكون عين مضارعة أو لامة حرفاً من أحرف الخلق ، وشذو من ذلك « أبى بأبى » . وفي مختار الصحاح : « الإباء بالكسر والذ مصدر قولك أبى بأبى بالفتح فيها ، مع خلوه من حروف الخلق وهو شاذ » . وجاء في الصباح الثير : « أبى الرجل بأبى إباءاً بالكسر والذ وإباءة : امتنع فهو آب وأبى على فاعل وقمبل وتأبى مثله ، وبناؤه شاذ لأن باب فَعَلَ يفعل بفتحين يكون حلقه العين أو اللام ولم يأت من حلقه الفاء ، إلا أبى بأبى وبعض بعض في لغة وأث الشمر يأت إذا كثر والتف ، وربما جاء في غير ذلك قالوا ودَّ يودُّ في لغة ، وأما لغة طيى^٣ في باب نسي ينسى إذا قلبوا وقالوا نسي فهو تخفيف » .

٢٨ — التلويح بالتفع والإيدان بالخير

وجاء في الصفحة « ٦٦ » ، « فكأنه شبه تلويح الأمر بنفعه وإيدائه بالخير المرجو من جهته بالخفضة الطالعة ، إذا أذنت بالثمره البانعة » . والابداء لا يناسب « التلويح » فالصواب « وإيدانه بالخير » بدلالة قوله بعد ذلك « إذا أذنت^(١) بالثمره » . جاء في مختار الصحاح : « وآذنه بالشيء^٢ »

(١) جاء في المطبوع « أذنت » وهو خطأ .

المجازات النبوية

بالد : أعلمه به « وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وأذننه بالأمر فأذن به ... » وتقول :
سمياه بالخير مؤذنة والنفوس بصلاحه موقنة ، وقد آذن النبات : إذا أراد أن يهيج أي نادى
بإدباره . »

٢٩ — فيكون قوله أطول من الطول

وجاء في شرح قول الرسول — ص — في الصفحة «٧٢» : « يحییء المؤمن أطول الناس
أعناقاً يوم القيامة » قول الشريف : « فيسكون قولنا أطول هاهنا من الطول لا الطول » .
والصواب « قوله » لأن القول من كلام النبي — ص — فليس هو بقولنا .

٣٠ — الخوارزمي لا الخوارزمي

وجاء في الصفحة «٧٣» قول الشريف الرضي : « وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى
الخوارزمي — عفا الله عنه — يقول في أثناء قراءتي عليه ... » ثم ورد في الصفحة «١١٥» قوله :
« وكنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي — رحمه الله — عند انتهائي في القراءة
عليه ... » . وقد ضبط « الخوارزمي » بضم الخاء وفتح الواو والراء وتسكين الزاي ، والصواب
« تسكين الواو » . قال ياقوت في معجم البلدان : « خوارزم : أوله بين الضمة والفتحة والألف
مستقرة ليست بألف صحيحة ، هكذا ي تلفظون به ، وهكذا ينشد قول اللاحم :

ما أهل خوارزم سلالة آدم ما هم وحق الله غير بهائم

فالنطق بالخاء بحركة بحركة مختلفة بين الضمة والفتحة يوجب تسكين الواو ، ثم إن البيت
المذكور لا يقرأ صحيح الوزن إلا بتسكين الواو ، ومثله قول أبي النؤيد الموفق بن أحمد المكي ثم
الخوارزمي كما في معجم البلدان :

تَلَفَّتْ مِنْهَا نَحْوُ خَوَارِزْمٍ وَالْهَاجِ حَزِينًا وَلَسَكِنْ أَيْنَ خَوَارِزْمٍ مِنْ نَجْدٍ !؟

٣١ — إن لك بيتاً في الجنة

وجاء في الصفحة «٧٣» أيضاً قول الشريف : « ومن ذلك قوله — ع — لأمير المؤمنين علي بن
أبي طالب — ع — : إن لك بيتاً وإنك لدو قرئتها » وقد سقط من الحديث « في الجنة » وقد

ذكره تماماً الزعشمري في الفائق « ج ٢ ص ٣٢٧ » وكذلك كان في كتاب الشريف الرضي بدلالة قوله في الشرح بعد ذلك : « وقال بعضهم إنه ... ص ... لما ذكر في أول الكلام الجنة قال : « وإنك لندو قرننها » فالجنة واردة في نسخة الأصل .

٣٢ - ولا يتبع النظر النظر

وورد في الصفحة « ٧٦ » قول الشريف في وصف ذي التقوى : « ولا يكون نظره إلا خلسة ولا يتبع النظر النظر » . والصواب استعمال الرباعي « يتبع اتباعاً » لأن الجملة خبرية بالمطف ، فيجب أن يكون فيها ضمير يعود إلى المخبر عن نفسه ، ثم إنه هو الذي يتبع النظر ، فالصواب نصب « النظر الأولى » والنظر الثانية ، لأن « أتبع » يتعدى إلى مفعولين بنفسه .

٣٣ - يَضُوي الولد

وجاء في الصفحة « ٧٨ » قول الشاعر :

فتى لم تلبه بنت عم قريبة
فمضوي وقد مضى رديد القرائب^(١)

هكذا ضبط الشيخ « فمضوي » من الرباعي ، والصواب « فيضوي » أي فيكون ضاوياً ، لأن الكلام على « الفتى » فهو قد نفى عنه الضوى بنفى أن تكون أمه من بنات عم أبيه ، فالسببية متعلقة بالفتى ، وذكر ياقوت البيت للناية في بعض الروايات^(١) .

٣٤ - يَغِيضُها الليل والنهار

وجاء في الصفحة « ٨١ » قول الرسول - ص - : « بين الله ملائ مسحاً لا يغيضها الليل والنهار » هكذا ضبط « يغيضها » من الرباعي « أغاض » وليس بالضبط النصيح ، لأن الثلاثي هو الراجح ، وبه جاء القرآن الكريم « وغيض الماء » جاء في غفار الله عجاج : « غاض الماء : قل ونصب وبابه باع وانفاض مثله ، وغيض الماء : فعل به ذلك ، وغاضه الله يتعدى ويلزم ، وأغاضه الله أيضاً » . وفي المصباح « غاض الماء غيضاً من باب سار ومغاضاً : غضب أي

(١) معجم البلدان في « برقة هارب » ومعه بيت آخر وحاً :

لعمري نعم المرء من آل ضجهم نرور بصرى أو برقة هارب
فتى لم يلبه بنت أم قريبة فيضوي وقد مضى رديد الأقارب

المجازات النبوية

ذهب في الأرض وغاضه الله بتمدي ولا يتمدي قلنا مغيبض . ولا شك في أن الرسول كان يفضل لغة القرآن . وهي اللغة القصيصة ، لأن الثلاثي يرجع على الرباعي إذا كانا بمعنى واحد ، ولم ينص أحد على فصاحة الرباعي المذكور .

٣٥ — بَلَّحَ تَبْلِيحًا

وقال الشريف كما في الصفحة « ٨٣ » : « فإذا أصاب دماً نُقِلَ ذلك العيب حتى يَبْلَحَ منه » قال ذلك في شرح الحديث النبوي : « لا يزال العبد خفيًا مُعْتَقًا بذنبه ما لم يُصب دماً ، فإذا أصاب دماً بَلَّحَ » . هكذا ضبط « بَلَّحَ » في الحديث والشرح ، والصحيح رباعيه المضعف العين أي بَلَّحَ تَبْلِيحًا ، وقد ذكره الزمخشري في الفائق باختلاف يسير : « ٢ : ١٩ » قال : « ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يزال المؤمن مُعْتَقًا صالحًا ، لم يصب ^(١) دماً حراماً ، فإذا أصاب دماً حراماً بَلَّحَ » وقال في شرحه : « بَلَّحَ : أعياناً وانقطع ، يقال : بَلَّحَ الفرس وبلحت الركبة إذا انقطع جريها وذهب مأوها » . وذكره ابن الأثير الكبير في النهاية « ١ : ٩٢ » قال فيه : « لا يزال المؤمن مُعْتَقًا صالحًا ما لم يُصب دماً حراماً ، فإذا أصاب دماً حراماً بَلَّحَ ، بَلَّحَ الرجل : إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك ، وقد أباحه السير فانقطع به ، يُريد به وقوعه في الهلاك بإصابة النجم الحرام ، وقد تُخَفَّفُ اللام » . فقد أشار إلى قلعة تخفيف اللام ، على أن الشارح مقيد بما أراد المؤلف وهو الشريف الرضي ، فقد أراد المضعف العين ، بدلالة قوله بعد ذلك : « والتبليح : الإعياء مأخوذ من بُلُوح الشيء وهو انقطاعه » . فقوله « التبليح » يُريد به مصدر « بَلَّحَ » المشدّد اللام من غير شك ، والمصدر غير الثلاثي يدل على فعله لأنه مشتق منه . والغريب أن الشيخ - رحمه الله - لم يشرح في الحاشية غير الثلاثي .

٣٦ — يَتَمَدَّى قاحله ، لا « يَتَمَدَّى »

وجاء في الصفحة « ٨٤ » : « لأنه لا يقبل إلا عملاء فيتمدي قاحله ، ويتمدد قاله » .

(١) لعل الأصل « ما لم يصب » كما سنذكر لقلا من النهاية .

والصحيح « تَنَدَّى » ، قال الزنجشيري : « وندي السكان وتندى ومكان ندى ... ، وشرب حتى تَنَدَّى أي قروي » . أما « انتدى » فهو فعل اشتراك بمعنى حضور النادي ، قال الزنجشيري : « وانتدوا وتنادوا : تجالسوا ، وناديتهم : جالسهم » . أو فعل اتخاذ ، قال الزنجشيري بعد ذلك : « وما تَنَدَّى من فلان وما انتديت منه : ما أصابت منه خيراً » .

٣٧ - واكيف خضيل

وأورد الشريف الرضي ، بيت الأعشى ، كما في الصفحة « ٨٩ » :

ما روضة من رياض الحزن مُعشبة خضراء جاد عليها واكيف خضيل

وفي الديوان « ص ٤٣ » : « خضراء جاد عليها مُسبل خضيل » .

٣٨ - مَعَبَّدَت الدواب العاريق لا أعتدته

وجاء في الصفحة « ٩٣ » في شرح قول لبعض الصحابة - رضي - : « وتركتم على مثل غرفة النعَم . أي طريق النعم الواضح الذي أعلمته بأخفافها ، وأعتدته بكثرة غدوها ورواحها » . ولم يقل العرب « أعتد الطريق إعتاداً » بل « مَعَبَّد الطريق تمبيداً » فأعتد تصحيف « مَعَبَّد » قال الجوهري في الصحاح : « والتعبيد : التذليل ، يُقال طريق مُعَبَّد » . وعلى هذا يكون أصل « أَعْلَمْتُهُ » : « عَلَّمْتُهُ » ليوازن « مَعَبَّدته » .

٣٩ - شاعب يشمب لا « شاعث »

وجاء في شرح الحديث : « اللهم إني أسألك رحمة تَلُمُّ بها شعبي » - ص « ٩٥ » - قول الشريف : « وهذه استمارة ، والمراد تجمع بها أمري ، فكنى - عليه الصلاة والسلام - عن ذلك بالشمت ، تشبيهاً بالعود الذي تشعَّت رأسه ، وتشظَّت أطرافه ، فهو محتاج الى جامع يجمعه ، وشاعث يشمته » ، هكذا جاء « شاعث يشمته » والشمت ضد الاجتماع فكيف يكون محتاجاً الى جامع يجمعه ومفرق يفرقه ؟ ثم إن الشاعث اسم فاعل غير مسموع لأن فعله مختص بالوصف ، فالصفة منه على وزن « أشعث » . وبه يعلم أنه لا يجوز أن يتعدى الثلاثي بنفسه فيقال « يشمته » كما ضبطه الشيخ - رح - والعرب « إلى شاعب يشمبه » بالباء ، قال

المجازات النبوية

الجوهري : « الشعب : الصدغ في الشيء ، وإصلاحه أيضاً الشعب ، ومصلحه الشعب والآلة مشعب وشعبت الشيء : فرقة ، وشعبته : جمته وهو من الأضداد » ومن الوارد بمعنى الجمع والزأب قول الشاعر في الفصيحة الزينية : « مثل الرجاجة كسرهما لا يُشعب » .

٤٠ — يُحسِرُها لا يُحضرُها

وجاء في الصفحة ١٠١ : « وقد أجراه بحري المطيعة التي يحضرها بكثرة الحبل والترحال ، وقطع المسافات الطوال » . ولا محل هنا للاحضار ، والمراد « الاحسار » لأن كثرة الحبل والترحال وقطع المسافات الطوال هي التي تحسرها إحساراً ، قال الجوهري في الصحاح : « وَحَسَرَ البعير يحسِرُ حَسَوراً : أعيا ، واستحسِرَ وتحسِرَ مثله ، وَحَسَرْتُه أنا حسراً يتمدّي ولا يتمدّي ، وَأَحْسَرْتُه أيضاً فهو حسير » . أما « أحضر يحضر إحضاراً » فهو لازم بمعنى جرى جرياً شديداً ، ثم إن الاحضار لا يكون نتيجة لكثرة الحبل والترحال ، وقطع المسافات الطوال ، وإنما هو جري سريع لا غير ، يضاف الى ذلك كله أنه لا صلة للاحضار بكثرة الوجه بالسؤال الوارد في الحديث الذي جاء في شرحه هذه الكلام ، ونص الحديث « إن هذه المسائل كدّ بكدها الرجل وجهه » . فالاحسار هو الذي يشبه السكدة .

٤١ — الأبرّ لا الأبرّ

وجاء في الصفحة ١٠٣ قول الشريف الرضي في أنحاذ العرب الرحى : « وما كان يفعل ذلك من العرب إلا الأعزّ فالأعزّ ، والأبرّ فالأبرّ » ، حتى ضربت العرب المثل بمعنى كليب بن ربيعة وهو كليب وائل . ولا موضع للأبرّ هنا ، فالصواب « والأبرّ فالأبرّ » أي الأغلب فالأغلب والأنهب فالأنهب والأسلب فالأسلب ، قال الجوهري في الصحاح : « بَرَّه يَبْرُوه بَرّاً : سلبه ، وفي المثل : من عَزَّ بَرَّ ، أي من غَلَبَ أَخَذَ السلب » . ولولا تكراره « الأبرّ » لعدناه من غلط الطبع .

٤٢ — يُنْهَزُ نَهْوُضُهُ لَا « يَنْهَضُ »

وورد في الصفحة « ١٠٧ » قول الشريف : « شبه السفر بالطائر الذي قد همَّ بالمطار ، وجعل الأخذ أهبة السفر كالسكان على جناح ذلك الطائر ، يُنْهَضُ نَهْوُضُهُ ، ويُوقَبُ تحليقه » . ولا أرى موضعاً لِيُنْهَضُ ، لأنه بمعنى نهض ، إذا كان لازماً ومعنى أنهض إذا كان متعدياً ، ولعل الأصل « يَنْهَزُ نَهْوُضُهُ » قال الجوهري في الصحاح : « والنهزة . الفرصة وانتهزتها : اغتنمتها » . فالنهوض فرصة تُغتنم ، وعلى هذا يكون الأصل « يَنْهَزُ نَهْوُضُهُ » ، ويرقب تحليقه » ، وإن يوجد خير من الانتهاء في إصلاح هذه الجملة فذلك أقرب إلى الصواب ، أما الانتهاء فلا .

٤٣ — تُنْثَى لَا تُثْنَى

وجاء في الصفحة « ١١٦ » قول الشريف : « لأن حقيقة الفضح كشف القبيح وهو أن يكشف على الإنسان ريبة ، أو تُثْنَى عليه سوءة ، ولكن القمر لما كان كاشفاً للسدفة ، وسادعاً للظلمة أجراه - عليه الصلاة والسلام - مجرى الثاني للسوءة المخفأة ، والكاشف للريبة المغطاة » . قال ذلك في تفسير قوله - ص - وقد سئل عن ليلة القدر : « هي ليلة إخميانة كأن قرأ يفضحها » . وقد ورد في الشرح « أو تُثْنَى » و « الثاني » . ثم شرح الشيخ « تُثْنَى » في الحاشية بقوله « تُثْنَى : تُعَدُّ » . ولا نرى وجهاً لثني ولا للثناء وإنما الصواب في الفعل « تُثْنَى » بتقديم النون على الثاء ، وفي الاسم « والثاني » بتقديم النون على الثاء أيضاً ، قال الجوهري : « النثا مقصوراً مثل الثناء إلا أنه في الخير والشر جميعاً ، والثناء في الخير خاصة ، وثبوت الخبر ثبوتاً : أظهرته . وثناؤوا الشيء تذاكروه » . وقال الزمخشري : « ثبوت الحديث ثبوتاً : ذكرته ونشرته ، وهو حسن النثا وقبيح الثنا ، وهو يثنو علي ما فعلت : بُشيعه » . فالصواب « أو تُثْنَى عليه سوءة » و « الثاني للسوءة المخفأة » .

المجازات النبوية

٥٠ — أبو عبد الله الفقيه لا العقبة

وورد في الصفحة «١٤٥» قول الشريف « وقال لي أبو عبد الله محمد ^(١) بن يحيى الجرجاني :
العقبة عند أصحابنا أن الصلاة أفضل من الصيام ... » . وقد نصحت على الشيخ كلمة « الفقيه »
فصارت « العقبة » ونمود بالله من كل عقبة وخصوصاً عقبة التصحيح .

٥١ — حين ينضب لا تنضب

وورد في الصفحة «١٥٣» قول الشريف : « وبهذا المعنى فسر قول الفرزدق :
إذا مالك ألقى الهامة فاحذروا بوادر كفي مالك حين تنضب
فقد جاء آخر البيت « تنضب » ، وما الباعث على العصب وما المعصوبة ؟ ! الصواب
« حين ينضب » فهو تخشى بوادر كفيه إذا غصب ، وهكذا ورد البيت في ديوان الفرزدق
« ص ٣٦ » ففيه « وقال لمالك بن النضر بن الجارود :

إذا مالك ألقى الهامة فاحذروا بوادر كفي مالك حين ينضب
فأشها إن يظلماك ففيها نكال لعيران العذاب عصه ينضب

٥٢ — الطائي الأكبر أبو تمام

وجاء في الصفحة «١٦٢» قول الشريف : « ونظير الأخير المذكور من الشعر قول الطائي
الأكبر في صفة الفرس :

هذب في جنسه ونال المدى بنفسه فهو وحده جنس

فقال الشيخ - رح - في الحاشية يفسر الطائي الأكبر « هو حاتم الجواد المشهور » وإنما

(١) قال الخطيب البغدادي : « محمد بن يحيى بن مهدي أبو عبد الله الجرجاني الفقيه على مذهب أبي حنيفة
سكن بغداد إلى أن توفي بها ، وذكر لي أحمد بن العتيقي أن توفي سنة ٣٩٨ هـ قال : كان فقيهاً عالماً ... »
(ج ٣ ص ٤٣٣) . وقال يحيى الدين القرني : « تلقه على أبي بكر الرازي وتلقه عليه أبو الحسن التماري
وأحمد بن محمد الناطقي ، وكان يدرس بالمسجد الذي بفطيمة الربيع وحصل له الفلاح في آخر عمره ودفن إلى
جنب قبر أبي حنيفة » . ج ٢ ص ١٤٣ وقال أبو بكر الهروي الساج : « وعقبه الجوزان قبر الإمام أبي
حنيفة الزمان بن ثابت بن المرزبان ... وعنده قبر أبي عبد الله الجرجاني » (الإشارات إلى الزيارات ص ٧٤) .

أراد الشريف الرضي أبا تمام فهو الأكبر بالنسبة إلى البحتري ، ثم إن هذا البيت لأبي تمام من قصيدة ^(١) يمدح بها الحسن بن وهب مطلقاً :

هل أثر من ديارهم دعسٌ حيث تلاقى الأجزاء والوعسُ
٥٣ — النُلف لا النُلُق

وورد في الصفحة « ١٦٩ » : « وَيُبَيِّنُهُ لِلْمَاضِرِينَ فِيهِ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَطَرَفِهِ ، وَبِفَتْحِهِ مِنْ أَكْثَرِهِ وَغُلُقِهِ » ، وَالنُّلُقُ إِنْ جَازَ أَنْهَا جَمَعَ غُلُقٌ ، فَلَا يَحِلُّ لَهَا فِي هَذَا السَّكَلِ ، وَالصَّحِيحُ « وَغُلُقِهِ » جَمَعَ الْغُلُوفِ فَهُوَ الْمَضَاهِي لِلْكِيَامِ ، وَقَدْ حَمَلَ الشَّيْخُ عَلَى وَضْعِهِ « النُّلُقُ » مَكَانَ الْغُلْفِ ظَنًّا أَنْ جَهْلَ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ مَسْجُوعَةٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ بِمَدِّ ذَلِكَ « يَنْتَابِعُ الْمَاءُ الْمَتَفَجِّرَةُ » ، وَعَيُونُهُ الْمُسْتَنْبِطَةُ .

٥٤ — جَمَلَ نَصَفَهَا لَا يَصِفُهَا

وجاء في الصفحة « ١٧٠ » قول الشريف : « وَمِنْ هُنَاكَ قَالُوا شَمْسٌ مَرِيضَةٌ ، إِذَا وَلَّى أَحْمَرَارَهَا وَأَقْبَلَ أَصْفَرَارَهَا ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى نَزَعْنِ عَشِيَةً وَقَدَمَاتِ شَطْرِ الشَّمْسِ وَالشَّمْسُ مُدَاغٌ
فَجَمَلَ يَصِفُهَا مَبْتَأً لَمْ تَصِرْ أَمْ كَثُرَ ضِيَائُهَا ، وَجَمَلَ يَصِفُهَا مُدْنَفًا لَمْ يَكُنْ مِنَ التَّصَرُّمِ عَلَى شَفَا . فَقَدْ وَرَدَ « يَصِفُهَا » مَكْرَرًا ، وَالصَّوَابُ « نَصَفَهَا » فَيَكُونُ قَوْلُهُ « فَجَمَلَ نَصَفَهَا » مَبْتَأً ... وَجَمَلَ نَصَفَهَا مُدْنَفًا وَلَوْلَا تَكَرُّرُ التَّصْحِيفِ لَحُلَّتْ ذَلِكَ عَلَى خَطَأِ الطَّبِيعِ ، وَتَأْكِيدِ الْعِنْدِيِّ التَّصْحِيفِ أَيْضًا بِأَنَّهُ فَتَحَ الْيَاءَ وَكَسَرَ الصَّادَ مِنْ « يَصِفُهَا » الثَّانِيَةِ .

٥٥ — نَمَسَ لَا نَمَسَ

وجاء في الصفحة « ١٧٣ » قول الشريف : « وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَ مَنْ يَجْعَلُهُ الْإِنْسَانُ مَوْضِعَ سِرِّهِ وَمُسْتَوْدَعِ نَفْسِهِ نَامُوسًا ، يَقَالُ نَمَسَ يَنْمَسُ نَمْسًا وَنَامَسَهُ نَمَاسَةً » . وَقَالَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ -

(١) الديوان ص ١٢٤ ، ١٢٥ « الطبعة الأولى و » ص ٧٩ طبعه دار المعارف ، وفيه ضبط

« هذب » مبدأً للمجهول وهو الصواب وضبطه التبعيخ له على المعلوم غلط .

المجازات النبوية

في الحاشية : « التتميس : التلبيس والتعمية » ، ولم يُرد الشريف الفعل الرباعي للضعف العين « نَمَسَ نَمِيساً » بل الثلاثي « نَمَسَ » بدلالة ذكره مصدر الثلاثي « نَمَساً » وباستشهاده للناموس وهو مشتق من الثلاثي ، وبدلالة أن التتميس لا يؤدي كل معنى « النَمَس » ، قال الجوهرى في الصحاح : « ناموس الرجل : صاحب سره الذي يطلع على باطن أسرته ويخفيه بما يسره عن غيره ... ونَمَسَ السرَّ أَمَسَهُ نَمَساً : كَتَمَهُ ، ونَمَسَ الرجلَ ونامَسَتَه إذا ساررتَه . »

٥٦ - تَفَوَّتَ عَلَيْهِ لَا يُفَوَّتَ عَلَيْهِ

وجاء في الصفحة « ١٨٠ » قول الشريف : « ومن ذلك قوله - ع - في حديث مشهور الرجل الذي يُفَوَّتُ ابنه عليه ماله ففرقه وبذره : اردد على ابلك ماله فانما هو سهم من كنانتك » . وقال الشيخ محمود مصطفى - رح - في الحاشية : « فَوَّتَ فلان على فلان في كذا واغتات عليه : إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه » . وقد أثبت بهذا الشرح أن الفعل الوارد في الحديث هو « يُفَوَّتُ » بضم الياء وتشديد الواو ، والصحيح أنه « تَفَوَّتَ » الماضي على وزن تَفَعَّلَ ، ففي الفائق للزمخشري « ٢ : ٣٠٣ » : « إن رجلاً تَفَوَّتَ على أبيه في ماله ... » وذكر الجبر ، وقال في شرحه : « يقال : اغتات على فلان في كذا وتَفَوَّتَ عليه إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه ، وهو من الفوت بمعنى سبق ، إلا أنه ضمن معنى التقلب فعُدِّي بعلل لذلك ... » . وقال ابن الأثير الكبير في النهاية : « منه الحديث : أن رجلاً تَفَوَّتَ على أبيه في ماله فأتى النبي - ص - فأخبره ... » . وفي الصحاح « وَتَفَوَّتَ عَلَيْهِ في ماله أي فاته به » .

٥٧ - إِرْبَادُ أَلْوَانِهِ لَا ارْتِدَادَهَا

وجاء في الصفحة « ١٨٧ » في شرح قول النبي - ص - : « هِدَنَةٌ عَلَى دَخَنٍ ... » والصحيح أنه مأخوذ من الدخان لسكدر أجزائه ، وارتداد ألوانه ، وأرى أن الأصل « إِرْبَادُ أَلْوَانِهِ » يقال « إِرْبَدَّ يَرْبُدُّ إِرْبَاداً : أي صار لونه أربد » وهو يناسب السكدر الذي ذكره قبله .

٥٨ - قتل الله لا قبله .

وجاء في الصفحة «١٨٩» قول الشريف : « وأنشدنا أبو الفتح [عثمان بن جني] النحوي
- رحمه الله - قول الشاعر :

أما تراني قالاً محسني أقلب أمري ظهري للبطن
قد قتل الله زياداً عني

وكان - رحمه الله - يقول : « في قوله (قد قتل الله زياداً عني) سر لطيف وهو أنه أقام
(قبله) مقام (عزله) فكأنه قال (قد عزل الله زياداً عني) لأنه إذا قبل فقد زال سلطانه ،
وأمنت سطوانته » ، وقد خفي السر الذي أشار إليه ابن جني على الشيخ محمود مصطفى - رح -
ولم يسأل نفسه عن قبول الله زياداً ما كانت سفته ؟ وهل يقوم القبول مقام العزل ؟ الصحيح
أن السر هو « قد قتل الله زياداً عني » والصواب إبدال التاء من الباء في كل كلمة كرر فيها هذا
التصحيح ، وقد نقل مؤلف لسان العرب تفصيل هذا السر اللغوي في « قتل » من اللسان ،
قال : « وقول الفرزدق - وبلغه ، موت زياد وكان زياد هذا قد نفاه وآذاه ونذر قتله ، فلما بلغ
موته الفرزدق شمت به فقال :

كيف تراني قالساً محسني أقلب أمري ظهري للبطن
قد قتل الله زياداً عني

عدى (قتل) بمن لأن فيه معنى (صرف) فكأنه قال : قد صرف الله زياداً .
ولا أطيل الكلام فالأمر واضح جداً .

٥٩ - همت بعملها بالسيلحين

وجاء في الصفحة «١٩٤» قول الشريف : « وقد نهى رسول الله - ص - عن أخذ حوائل
الإبل وهواميها . والحوامي : الضائفة ، قال الشاعر :

همت بعلها بالسيلحين وأوفضت
بوادي ثميل عن جبين مشيد

أي ضاعت بطل هذه الناقة بهذا الوضع المذكور ، وذلك لا يكون إلا عند تقطع هليها

المجازات النثرية

وإجحاف السير بها « . ولا محل « لبغل » هنا ، فليس للناقة « بغل » وإنما البغل في البيت تصحيف « النمل » أو غيرها ^(١) ، أما « السيلحين » فهو تصحيف « السيلحين » قال ياقوت في معجم البلدان : « سَيْلَحُونٌ ... وقد يعرب إعراب جمع السلامة ... ومنهم من يجعله اسماً واحداً يعربه إعراب ما لا ينصرف ... وذكر سيلحين في الفتوح وغيرها من الشعر يدل على أنها قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية ، ولذلك ذكرها الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية ... » .

٦٠ - الرئي الناظر لا الناظرة

وجاء في الصفحة « ١٩٩ » قول الشريف : « لأنهم أقاموا الجبل مقام الرئي الناظرة ، والرفيق المسير » . والصواب « الرئي الناظر ، والرفيق المسافر » لتمام السجعة ولأن « الرئي » اسم فاعل ^(٢) بمعنى الصفة المشبهة ، ولأن الجبل يفسر بشيء مذكور لأنه مذكور .

٦١ - هضب القلسيب لا القلسيب

وجاء في الصفحة « ١٩٩ » أيضاً : « وقال الشاعر :

سَل الدار من جَنَسِي حَبْرٍ فَوَاهِبٍ إلى ما رأى هَضْب القَلْسَيْبِ المَضْبِيعِ
وقد ضبط الشيخ « القليب » بضم القاف كأنه عنده تصغير « قَلْب » وقال في الحاشية : « حَبْرٌ كَفَلَز : موضع ، وواهبٌ جبل لبني سليم » ، قلت : ذكر ياقوت الحموي « حبراً » في معجمه للبلدان قال : « حبرٌ بكسر تين وتشديد الزاء وما أراه إلا مرتجلاً : جبلان في ديار سليم قال ابن مقبل :

(١) في لسان العرب « والتعبيل : تعبيلك حافر البرذون يطبق من حديد يقبه الحجارة وكذلك تعبيل حَبْ البعير بالجلد الثلاثي . وتعل الدابة ما وفي به خافرها وخفها . قال ابن سيدة : أتعَل البابَة وتعلها » .
(٢) من القواعد التي استدركتها على الصرفيين القدماء أنه يجوز أن يصاغ اسم فاعل على وزن « فَعِيل » من « فاعِل بفعل فعالاً ومفاعلة » مما يدل على اشتراك ، وهذا أقرب إلى الصفة المشبهة منه إلى اسم الفاعل مثل « الشريك والمثيل والقربن والمليط والزييل والحليل والبديل والتبيل والوديد والكفي » والاضهي والوزير والعميل والثوي والسوي ومنه « الرئي » من راءاء برائه .

سئل الدار عن جني حبر فواهب إلى ما ترى ^(١) هضب القلب المضبح
ثم قال : « هضب القلب : علم فيه شعاب كثيرة ، قال الأصمعي : هضب القلب بنجد ،
والهضب : جبال صغار ، والقلب في وسط هذا الموضع ، يقال له ذات الإصا وهو من أسمائها
وعنده جرى [حرب] إذا حس والغبراء ، قال العامري : هضب القلب نصف ما بيننا وبين بني سليم ،
حاجز ما بيننا ، والقلب الذي ينسب إليه بشر لهم » ، وقال في واهب : « واهب : اسم جبل
لبنى سليم ... وقال تميم بن مقبل :

سئل الدار عن جني حبر وواهب إلى ما رأى هضب القلب المضبح
وبما قلنا نعلم أن « القلب » الوارد في البيت هو بئر غير معلومة وأنه على وزن « أمير »
لا على التصغير ، وقد جاء في المجازات بهذا ذلك « وهضب القلب المضبح » موضعان
مستقاربان فحملها لتجاوزها ^(٢) (كذا) كأنها بترأيان ، والصواب « وهضب
القلبيب ... » .

٦٢ — تصوير دابة « دويبة »

وجاء في الصفحة « ٢٠٤ » : « وذلك مأخوذ من اسم دويبة » بتشديد الياء وكسر هاء وليس
في الأصل « أعني دابة » ياء مشددة ، فألفها قلب ياءاً وتبقى ساكنة كما كانت في الكبر ،
وكل ما جاء على هذا الوزن وهذه الصورة فهذه صيغة تصغيره . وقد كرر الشيخ الخطأ الصرفي
في الصفحة عينها في قول الشريف : « بهذه الدويبة » وفي الصفحة « ٢٩٤ » من الكتاب أيضاً
ولولا ذلك التكرار لحسبنا الخطأ الأول من أخطاء الطبع .

٦٣ — يغمزون لا يغمرون

وجاء في الصفحة « ٢٠٥ » قول الشاعر :

(١) قلنا من المجازات النبوية أنه « رأى » وهو موضع الشاهد ، ويؤيده ما نحن نأفوه من مادة واهب
من معجم البلدان وما جاء في الأغانى « ٦ : ٧٢ طبعة دار الكتب المصرية » .
(٢) فعل الأصل « تجاوزها أو تجاوزها » .

المجازات النبوية

تراهم يهزون من استرَكُوا ويحتفون من صدق الصاعا

ويرى : « يعمرون ... » ، هكذا بالراء والصواب « يعمرون » لأن الهمز والنون متجاوران
معنى واستعمالاً ولا محل ليعمرون ولا للعمز .

٦٤ - أَعْبَ الْأَمْرَ لَا فَبَهُ

ورد في الصفحة « ٢٢٣ » : « إنما المراد : لا ترفع التأديب عنهم ، ولا تُغَبِّ التَّقْوِيمَ لهم » .
والمراد بعدم الاغياب للتقويم عدم الفتور فيه ، وعدم الفصل بين فعلاته ، هكذا ضبط الشيخ
الفصل « أعب » أي بفتح القاء وضم الغين المعجمة ، قال الجوهري في الصحاح : « الرغب : أن
ترد الابل الماء يوماً وتدعه يوماً ، تقول : غبت الابل غباً غباً ... قال الكسائي : أغبيتُ
القوم وغبتُ عنهم ، أيضاً وغبت إذا جئت يوماً وتركت يوماً ... وفي الحديث : أغبوا في
عيادة المريض وأرَبُوا ، يقول : عُد يوماً ودع يوماً أو دع يومين وُعسد اليوم الثالث ...
وقلان لا يُنبِثنا عطاؤه : لا يأتينا يوماً دون يوم بل يأتينا كل يوم . » . وذكر الجاحظ في
أخبار السيد الحيري قال : « كان السيد الحيري مواسماً بالشراب ، فدح أميراً من أمراء
الأهواز ، ثم صار إليه بمدححه له ، فلم يزل إليه وأغَبَّ الشراب ... (١) . أي تركه مُدبدة ،
فالصواب « ولا تُغَبِّ التَّقْوِيمَ » ولا محل للثلاثي .

٦٥ - إِيْمُ مُوْرِغٍ لَا مُوْرِغٍ

وفي الصفحة « ٢٨٧ » : « جعل ما في مقابلتها من إِيْمُ مُوْرِغٍ ، وذهب موبق ... » . وقال الشيخ
في الحاشية : « إِيْمُ مُوْرِغٍ أي مُوْجِبٌ للذم والشتم ومنه قولهم : رجل مستولغ أي ما يبالي أن
بذم ويُسْتَم . قلت : أصاب الشيخ في « المستولغ » ولم يصب في « المولغ » فاستولغ مستعاز
لأن يطلب من الناس أن يَلْعَنُوا في عرضه أي يبعثهم على ذلك بفعله ، أما الوارد في كتاب
المجازات فهو « المُوْرِغ » لا المُوْرِغ ، وأخطأ الناسخ بحمله الياء لأمثلة تشابهها في أول السكامة ،
قال الجوهري : « الوَتَغُ بالتحريك : الهلاك وقد وَتَغَ يوتَغُ وتَغاً أي أُنْهَى ، وهلك ، وأوتغته

(١) البيان والنبين « ٢ : ١٢٠ طبعة السندوني » .

الله سبحانه أي أهلكه ، وأوتغ فلان دينه بالآثم . وهذا واضح الصحة وموافق للموبق ، لأنه المهلك أيضاً كما في كتب اللغة ، قال الجوهري : « أوبقه : أهلكه » .

٦٦ - وجاء في الصفحة « ٢٩٨ » : « ... بالنضي بميرة في السفر إذا أطال شقته واستفرغ قوته ، وحسن عريكته » . والصواب « وخشن عريكته » لأن نتيجة إطالة الشقة واستفراغ القوة التخشين لا التخصسين . وقد ألف العرب أن يقولوا : فلان خشن الجانب وخشن جانبه تخشياً (١) .

٦٧ - الغزارة لا القرارة

وجاء فيها : « شبهه بالماء الطامي الذي يفيض من قرارته » « ويسيح من كثرته » . والصواب « من غزارته » فحرف الجر « من » استعمل لبيان السبب لا لابتداء الأمر ، ثم إنه لا يفيض المائع من قرارته بل يفيض من أعلاه وينبجه .

٦٨ - أوارها واضطرامها لا اضطرابها

وجاء في الصفحة « ٣٠٥ » « وصف حرارة الحمى وانقادها » ، وشدة أوارها واضطرابها والصواب « واضطرامها » . ولا أرى حاجة إلى البرهنة على ذلك ، لوضوحه فالحرارة تضطرم ولا تضطرب في ظاهر حالها .

٦٩ - مقاربات لا مفارقات

وجاء في الصفحة « ٣١٦ » قول الشريف : « والوجه الآخر أن يكون المراد أن أموال الصدقات في الأكثر لا تكون إلا أسافل الأموال دون أخيارها ، ومفارقاتها دون كرامها » . وقال الشيخ في الحاشية تعليقا على مفارقات : « لعله يريد بالمفارقات التي هانت على أصحابها ففرطوا فيها فهي تفسار قههم ، بخلاف الكريمة عليهم فأنهم يحرسون عليها فلا تفارقهم » . وهذا قول متكافئ جداً ، لأن المفارقة لا تقابل الكريمة ، وأنا أرى أن الأصل « مقارباتها » جمع المقاربة ،

(١) منه قول أشجع السلمي الشاعر :

وله جانب يخشن في لي . ن وفنك يشوبه بضاف

المجازات النبوية

جاء في مختار الصحاح : « وشيءٌ مقاربٌ بكسر الراء أي وسط بين الجيد والردىء وكذا إذا كان رخيصاً ولا تقل مقارب بفتح الراء . ويؤيد قولي ما ورد في مادة « رسل » منه قال : « ومنه الحديث : إلا من أعطى في نجاتها ورسلها . يُريد الشدة والرخاء ، يقول : يُعطي وهي سمان حسان يشتد على مالِكها إخراجها ، فتلك نجاتها ، ويعطي في رسلها وهي مهازيل مقاربة » وبهذا علمنا أن المقاربات تقابل الكرام ، ويجب أن تكون لفظاً كرامها « كرامتها » .

٧٠ — أجل انتهائنا لا أخيره

وجاء في الصفحة « ٣٢٠ » قول الشريف : « وهذا أخير انتهائنا إلى الفراغ في كتاب مجازات الآثار النبوية » وليس للانتهاء أول ولا أخير لأنه هو الآخر والآخر ، والذي أراه أنه تصحيف « أجل » وهو الميعاد والميعات .

٧١ — تُبني لا تُثنى

وجاء في الصفحة المذكورة « فإن النعمة تُثنى على قواعد الشكر لها ، وترفع على دعائم المعرفة بقدرها » . فكيف تُثنى النعمة على القواعد ؟ إنما « تُبنى » لا تُثنى ولذلك قال بعدها « وترفع » فحصل التجانس والاتساق . والقواعد تُبنى عليها لا تُثنى .

هذا ما استوقف النظر واستوجب الفكر من التصحيف الذي وقع في كتاب « المجازات النبوية » وامل غيري يجد فيه غير ذلك ، وقد تساهلت على الشيخ محمود مصطفى - رحمه الله - فلم أعتد عليه من المسحوف ما يمكن حمله على غلط الطبع ولو كان مع استبعاد : ودونك قسماً من غلط الطبع الذي أثمرت اليه :

في الصفحة ٢٠ إلى الدماء : إلا الدماء . ٢١ بكليته : بكليته . ٢٤ أشبهه : أشبهه . ٢٦ فجعلناها : فجعلناها . إن هو : إن هو . ٤٣ تحلته : تحلته . ٤٨ انظروا : انظروا . ٥١ مفاحص : مفاحص . ٥١ تقدم الانسان : الانسان . ٥٦ اتعجبون : إنكم اتعجبون . ٥٦ يتنفس من السكراب : السكراب . ١١٢ وحظك : وحظك . ١٢١ الوقوع من الجذام : في الجذام . ٣٢٣ استياب : استياب . ١٢٤ مجنبه : مجنبه .

١٢٦ من دعايتهم : من عاداتهم . ١٣٣ للمسمين : المسميين . ١٤٧ ياكعب : ياكعب .
 ١٤٧ فأوردها : فأرداهما . وينشيب : وينشيب . ١٥٤ يعاينه : يعاينه . ١٥٩ ويغفل
 الأعداء : ويغفل الأعداء . ١٨٤ الخطبة الذي : التي . ١٩٩ وناراهما مختلفان : مختلفتان .
 ٢١٩ لا تعد : لا تعدو . ٢١٣ الإناء : الإناء . ٢١٩ الشل الذي : الشل الذي . ٢١٩
 ما تحته : وما تحته . ٢٢١ استأصل خلقه : خلقه . ٢٢٨ الزادة : الزادة . ٢٢٩ المنضات :
 المنضات . ٢٢٧ القرار : القرار . ٢٧٩ يسكلان : يسكلان . ٢٨٩ الأنفال : الأنفال .
 بدلالة قوله « ونحمل الأنفال » ما

أنباء وآراء

فضل العرب على الأفرنج

لا يخفى على من له إلمام بالتاريخ ، أن المسلمين من العرب لما فرغوا من الفتوح الشرقية صرفوا عنايتهم إلى فتح الغرب ، حتى أغاروا على بلاد فرنسا تحت قيادة عبد الرحمن النافقي في عهد هشام بن عبد الملك عامر الخلفاء الأمويين ، فدخلت الأيالة الجتوية كلها في حكمهم ، واستوطنوا تلك الأيالة وعمروا عدة من مدنها ، وخالطوا أهلها ، وتزوجوا قبيهم ، واشتغلوا بزراعة أراضيها والتجارة مع أهلها ، فحدثت العلاقة الوثيقة الودية بين العرب والفرنسيين وظهر بينهم ما لدى العرب من الحضارة والآداب والمعارف والأخلاق والعسادات ، ولما أقوا الحكماء والأدباء والشعراء والأطباء من عصر الدولة الأموية إلى عصر صلاح الدين الأيوبي . وكانت الأمة العربية إذ ذاك من الأمم المتقدمة وكانوا كل آداباً وأوسع علوماً وأعلى حضارة من جيرانهم الأفرنج . وكانت لهم المدارس والجامعات في قرطبة وإشبيلية وغيرها ، وكان يدرس فيها علم الفلسفة والهيئة والطب والكيمياء والتاريخ والآداب والشعر إلى غير ذلك ... ولم يكن في أهل فرنسا إلا جماعة من الأساقفة ممن يحفظ شعر « فرجيل » اللاتيني ، فرغب أهل فرنسا في تعلم علوم العرب ، واشتاقوا إلى تحصيل آدابهم ، فأول من بادر إلى طلب معارف العرب البابا « سلفستر الثاني » فقد سافر إلى أرض الأندلس فبلغ إشبيلية ، وكانت مركزاً علمياً ، وكانت فيها مدرسة كبيرة جديدة بأن يقال لها « جامعة » فأقام البابا بتلك الجامعة ثلاث سنوات ، وقد كان تعلم مبادئ العلوم في اللغة اللاتينية ، فحاز حظاً وافراً من العلوم ، ثم رجع إلى موطنه متشوراً بأنوار المعارف ، حتى حسبه الناس ساحراً ، وفتح باب علوم العرب لعلومه ، وارتقى بركة المعارف العربية متدرجاً إلى المنصب الأجل : الباباوية . وقيل إنه أول من أجرى الأرقام في بلاد

الأفريقج أخذاً من العرب ، فلما عاين أهل بلاده فضل هذا البابا وشرفه زادت رغبتهم في اكتساب علوم العرب وارتحل كثير من تلامذة الأفريقج الى مدارس الأندلس ، ودخلوا فيها أفواجا ، وكانت الأندلس في ذلك العصر في أوج العلوم والآداب ثم رجعوا الى أوطانهم متنويرين متبحرين في العلوم والفنون . فأقاموا في الأمصار الكبار ، وأفادوا الناس الفوائد العلمية تدريجاً وعملياً ، فانتشرت علوم العرب ولغتهم في بلاد الأفريقج ، حتى دخلت المصطلحات العلمية العربية في مؤلفات علماءها وحسنت الكتابة بالعربية مباني أهلها وقصورها وأمرائها . قال سديليو : « إن كانت اللغة العربية قد دخلت في اللغة الفرنسية أكثر مما دخل فيها من اللغة اللاتينية » . وقال لامنس : « إن الأفريقج قد أدخلوا في لغاتهم تسماً لفظ من اللغة العربية » .

ولم يكن أهل فرنسا عاين بعلوم اليونانيين ولا قادرين على ترجمة كتب أرسطو وغيره لعدم معرفتهم بلغتهم اليونانية ، فأخذوا علومهم عن فلاسفة العرب ، ونقلوا الكتب اللاتينية المترجمة من الكتب العربية المترجمة من اليونانية والسريانية إلى لغتهم الفرنسية ، وأوجدوا التفسيرات الفلسفية والمنطقية وغيرها . وألفوا في علوم الأخلاق والسياسة والاقتصاد ، وجمعوا لغتهم الفرنسية وصارت مارسيكية ، وطولون ، وناپولي ، ومانت يلير صرا كزلفلاسفة العربية في فرنسا . ولما تعلم الأفريقج من كتب الاسلام فلسفة أهل اليونان ، تهافتوا على تعلم أدب اليونان وحفظوا أشعارهم وتبحروا فيها ، فظهر فن التشخيص « المحاكاة » فيهم ، ثم وضعوا فيه مؤلفات كثيرة واشتهر منها مؤلفات أوريبيد ولا سيما رواية اندروماق التي نسج راسين على منوالها .

وما كان عند الأمة الفرنسية تاريخ للوفائع الحادثة في أرضهم ولا لدولتهم ولا لملاوكهم لأسمائهم وجلسهم ووفائهم وحروبهم ، فلما ألفوا المؤرخين من العرب وتبادلوا الأقوال بينهم تفتنوا لضرورة التاريخ ، وأقروا بالفوائد التاريخية ، فاهتدوا إلى وضع كتب التاريخ بهداية العرب وإرشادهم وألف بعض الرهبان السالكين طريقة القديس ديس St Denis تاريخاً لدولة الأفريقج فكان هذا أول سجل لضبط وقائع ملوك الأفريقج وتاريخ جلسهم ووفائهم وحروبهم .

وفتحوا في القرن الثالث عشر مدرسة للطب في مدينة « مون بيليه » وهي أقدم مدرسة

فضل العرب على الأفرنج

في أوروبا بعد مدرسة ساليرن التي بجوار نابولي ، وكانت أطباء العرب واليهود المستعمرون يلقون فيها درس الطب ، وأسماوا في طولون جمعية أدبية ، ودعوا لها مدرسة العلم الأفرنج Collège de Gai Savoir وتسمى أكاديمية الأزهار وكان لفكتور هوغو Victor Hugo منها أوفر نصيب .

سافر هوغو مع أبيه إلى الأندلس مراراً ، فذاثر بالشعراء الأندلسيين ، ولهذا يشبه كلامه كلام شعراء العرب ، كتب في مقدمة « الشرقيات » أن الناص كانوا ماهرين في العلوم اليونانية لكنهم صادروا الآن ماهرين في العلوم الشرقية Legacy of Islam وفي تأليفه « أوراق الخريف » ترى مماثلة عجيبة من الشعر العربي كتب إن سرور العائلة بالأولاد ، فلا ديب إن الشعارين الشهيرين فكتور هوغو الفرنسي والمري العربي في هذا الأمر على طرفي نقبض ، واسكنها بتفقان في تمجيد الله وغيره ، فمن شاء التفصيل فيلطالع اللزوميات للمري وأوراق الخريف لهوغو . وهكذا قرص قصيدة أخرى عنوانها « الشמוש الفاربات » وصور فيها « غروب الشمس وظهور الشفق ونكاثف الغيوم على الأفق ، واستدل بنظرة في المخلوقات على وجود الخالق » وهذا كما قال الشاعر العربي المري :

أرى الخلق في أمرين ماض ومقبل وظرفين ظرفي مسدة ومسكان

إذا ما سألنا عن مراد إلهمنا كنى عن بيان في الإجابة كان

أو كما في القرآن الكريم : « إن في خلق السموات والأرض وأختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار » . وهوغو قصيدة أخرى ، وهي « الدعاء للجميع » وهذه القصيدة مشتملة على القواعد البشرية والفلسفة الاجتماعية ، وفيها يخاطب الشاعر ذاته ، ويطلب منها الدعاء ، ولعله قلد في هذه الطريقة القرآن الكريم : « وأخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمها كما تربياني صغيراً » . أو كما قال المري في اللزوميات :

« وأعط أباك النصف حياً وميتاً وفضل عليه من كرامتها الإتما

أقلك خفياً إذ أقلتك مثقلاً وأرضعت الحولين وأحتملت تما
وأقلتك عن جهد وأثقالك لذة وضعت وشمت مثل ما ضم أو شمتا
ولو فتشنا كلام المعري أو ما ورد على شاكلته من الشعر العربي لوجدنا فيه كثيراً من المعاني
الواردة في قصيدة « الدعاء للجميع » .

وفي الختام أسطر نبذاً مما اقتبسناه من قواعد الشعر العربي والعلوم الأخرى ، فعلمنا
أن العرب كانوا أمراء المعاني والبلاغة ورؤساء البيان والفصاحة ، ولغتهم كانت مشحونة بأنواع
التشبيه والاستعارات . ولا ريب في أن الشعر العربي أكثر حلاوة ورقة ، ولكل من القوافي
والأوزان وترتباتها الموسيقية تأثير خاص يعبرون عنه بالسحر الحلال ، فلما اختلط الأفرنج بهم
تأثروا بها غاية التأثير ، حتى حادوا عن تعلم أشعار اللاتين وأكبوا على تعلم أشعار العرب وأزجالهم ،
وكان فقرائهم كما قيل « ينشدون الأناشيد والمدائح العربية فيستمع الناس لهم ويتصدقون عليهم
لا لفهمهم ما يقولون وإنما شوقاً منهم وهتافاً للأنحان والأنغام والقوافي الزائفة » . فاستطاعوا
الشعر الأفرنجي باستعمالهم القوافي التي لم تكن في أشعارهم ، وكان لهم فن من الشعر يسمونه « تينسون
Tenson » فالقافية عند الفرنسيين كما قيل « هي اتحاد الأحرف الصوتية الأخيرة وما يتبعها
من الأحرف الساكنة في نهاية كل بيتين أو قطعتين من الشعر مثل ساج وياج (Sage, Page)
فالذي أخذوه عن العرب بالسمع والتقليد هو علم القوافي ، وكانوا يستعملون قبل ذلك عوضاً عن
القافية ما يسمونه « أسونانس Assonance » وهو اتحاد الأحرف الصوتية الأخيرة بقطع النظر
عما بعدها من الأحرف الساكنة في نهاية كل بيتين ، مثل ساج Sage وآرم Arme ، واتفق العلماء
على أن الأفرنج قد أخذوا القوافي عن العرب ، وأخذوا عن العرب أيضاً في المنظوم أنواع المدح
والغزل والهجو والمزمل ، كما أخذوا عنهم في النثر الملح على نهج كبلية ودمنة ، وضروب أمثال
لقمان ، وبقية الحكايات المؤلفة على أسنة الحيوانات ، فمن ذلك « رومان ثعلب » و « أمثال
أيزوب » و « رومان روز » وقيل « منها ما نقلوه نثرآ ثم نظموه في لغتهم ، وجاروا العرب في

فضل العرب على الأفرنج

الفكاهات ، وألقوا حكايات ومطرائف على قسوس القرى وخدم الكتنائس ليضحكوا منهم
الأمراء والفرسان الذين يسمونهم شيفالية . هكذا تعلم الأفرنج الفلسفة والطب والأقسام
والتاريخ وفن التشخيص « المحاكاة » والقوافي ورقعة الغزل وآداب النظم وتلحين الأغاني
بفضل العرب وعلمهم ونقلوا منهم القصص المنقولة عن الفرس والهنود كما هو مفصّل في
تواريخ الأدب الفرنسي وإلى ذلك أسرار الموسيقيين دوميك في كتابه التداول بأيدي
طلبة العلم في عموم المدارس الفرنسية .

الله أباد — الهند

محمد أحمد الصديقي

نشاط المجمع الثقافي

في سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ الجمعية

إن المجمع العلمي العراقي ، مع ضآلة ميزانيته المالية وإنفاقه على بناء قسم من أقسام مقره الحالي في الوزارة ، جرى على عادته في الدعوة إلى التأليف في العلوم والآداب والفنون والترجمة من كتبها ، وقد قرر في جلسته الثالثة لسنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ الجمعية إقامة مباريات في التأليف والترجمة ، واختار للفأحية العلمية في التأليف موضوعين هما « السبيل إلى تصحيح العراق » و « المخترعات المبنية على التطبيقات الإلكترونية » . واختار للترجمة موضوعاً واحداً هو « ترجمة كتاب في استخدام النظائر المشعة » . وعين للفأحية الأدبية في التأليف موضوعين هما « تقريب العامة من الفصحى » و « توجيه الأدب القومي » وجعل جائزة الفوز في المباريات قيام المجمع بطبع الكتاب الفائز بنقخته بمعدل لا يقل عن ألف نسخة ، يعطى صاحب الكتاب ثلثيه ، ويبقى الثلث الأخير للمجمع ، وقصر المجمع المباريات على العراقيين والعراقيات مستثنياً أعضاء المجمع العلميين ، واشترط أن تكون أمانة الكتاب المقدم للمباراة سليمة إفراداً وتركيباً وأسلوباً وأن لا يقل عدد كلماته عن ثلاثين ألف كلمة ، وأن تقدم منه إلى المجمع نسختان مكتوبتان بخط واضح أو مطبوعتان بالآلة الطابعة ، وذلك قبل نهاية شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٥٧ .

وعين وقت إعلان النتائج للمباريات بالأسبوع الأول من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٩ . ووضع المجمع منهاجاً لموسم محاضرات سنوية جرياً على عادته في كل سنة ، وفصل المنهاج على النحو الآتي :

١ - في الأسبوع الأخير من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ محاضرة للأستاذ عباس البرزوي .

بهجة الاثري أيضاً ، وأخرج المجلد الخامس من مجلة المجمع نفسه وفيها عدة مقالات لأعضاء المجمع وغيرهم من أرباب الثقافات العلمية والآراء الصائبة .

ويكاد المجمع ينجز طبع كتاب « دليل خارطة بغداد المفصل » وهو كتاب في خطط بغداد القديمة منذ تأسيسها الى العصور الأخيرة ، تأليف كاتب هذه السطور والدكتور أحمد سومه ، وفيه كلام مفصل على جميع ما يشمله علم الخطوط مع تصحيح لعدد كتب ومقالات كانت قد ألفت وكتبت في هذا الموضوع ، وقد وضع الكتاب وزين بخارطات وصور جد مفيدة ، وأصبح أهلاً لأن يسمى « خطط بغداد قديماً وحديثاً » .

وقرر المجمع طبع كتاب « تاريخ علم الفلك في العراق وما جاوره من البلدان » على عهد المغول والتركان والأتراك العثمانيين ، تأليف الأستاذ عباس الرازي من أعضائه الماملين ، وقد اشتمل الكتاب على سير علماء الفلك في العصور المذكورة ومؤلفاتهم ومقالاتهم ومباحثهم ، وفوائد جزيلة فيما يختص بعلم الفلك ، وسيكون مرجعاً مهماً للمعنيين بتاريخ هذا العلم الجليل ، وسيقدم الكتاب الى مطبعة المجمع عما قريب .

وقرر المجمع مساعدة الأستاذ أنيس الخوري المقدسي على أن يطبع الجزء الثاني من رسائل الكاتب الكبير نصر الله بن الأثير صاحب المثل السائر ، وأرسل له مائتين وخمسين ديناراً ، سيمطيها إياه عند تمام طبع الكتاب ، وكانت المساعدة بطاب من الأستاذ المذكور قدمه الى المجمع .

ودفق المجمع النظر في مصطلحات الكيمياء لمرحلة التعليم الثانوي التي أرسلت بها إليه الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، قبل إشاعتها في البلاد العربية ، فأقر أكثرها واقترح الاستبدال بأقلها وكتب الى الادارة المذكورة تقريراً في ذلك ، محتويّاً على المصطلحات التي اقترحها .

واستجاب المجمع قائمة مصطلحات صناعة النفط بالانكليزية على اختلاف أنواعها ، وبدأ منذ الجلسة العاشرة لهذه السنة الجمعية باختيار ما يقابلها في العربية من قديم اللغة ومشتقاتها ومعرّب

نشاط المجمع الثقافي

جديد لم يجد بداً من تعريبه ، وقد تجاوزت عدة هذه المصطلحات النفطية « ١٣٥ » مصطلحاً ، وهي أول مصطلحات نفطية باللغة العربية ، وقد نصب المجمع نصباً شديداً في إعدادها ، وتأني لها وتأني في اختيارها ، وكابد في ذلك صعوبات جمة لحداثة عهد العرب بهذا العلم الجليل ، وعدم إقبال المجامع العلمية العربية على الاشتغال بها . وقد نشر هذه المصطلحات في المجلة ثم إنه نأشرها في كراسة خاصة .

ودقق المجمع النظر في المصطلحات الدستورية التي أقرتها مؤتمر المحامين العرب ، وأرأى الاستبدال بقسم منها ، على حسب ما ورد في محاضر جلساته ، وأجل المفاتحة باقتراح الاستبدال إلى انعقاد المؤتمر الجديد .

وطلب من مديرية مصلحة نقل الركاب تزويد قاعة بالمصطلحات الميكانيكية وما عندها مما يقابلها في العربية ليعيد النظر فيه ويختار ما هو أولى بالاصطلاح . وقد أرحباً النظار في هذه المصطلحات إلى السنة القابلة لاشتغاله — كان — بالمصطلحات النفطية .

وقرر المجمع طبع معجم الرياضيات المؤلف باللغة الانكليزية ، الذي أنحلت لجنة ترجمته ، وأسند ترجمته إلى الأستاذ محيي الدين يوسف من أعضاء المجمع الماملين والدكتور محمد واصل الظاهر من أساتذة كلية العلوم والآداب .

ودرس المجمع مقترحات لجنة تبادل الطبوعات بين البلاد العربية المنعقدة في دمشق سنة ١٩٥٧ فأيد جميع ما جاء فيها وكتب بذلك التأييد كتاباً إلى الجهة المختصة . ودرس عدة كتب قدمت إليه في العلوم والآداب طلباً لمساعدته على طبعها ، وشارك المجمع في قسم من المجتمعات العلمية والأدبية ، كالمؤتمر الثقافي العربي المعقود ببغداد سنة ١٩٥٧ ، وأرسل ببحث إلى مؤتمر ذكرى المؤرخ الفيلسوف العراقي أبي الحسن علي بن الحسين السعدي في معهد الدراسة الإسلامية في جامعة عليكرة بالهند .

وأوفد المجمع سكرتيه المقدوب إلى نابلس لتمثيله في حفلة تأبين الكاتب الحقوقي المترجم محمد عادل زعيتر وكان المجمع قد انتخبه عضواً مراسلاً له ، فألقى السكرتير المذكور في الحفلة المشار إليها

كلمة مناسبة .

وشمل التجمع بمساعدته الأدبية عدة مؤسسات علمية وثقافية عامة وغيرها فأهدى مطبوعاته أو قسماً منها على حسب الحاجة إلى مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت وجامعة شيكاغو ومصاحب الجلالة ملك المملكة الليبية ومكتبة أهل البيت العامة ببغداد والدكتور جوزيف بابلوسكي في السفارة البولونية بالقاهرة ومكتبة متحف الموصل والجامعة الامدادية في الباكستان وجامعة مكتبة شيكاغو والعالم الفاضل رؤوف الجادرجي والدكتور الفاضل إبراهيم عاكف الأنومسي والسيد الباحث ميخائيل عواد والسيد محمد عبد الرحمن المفدى أحد طلاب كلية اللغة العربية في الرياض وكلية اللغة العربية المذكورة نفسها وكلية الآداب والعلوم ، ومكتبة المتحف العراقي ومكتبة الرياض السعودية ، ومكتبة الزبير ، وجمعية القرآن الكريم بالنجف ، والسكينة الاسلامية في الملايو ، والعارف التركية ، ولجنهها الثقافية ، والجامع العلمية العربية ، وأعيان المثقفين الراغبين في العلوم العربية ، وبادل مطبوعات المكتبة العامة بتطوان في المملكة المغربية ، ومهد الباحث الجغرافية التابع للأكاديمية الهندسية ، وجامعة كولومبيا باميركا ، ودار المعلمين العالية ببغداد ومجلة العلم الجديد ، فضلاً عن المعاهد العلمية التي جرت مبادلتها بمطبوعاتها في السنين الماضية فإن مبادلتها لا تزال مستدامة ، وكذلك جوائز التجمع المالية لأوائل المطرحين في السكيات .

ولرغبة التجمع في نشر المعرفة على اختلافات ضروبها قرر في الجلسة الرابعة لهذه الجمعية خفض أسعار مطبوعاته . هذا ومع إعلان التجمع شروط المباريات في التأليف والترجمة في الاذاعة والجرائد البلدية لم يزل ينتظر استجابة أرباب الثقافة والعلم والآداب لدعوته ، أتوق ما يكون وأرجى ما يكون ؟

مصطفى جواد

« فهرست المجلد الخامس »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

الصفحة	
المقدمة	المجمع العلمي العراقي
٣	تسويل الخط العربي
١٠	الجوازي نصير الدين الطوسي وعلم الفلك
٣٢	دراسات في العقل والدماع
٤٦	الفنود وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين
٨٢	حدود جديدة بعد الثورة
٩٩	المدرسة الفيثاغورية
١٠٧	وقعة نهر دجيل واحتلال الفول لمدينة بغداد
١١٣	وحد القانون واحترامه
١٢٤	محمد فيضي الزهاوي
١٤١	نظرية التوازني وأثر العرب فيها
١٦١	القتال في الإسلام
١٧٢	في معاني أسماء الأصوات في كتاب الأغاني للأصمغاني
٢٠١	مصطلحات متعلقة بالنقطة التي اصطلح عليها المجمع العلمي العراقي

الكتب

٢٠٨	البيروني
٢١٠	التعلم الدستورية في البلاد العربية
٢١٢	المجارات الذبوية

الأنباء والأراء

٢٤٦	فضل العرب على الإفراج
٢٥١	نشاط المجمع العلمي العراقي الثقافي في سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ الجمعية

تصحيح واستدراك

الصفحة	السطر	الغلط	والصواب
٤	١٢	وتضييع	وتضييعاً
٤	١٢	ونكران	ونكراناً

يحذف من مقالة الدكتور أحمد سوسة آخر خبر (صفحة ١١٢) وهو خبر حرب البرمقي

لديس بن صدقة الزيدي .

مطبوعات مجمع علمي العراقي

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول) .

« « « (المجلد الثاني) .

« « « (المجلد الثالث : جزءان) .

« « « (المجلد الرابع : جزءان) .

« « « (المجلد الخامس) .

كتاب النعم ليحيى بن علي بن يحيى النجم — تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري .

تاريخ العرب قبل الإسلام « الجزء الأول » — نقد .

« « « « الجزء الثاني » — نقد .

« « « « الجزء الثالث » .

« « « « الجزء الرابع » . القسم السياسي

« « « « الجزء الخامس » . القسم الديني

« « « « الجزء السادس » . القسم الديني

« « « « الجزء السابع » . القسم اللغوي

صورة الأرض للشريف الإدريسي — تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي .

موجز الدورة الدموية في السحابة — للدكتور هاشم الوتري .

المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد — للحافظ ابن الديلمي — انتقاء الامام الذهبي ، الجزء

الأول تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

بلدان الخلافة الشرقية — تأليف لسترنج وترجمة الأستاذين : بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

خريسة القصر وجريدة أهل العصر - للمهاد الأصهباني - القسم العراقي - الجزء الأول :
حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أصله وشارك في
تحقيقه ومعارضته وصنع فهرسه الدكتور جميل سميد .

منازع الفكر الحديث - تأليف سي . م . جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي نخاس
ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام .

الخطاط البغدادي علي بن هلال (ابن البواب) - تأليف الدكتور سهيل أنور ، و ترجمة
الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي .

كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام المنقول : تحقيق الدكتور مصطفى جواد
والدكتور جميل سميد .

مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والاشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران .

مصطلحات المجمع في صناعة النفط .

تكملة اكمال الاكمال - تأليف جمال الدين أبي حامد محمد بن علي الحمودي المعروف بابن
الصايوني حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد .

مؤرخ العراق ابن الفوطي - الأستاذ محمد رضا الشيباني .

مقدمة للرياضيات - تأليف وايتهيد ، و ترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف .

الدينار الاسلامي في المتحف العراقي - للسيد ناصر النقشبندی .

خارطة بغداد قديماً وحديثاً - وضع الدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد
أحمد حامد الصراف .

الوقاية من السل الرئوي والـ بي ، سي . جني - المرحوم الدكتور شريف عسيران .

دليل خارطة بغداد المفصل - للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة (تحت الطبع) .

كتب ساعد المجمع على طبعها

- اليزيدية - تأليف السيد صديق الدهلوي .
أنت والورثة - تأليف أعرام شايفيلد ، وترجمة السيد بشير اللوس .
العلوم الطبيعية - دراسة عامة للعلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية وأثرها في سير المدنية الحديثة ، للدكتور نوري جعفر .
المدخل إلى الفلسفة الحديثة - تأليف سي . إم . بيورد ، وترجمة السيد كريم مكي .
الديارات - للشابشي ، تحقيق السيد كوركيس مراد .
الشرفنامه - تأليف الأمير البهلولي ، وترجمة السيد جميل بندي الزبيري .
ديوان الشرد - للسيد أحمد الداني النجفي .
الفسفور وحقوق الإنسان (جزآن) : للسيد عطا بكري .
تاريخ علم الفلك في العراق على عهد المنول والتركين والتورك تأليف الأستاذ عباس المزاوي .
(معدة للطابع) .

تطلب هذه المطبوعات من :

- ملاحظ مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - العراق
مكتبة النجفي - قاسم محمد الرجب - بغداد - العراق
المكتبة المصرية - محمود عيسى - بغداد - العراق

12-11-1964

الخطاط البغدادى على بن هلال

المشهور بأبي البراء

قَالَ

انكسور، ا. س. ج. انكسور

مدير معهد تاريخ الطب بجامعة استامبول

۱۲۳۴۵۶۷۸۹۱۰۱۱۱۲۱۳۱۴۱۵۱۶۱۷۱۸۱۹۲۰۲۱۲۲۲۳۲۴۲۵۲۶۲۷۲۸۲۹۳۰۳۱۳۲۳۳۳۴۳۵۳۶۳۷۳۸۳۹۴۰۴۱۴۲۴۳۴۴۴۵۴۶۴۷۴۸۴۹۵۰۵۱۵۲۵۳۵۴۵۵۵۶۵۷۵۸۵۹۶۰۶۱۶۲۶۳۶۴۶۵۶۶۶۷۶۸۶۹۷۰۷۱۷۲۷۳۷۴۷۵۷۶۷۷۷۸۷۹۸۰۸۱۸۲۸۳۸۴۸۵۸۶۸۷۸۸۸۹۹۰۹۱۹۲۹۳۹۴۹۵۹۶۹۷۹۸۹۹

محمد بن يحيى الأُثْرِي و عزير ماضي

تأتي الرسالة تحتويات وتعليقات تاريخية وأدبية من وضع المؤلف

تكملة اكمال الاكمال

والأولاد والأولاد والأولاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمال الدين أبي محمد بن علي الحمودي

الأخروف بآب الحساوي

حقوق و علق عامه

الدكتور مصطفى جواد

م.م.طلحات صناعة النفط

الذي استطلع عليها الجميع سنة ١٩٥٨

تحت الطبع

دليل خارطة بغداد المفصل

في خطط بغداد قديماً وحديثاً

تأليف

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور أحمد ميمونه

مهد للطبع

تاريخ علم الفلك في العراق

على عهد المغول والتركمان والأتراك

تأليف

الأستاذ عباس المزاري

صدرت الأعداد الآتية من مجلة
المجمع العلمي العراقي



المجلد الأول	١٣٦٩ = ١٩٥٠
المجلد الثاني	١٣٧١ = ١٩٥٢
الجزء الأول من المجلد الثالث	١٣٧٣ = ١٩٥٤
الجزء الثاني من المجلد الثالث	١٣٧٤ = ١٩٥٥
الجزء الأول من المجلد الرابع	١٣٧٥ = ١٩٥٦
الجزء الثاني من المجلد الرابع	١٣٧٥ = ١٩٥٦
المجلد الخامس	١٣٧٧ = ١٩٥٨

٤٤ - شَيْطَانِي لَا شَيْطَانِي

ورد في الصفحة « ١١٧ » قول الشريف : « وقال الشاعر في فضح الصبح للظلام :

يَا رَبَّ كُلِّ غَائِقٍ وَمُصْطَبِحٍ وَرَبَّ كُلِّ شَيْطَانِيٍّ مَنْسِرِحٍ

قد جاء « شَيْطَانِي » والصواب « شَيْطَانِي » قال الفيروز آبادي في القاموس : « الشيطان كحيدر : الطويل الجسم ، والفق من الإبل والخيل والناس كالشيطان جمع شياطينة وهي بهاء ... والشيطان : القول الفصيح والأسد كالشيطان » .

٤٥ - الْحَوَّيْسِي لَا الْحَوَّيْسَرِي

وجاء في الرجز المذكور تالياً لما قلنا ، قول الراجز :

أُرْسِلَ عَلَى حَوْفٍ فِي الصَّبْحِ الْفَصِيحِ حَوَّيْسَرَانَا مِثْلَ قَضِيبِ الْمَجْتَدِحِ

مَتَى نَسَوْتَ مِنْ كَهْمِهَا عِرْقاً يُرْحُ

وفي هذه التهمة تصحيف أيضاً ، والصواب « حَوَّيْسَرِي » تصغير « حار » المنقوص بدلالة قول الشريف في شرح الرجز « قوله : حَوَّيْسَرِيًّا ^(١) ، تصغير حار ، يريد حيةً طال بقاؤه ^(٢) ، حتى حار ^(٣) أي رجع من غاظ وعظّم إلى دقة خلق وجسم ، فصار كقضيب المجتدح وهو المجتدح الذي يُحرّك به الشراب والتسويق وما يجري مجراها ، ومن كلامهم : رماه الله بأفمى حارية . يريدون هذا المعنى » . ويؤيد ذلك ما في كتب اللغة ، قال الجوهري في الصحاح : « وَحَرَى الشَّيْءُ يَحْرِي حَرِيًّا أَيْ نَقَصَ ، يُقَالُ : يَحْرِي كَمَا يَحْرِي الْقَمَرُ وَأَحْرَاءُ الزَّمَانِ [أَيْ نَقَصَهُ] وَالْحَارِيَّةُ : الْأَفْمَى الَّتِي نَقَصَ جَسْمُهَا مِنَ السَّكْبَرِ ، وَذَلِكَ أَخْبَثُ مَا تَكُونُ ، يُقَالُ : رَمَاكَ اللَّهُ بِأَفْمَى حَارِيَّةٍ » . وبذلك يعلم أيضاً أن ضبط الشيخ « حَارِيَّة » بتشديد الياء خطأ .

(١) ضبطها الشيخ محمود مصطفى « حَوَّيْسَرَانَا » جرياً منه على التصحيف الأول .

(٢) الحية تذكر وتؤنث والتاء للجنس .

(٣) هذا وهم من الشريف الرضي - ر ح - فإن « الحاري » اسم فاعل من القيل « حَرَى يَحْرِي » كَرَى يَرِي ، فهو ناقص ، لا من « حار يحور » بمعنى رجع ، فهو أجوف .

٤٦ - متى يُصِيبُ لا متى نَضَتْ

وضبطه للشطر الأخير على صورة « متى نَضَتْ من كمها عرقاً يُرَحُّ » فيه خطأ ، لأن الراجز قال : « أُرْسِلْ على خوفاء ... حويرياً ... » فالخويري تصغير الحاربي ، فهو « متى يصِيب من كمها عرقاً يُرَحُّ » أي يصِيب من كعب خوفاء المدعو عليها ، ألا ترى إلى قول الشريف بعد ذلك : « وقوله : يُرَحُّ أي يُجِيت » فالخاري إذا أصاب عرقاً من كعب خوفاء أمانتها . وعلى هذا يجب أن يصلح قول الشريف بعد ذلك : « متى نضت منها عرقاً يحدث فيه جرحاً ... » .

٤٧ - ذاق المرارة لا ضاقها

وجاء في الصفحة « ١٢٠ » : « قد ضاق بها مرارة » وأساغ بها حرارة . والصواب « ذاق » كما هو ظاهر ، لا يحتاج إلى برهان ولا إلى استدلال .

٤٨ - عثمان بن حنيف لا حنيف

وجاء في الصفحة « ١٢٣ » قول الشريف : « وعلى ذلك كان قول عثمان بن حنيف الانصاري » بفتح الحاء وكسر النون من « حنيف » والصواب « حَنِيف » على التصغير ، ومن النادر عند العرب « حَنيف » قال الذهبي في المشيخة « حَنِيف » بسين ، وبالفتح حنيف بن أحمد الدينوري ... وعيسى بن حنيف القيرواني ... » ولم يذكر في « حنيف » غيرها ، وجاء في الانساب واللباب « الحَنِيفِي » بضم الحاء المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى عثمان بن حنيف الانصاري وبهذا علم أنه « حنيف » لا حنيف .

٤٩ - نكاثر لا تطاير

وجاء في الصفحة « ١٢٦ » قول الشريف : « لأن عن شغها يكون تشظيها » وتطاير الصدوع فيها . ولا توصف الصدوع بالتطاير ولا يحل للتطاير ، فهو تصحيف « نكاثر » وهو المراد ، لأنه يلائم التشظي الذي يصيب العصا ، التي هي الباعث على ذلك الكلام .